T
112A

فوزي عيسى اسكندر المعلوف

(١٨٩٩ — ١٩٣٠م)

سيرته ، ادبه ، فنه

صموئيل عبد الشهيد

اطروحة مقدمة للدائرة العربية بالجامعة
الاميركية لنيل شهادة الماجستير

أيار ١٩٦٧

توطئـــــــة

لا بد من كلمة عابرة اعرض فيها للخطوات التي اتبعتها في دراستي لسيرة الشاعر فوزى المعلوف وانتاجه الادبي . فالشاعر فوزى المعلوف، بالرغم مما كتب عنه ، لم يحظ بالعناية العلمية الكافية من جل دارسيه والمعنيين بالنقد الادبي ، اذ قصروا مباحثهم ، في الاغلب ، على شعره كما تجلى في كتابه " على بساط الريح " لما اعتبروه بأنه ذروة انتاجه . ولم نلق دراسة علمية عنيت به ككل غير الاطروحة التي قدمها الدكتور فايزعون لنيل شهادة الدكتوراه الجامعية في الادب العربي من جامعة باريس عام ١٩٣٩ . ولقد افدت كثيرا من هذه الاطروحة ، في بعض النواحي ، كمصدر اولي اعتمدت عليه ولا سيما فيما يتعلق بنص بعض القصائد والزمن الذى نظمت فيه .

ثم بدا لي ، حفاظا على السياق العلمي في البحث ، ان اعتمد المخطط التالي :

افردت فصلا لسيرة الشاعر ، وفيه عرضت للاسرة المعلوفية واسهام نفر من اعلامها في الحياة الاجتماعية والادبية ، ثم تطرقت الى عائلة فوزى المعلوف حصرا ، وقد هيأت لفوزى مناخا ادبيا ترعرع فيه ونهل منه ثقافته . ثم عطفت بعد ذلك على سيرة فوزى متوقفا عند ثقافته والمؤثرات الفاعلة فيها ، وانتاجه المبكر في الوطن وما قام به من اعمال في ربوع سوريا ثم هجرته الى البرازيل وما اصاب من نجح في حقلي الادب والتجارة ، وموته .

وقصرنا الفصل الثاني على نتاج فوزى النثرى ، فألمحنا الى اعماله المبكرة التي لم يصلنا منها شيء مطبوع . ثم عرضنا لمسرحيته " ابن حامد " نقدا وتحليلا ، وحاولنا ان نعيدها الى منابعها الأصيلة والمؤثرات التي تأثر بها .

اما الفصل الثالث فقد عنيت به بشعر فوزى واعتمدت في ذلك على ثلاثة مصادر هي : ديوان فوزى المعلوف، والملحق الذى جمعته من مصادر مختلفة لمتفرقات من قصائده ، وملحمته على بساط الريح . وبعد ان افردت مقطعا لاستعراض موضوعي وصفي لهذا الانتاج ، قمت بدراسة تحليلية على اساس الموضوع من حيث هو موقف فكرى شعورى ، اذ تراءى لي ان البحث في الديوان والملحق على حدة ثم المطولة منفردة لا يفي بالمطلوب نظرا لوجود ترابط بالافكار والموضوعات العامة ، ترابطا موزعا ما بين شعره ومطولته ، فلجأت الى افضل السبل ، ولعلي بذلك اكون قد انجزت شيئا اصبو اليه .

ويجمل ان يسترعي النظر ههنا الى ان بعض شعر فوزى قد طرأ عليه التغيير ، اما بداعي المعاودة وتنقيح الشاعر لبعض منظومه ، واما بداعي الثغرات التي تركها رياض المعلوف، اخو الشاعر الشاعر، عندما عمد الى جمع شعر فوزى في ديوانه ، فاسقط ما اسقطه . ولعله يكون قد بدل في الفاظ بعض الابيات ايضا . واكثر ما يبرز هذا التغيير في قصائده " الشاعر المنتحر " " واماني مهاجر " " والفردوس المستعاد " .

واود ان اشير هنا ايضا الى انني تابعت السابقين في اطلاق تسمية ملحمة على " على بساط الريح " تجوزا بعد ان شاع امر هذه التسمية . وعلى هذا تكون التسمية الواردة هنا من قبيل التجوز فحسب .

ثم اني اتقدم بخالص شكري الى استاذي الكريم الدكتور انطوان غطاس كرم ، الذي اشرف على هذه الاطروحة ، وقدم لي غالي النصح والارشاد ، ولولا ما اغدقه علي من تشجيع ومعونة وتوجيه لما قدر لهذه الاطروحة ان تخرج الى حيز الوجود . كذلك اود ان اشكر جميع اساتذتي في الدائرة العربية لما اسدوه من المعونة في بيان مرجع ، او ابداء رأي ، او توجيه ، فلهم مني جميعا خالص الشكر .

كما اشكر جميع الذين اسهموا بتزويدي ببعض المعلومات التي دعت اليها الحاجة ، والتي ساعدتني على كشف جوانب غامضة كنت اجهلها من حياة الشاعر ، وبالاخص الاستاذ شفيق المعلوف شقيق الشاعر والاب عبده رئيس الكلية الشرقية في زحلة ، فلهم جميعا انا مدين بالكثير .

بيروت في ٢٢/٥/١٩٦٧

ص . ع .

الفصل الأول

سيرة

فوزي المعلوف

الفصل الأول

سيرته :

أ ـ لمحة عامة عن الاسرة المعلوفية :

أرّخ عيسى اسكندر المعلوف والد الشاعر فوزى للاسرة المعلوفية متتبعا منشأها منذ بواكير تكوينها ، وتطرق الى فروعها واماكن سكناها وحطها وترحالها . غير ان هذه الدراسة التاريخية للاسرة المعلوفية عامة لا تعنينا هنا الا بقدر ما لها من علاقة مباشرة بفوزى وبيئته الخاصة التي فيها نشأ وترعرع .

فيبين من كلام عيسى المعلوف ان الاسرة المعلوفية اسهمت في الحركة الادبية والاجتماعية في لبنان ولا سيما في المناطق التي كانت تقطنها ، فأسست في زحلة الجمعية الخيرية المعلوفية في ١٥ نيسان سنة ١٨٨٦ [١] ، وكان اعضاؤها يتألفون من تسعة الى اثني عشر عضوا من المعلوفيين ينتخبون منهم امين صندوق وكاتباً لمدة سنة . وكانوا يجتمعون مساء كل سبت لدراسة المشاريع المتوفرة لديهم ، وكان جل اهتمامهم محصورا " بالفقراء وتوزيع الاحسان عليهم وزيارة مرضاهم وتطبيبهم ودفع نفقات سفرهم ودفن موتاهم واعالة ايتامهم وتعليمهم في المدارس [٢] . وكان لهذه الجمعية دستور مؤلف من خمس عشرة مادة [٣] . وفي عام ١٩٠٥ اسس شبان " كفرعقاب " مسقط رأس عيسى اسكندر المعلوف الجمعية الخيرية الارثوذكسية وغايتها " ترمي الى تأسيس مدرستين للذكور والاناث " [٤] ، وقد نجحوا في تأسيس مدرسة للذكور . وكذلك قام شباب " دون البترون " بتأسيس الجمعية الخيرية المعلوفية [٥] " بعناية احدهم قبلان افندى ناظر منشيء المدرسة الوطنية في بلدته سنة ١٨٩٥ " [٦] ....."وخصص قسما منها داخليا وكانت دروسها التركية والعربية وبعض اللغات الاخرى والعلوم " [٧] .

---

(١) المعلوف، عيسى اسكندر ـ دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف : ٦٧٩ ـ (١٩٠٧ ـ ١٩٠٨)
(٢) المصدر السابق : ٦٧٩ ـ ٦٨٠ .
(٣) المصدر السابق : ٦٧٩ .
(٤) المصدر السابق : ٦٨٠ .
(٥) المصدر السابق : ٦٨١ .
(٦) المصدر السابق : ٦٨١ .
(٧) المصدر السابق : ٣٤١ .

ويذكر عيسى المعلوف في اماكن متفرقة في تاريخه الشيء الكثير عن نشاطات هذه الاسرة في الميدانين الاجتماعي والثقافي بحيث لا يتسع المجال لذكرها في هذه الدراسة، فنحيل القارئ الى الكتاب نفسه ٠

غير ان الجدير بالملاحظة هو ان هذه الاسرة كانت تحاول ان تساير ركب الحضارة بقدر الامكان في ظروف كانت معها البلاد ترزح تحت نير الحكم التركي ~~كما يقول المصدر~~ الاول ، ومع هذا فأن التفتح على الحياة والتطلع نحو مجتمع افضل كانا من اهداف هـــذه الاسرة نظرا للمشاريع التي كانت تقوم بها والاهداف التي كانت تسعى اليها ٠

اما في الميدان العلمي والادبي فأننا نجد من اقرباء الشاعر العلماء ناصيف بـــن الياس منعم المعلوف الذى وضع بعض المؤلفات باللغات التي اتقنها وذاع شهرة " بتضلعـــه بالشرقية منها "[1] ٠ وكان عضوا في جمعية الاثينيوم البريطانية سنة ١٨٥٧ ، وفي جمعيـــة العلوم والاداب التركية انجمن دا نش[2] ، وفي الجمعيتين الاسيويتين الغرنسية والبريطانية ٠ وا تقن عدة لغات كالتركية والفارسية والانكليزية والايطالية واليونانية " والف في جميعهـــا "[3]. فبلغت مؤلفاته حوالي ثمانية وعشرين مؤلفا عدا مؤلفات اخرى لم يعثر عليها *٠

ب ــ عائلة فوزى المعلوف :

ولكن حين نحصر الحديث في اسرة فوزى نعثر علـــى جوانب اخرى من الحياة الادبية التي وفرت لفوزى واخوته مناخا ادبيا رائعا ٠ فجد فـــوزى اسكندر المعلوف درس في مدرسة دير النبي الياس الارثوذكسية في " شويا " فاطلع علـــى " مبادئ العربية واليونانية والحساب والموسيقى الكنسية ٠٠٠٠ ثم طمح الى درس الفقـــه الاسلامي فأكب على مطالعة كتبه وذلك نحو سنة ١٨٨٠ ، ثم سار الى دمشق الشام محاميا ٠٠٠ فاتصل ببعض فقهائها الاعلام وصرف هناك خمس سنوات بالمطالعة والمدافعة والتخرج حتى تمكن من التحصيل فعاد الى مسقط رأسه كفرعقاب سنة ١٨٨٦ حيث جمع مكتبة فقهية يعز وجود مثلها "[4] .

---

(١) المعلوف ،عيسى اسكندر : دواني القطوف : ٣١٦ ٠
(٢) المصدر السابق : ٣١٧ ٠
(٣) المصدر السابق : ٣١٧ ٠
(٤) المصدر السابق : ٣١١ ٠
* انظر حياته ومؤلفاته وعلاقاته مع الادباء الغربيين وما كتبت عنه الصحف في المصدر السابق : ٣١٦ ــ ٣٢٠ ٠

ولقد ورث والد الشاعر هذا الميل نحو الدراسة الادبية والتاريخية فأسهم اسهاما فعالا في التأليف والنشر ، واضاف الى مكتبة والده المئات من الكتب في مختلف المواضيع ، وكأنه بذلك يهيء الجو الملائم للشاعر حيث يترعرع في وسط ادبي وفكري ٠ وكان على اتصال وثيق بالحركة الفكرية والادبية في العالم العربي ، فبعد ان قام بالتدريس في الكلية الشرقية في زحلة ذهب الى دمشق حيث كان عضوا في المجمع العلمي العربي وقيما على الاثار العربية[١].

ولم يقتصر الامر على والده فقد كان لفوزي اخوال مارسوا صناعة الشعر والنثر كقيصر المعلوف [٢] صاحب ديوان تذكار المهاجر ، وشاهين المعلوف [٣] ، وفدعا المعلوف[٤] ، وميشيل المعلوف [٥] ، وجميل المعلوف [٦] وجميع هؤلاء تركوا اثارا ادبية ما بين شعر ومنثور مبعثرة في صفحات الكتب والمجلات او دواوين ومؤلفات مطبوعة ٠

---

(١) للتوسع في سيرة عيسى اسكندر المعلوف انظر : " العلامة المرحوم عيسى اسكندر المعلوف " من منشورات مجلة الرسالة المخلصية (١٩٦١) : ٥ ـ ٩ ٠

(٢) قيصر المعلوف (١٨٧٤ ـ ١٩٦١) هاجر الى البرازيل واصدر جريدة البرازيل اولى صحف المهجر الجنوبي العربية ٠ شغل منصب قنصل لبنان في سان باولو ٠ من مؤلفاته تذكار المهاجر ، القارة السورية في البلاد الاميركية ، وديوان قيصر المعلوف ٠٠٠

(٣) شاهين المعلوف (١٨٩٠ ـ ١٩٤٥) من مواليد زحلة ، هاجر الى البرازيل وكان ينظم الشعر من حين الى حين ٠ شغل منصب رئيس بلدية زحله ٠ انظر شعراء المعالفة : ٣٢ ٠

(٤) فدعا المعلوف : ولد في زحلة سنة ١٨٩٩ ، كان ينظم الشعر احيانا وهو مقل للغاية (انظر شعراء المعالفة : ٣٩ وانظر الذكرى : ٢٣١) ٠

(٥) ميشيل المعلوف (١٨٩٩ ـ ١٩٤٢) ولد في زحلة وهاجر الى البرازيل ، تولى رئاسة العصبة الاندلسية وكان احد مؤسسيها ٠ عاد الى لبنان سنة ١٩٣٨ ٠ من مؤلفاته : سجين الظلم ، وهناك كتاب هيكل الذكرى وفيه مجموعة ما قيل عنه بعد موته ٠ (انظر شعراء المعالفة : ٥١ ، والذكرى : ٢٤٧) ٠

(٦) جميل المعلوف (١٨٧٩ ـ ١٩٥١) ولد في زحلة وتلقى علومه فيها ثم تابع تحصيله في مدرسة الحكمة في بيروت ٠ هاجر الى نيويورك حيث اصدر مع عمه نعمان المعلوف جريدة الايام سنة ١٨٩٧ ٠ ثم ارتحل الى البرازيل سنة ١٩٠٨ ، وعاد منها الى لبنان سنة ١٩٠٩ ٠ من مؤلفاته : تركيا الجديدة ، وحقوق الانسان ، ووصية فؤاد باشا ، وكيف تثور الامم ، ورواية عقلية اغا ، وقانون الصحافة العثمانية وغيرها ٠ (انظر شعراء المعالفة : ٢١) ٠

ج - فـــوزي المعلـوف :

ولد فوزي في مدينة زحلة في الحادى والعشرين مــن ايار سنة الف وثماني مئة وتسع وتسعين ، فكان بكر اخوته اسكندر وشفيق ورياض واد مـــون وشقيقتيه افلين وادويت . وقد قال فوزى عن يوم مولده :

فوق حضن الربيع - في مثل هذا اليوم - بعد العشرين من لـواره
خلعت وردة على الارض عنها كمها والدجى صريع احتضاره [(١)]

وكان مولد فوزى في اسرة توفر لها مناخ ادبي واجتماعي لم يتوفر الا لعدد ضئيل مــن ابناء لبنان في ظروف قاسية كانت تمر بها البلاد . فوالده عيسى اسكندر المعلوف كان يتمتـع بشهرة واسعة في الاوساط الادبية والعلمية ، ووالدته عفيفة ابنة ابراهيم باشا المعلوف الذى نال حظوة كبيرة لدى الحكومة التركية حتى ان السلطان انعم عليه بفرمان برتبة مير الامــــراء سنة ١٩٠٦ [(٢)] ، وقد طارت له شهرة في بلاد الشام . وبذلك يكون فوزى قد ابصر النــــور في بيت يتمتع بقسط وافر من الغنى المعنوى والادبي .

د - دراسته في زحلـــة :

ولم يكد يبلغ الثالثة من عمره حتى تعلم القراءة واحسنها في الخامسة . وفي الثامنة من عمره راح يراسل والده الذى انتقل الى دمشق ليكون قيما علــى الاثار العربية [(٣)] . ويصف فوزى نفسه في هذه الفترة فيقول في مذكراته عن حداثتــه :

" ومما اذكر عن حداثتي انني كنت كثير الطاعة لوالدى ، لين العريكة ، سريع الانفعال ... وكنت كثير الحياء ، بسيط القلب ، طاهره ، اتجنب غالبا رفاقي واجنح الى العزلة غير ميال الى الالعاب ، تتكاثف السويداء في افكارى ، فابعد عن المجتمعات . لا احب اسر حريتي ... "[(٤)].

والى جانب ذلك فأنه يلقي اضواء اخرى على حياته المدرسية في الكلية الشرقية بزحلة ، فيقول : " وكنت في المدرسة حاضر الذهن قوى الذاكرة فضوليا في معرفة الصحيح ، اميل الى اللغة العربية عموما ، والشعر العربي خصوصا "[(٥)] .

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٢٧ .
(٢) المعلوف ، عيسى اسكندر - دواني القطوف : ٣٩٤ - ٤٠٣ .
(٣) ذكرى فوزى المعلوف : ٨ .
(٤) المصدر السابق : ٨ .
(٥) المصدر السابق : ٨ .

ولا يتركنا فوزى نتخبط في ديجور التساؤل عن الزمن الذى ابتدأ يقرض فيه الشعر ، فهو ينوه بما نصه : " ان اول نظمي على ما اذكر كان في منتصف عام ١٩١٣ في الكلية الشرقية بزحلة ، فقد شطرت بيتين من قصيدة للاخطل الصغير اوردهما على علاتهما من قبيل الذكرى :

" زحزح لثامك عن جبينك "	وابرز كليث من عرينك
وانفث بشهدك في الحشا	"وابعث بسحرك من عيونك "
" واسكب شعاعك في قلو"	ب تهتدى بسنا جبينك
وانضد بدرك في رقا	"ب لم تدن الا بدينك "(١)

ولقد تعهده والده فوجهه ، فكان يطلب منه بعد ذلك نظم تهاني للكهنة في اعيادهم ، ويفرض عليه بعض الموضوعات يكتب فيها (٢) ، وهكذا اتجه شاعرنا اتجاها ادبيا انطلق منه فيما بعد نحو صناعة الشعر .

وفي سنة ١٩١٣ وقف فوزى لاول مرة خطيبا في جمعية النهضة العلمية (١٩٠٣ــ ١٩٢١) التي كان قد اسسها والده في الكلية الشرقية (٣) ، فكانت هذه الخطوة بداية عهده بالخطابة . والقى من على منبر هذه الجمعية عدة خطب منها : " رقي البلاد " ، " والمعارف " ، " والشرق والغرب " ، " والغني والفقير " ، والفتاة العربية " *. وفي احدى خطبه المدرسية يرسم لنا صورة فقير يموت على قارعة الطريق ويلون هذه الصورة بالوان قاتمة تبعث على الاسى ، وتعبر عن شعور سوداوى كئيب مبكر في نفس الشاعر . قال :

" ضباب تبدده عواصف الريح ، ندى تمتصه شفاه الصباح ، ظلام تقشعه قبلات الغزالة ، ورقة ناضرة تقصفها الارياح وتحملها الى حيث لا تدرى ولا تريد . تلك هي الحياة وهذا هو الموت. كما ينطفئ سراج فرغ زيته هكذا تنطفئ حياة الانسان .

الموت ، الموت ، كلمة رهيبة مكتوبة في كل مكان ، على اديم الغمام على صفحة الارض ، على متن الرياح ، على كم الزهرة ، على جذع الارزة ، على جبهة الانسان "(٤) .

وصورة الموت هذه لازمته طيلة حياته واضفت على تفكيره الوانا مجللة بالسواد ، بل انها تعود الى حس دفين قديم في اعماقه ، اذ يكتب في مذكراته عن ايام حداثته :

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٨ .
(٢) المصدر السابق : ٨ .
(٣) المصدر السابق : ٨ .
(٤) المصدر السابق : ٩ . ونتلمس ايضا في هذا المقطع من بواكير انتاجه النفس الجبراني الذى اخذ يهب على المشرق ، في الريح والموت والظلام ، والسراج الذى فرغ زيته ، وما =

" الحداثة هي الربيع من فصول الحياة وانا اغبط ذاك الذى يشهد الربيع ويذهب ، فلا يستقبل شمس الشباب المحرقة الا في ظلمات القبر ٠٠٠٠ والهف نفسي على ايام الحداثة ، تلك الايام السعيدة عندما كنت خليا باسما ، انظر الى الحياة من وجهها الضاحك وانظر الى المستقبل بعين الامل " (١).

واكثر من ذلك فأن فوزى ، قبيل هجرته ، يخط على احدى مفكراته بعضا من شعوره بعد ان طلب اليه ان يقول شيئا في ولادته ، فكتب :

= فيها من شعور مبكر باليأس القاتم ٠ ولعلنا نلمس فيه اثرا من مناخ سفر الجامعة ولا سيما في الفصول الاولى منه حيث لا يجد مؤلفه في الدنيا غير الشقاء ٠

* هذه الخطب موجودة في سجل النهضة العلمية ٠ نعثر في سجل عام ١٩١٢ ـ ١٩١٣ على خطبه : رقي البلاد : ٧٢ ـ ٧٦ ، وخطبة المعارف : ١٢٧ ـ ١٣١ ٠ اما خطبة الفتاة العربية والغني والفقير فهما منشورتان في سجل عام ١٩١٣ ـ ١٩١٤ ، الا ان هذا السجل مفقود من المدرسة ، وقد عرفت بوجود هما من الصفحات الاولى لسجل عام ١٩١٤ اذ وردت عناوين الخطب التي القيت في العام السابق في ذلك التاريخ مع ذكر اسماء الخطباء ٠ في خطبة رقي البلاد يتحدث فوزى المعروف عن اربعة اوجه من وجوه رقي البلاد وهي : الحكومة ، والزراعة ، والصناعة ، والتجارة ٠ الحكومة يجب ان يكون " شعارها المساواة والانصاف بين السيد والعبد والظالم والمظلوم " (٧٣)٠ والزراعة هي " المورد الاول للرزق الذى يستثمره الانسان بكده واجتهاده لهذا يجب تنمية الزراعة وتطويرها " (٧٤) ٠ والصناعة هي " المورد الثاني بل السبب الوحيد الذى يلتجيء اليه الانسان عند فراغ جيبه ويعمل قصارى جهده في اعداد الادوات اللازمة لبني آدم اخوانه " (٧٥) ٠ اما التجارة فهي " المتمم لهذا المثلث وهي تدور على محورى الزراعة والصناعة وهي ركن مشير من اركان تقدم العمران وبلا تجارة يهجر الناس البلاد " (٧٦) ٠

اما خطبة المعارف فيتحدث فيها عن المدارس والمنتديات والصحافة ٠ فالمدارس " هي منبت العلوم والاداب ومنبع الفضيلة والبر تحنو على الطلاب حنو الام على طفلها " (١٢٧) ٠ والمنتديات ويعني بها " الجمعيات الادبية والعلمية والخيرية والدينية والسياسية التي تكون مشيدة على اسس الخير التي تجمع افراد الامة بجامع الاخاء " (١٢٨) ٠ والصحافة هي " اس العمران وركن تقدم الاوطان بل هي فؤاد للوطن ونور للشعب يستضيء به في ظلمات الجهل بل منار يهديه سواء السبيل ودليل يقود الى الطريق المستقيم " (١٣٠)٠

ان هذين المقالين ان دلا على شيء فأنما يدلان على بعد نظر واحساس عميق منذ الفتوة المبكرة بالعوامل الفاعلة في الامة بصرف النظر عن المستوى الادبي من حيث الاشراق في البيان والعمق في الفكرة على اعتبارها من صنع فتى لم يتجاوز الرابعة عشرة ٠ ولا مراء ان فوزى منذ صغره ادرك حقيقة القوى التي تبني المجتمعات بتأثير من مطالعاته الخاصة وتأمله الفردى وتوجيه والده ٠

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٧ ٠

" خلقت في ايار في حضن الربيع والارض بما فيها زاهية باسمة وانا فوقها منقبض النفس مقطب الجبين ، وما امر العبوسة في محيط الابتسامات .

لذلك اتمنى ان يطرحني الدهر عند موتي في حضن الخريف بين اصفرار الاوراق وذبول الزهور وبكاء السماء .

حينذاك قد ابسم عند عتبة الموت غير آسف لفراق حياة قطعتها في خريف صامت ذاو وتركتها في خريف صامت ذاو " (١) .

فهل كان فوزى يحس احساسا خفيا بأن عمره لن يطول ؟

وفي سنة ١٩١١ انشأ عيسى اسكندر المعلوف مجلة الاثار الشهرية فقام فوزى بتعريب عدد من الاقصوصات عن الافرنسية التي اتقنها منها رواية الوديعة الصغيرة (٢) ورواية نكبات الحروب (٣) وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من العمر بعد . ومن مترجماته في هذه الفترة ايضا جزء من قصة العصفور الابيض لالفرد دى موسيه ، كما انه حين بلغ الخامسة عشرة من العمر ابتدأ بترجمة ما يعتقد انه كتاب جيرمينال لاميل زولا (٤) . وكان لهذه المطالعات تأثير عميق على مخيلته

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف ، ١٢ .

(٢) مجلة الاثار ـ المجلد الثاني (١٩١٢ ـ ١٩١٣) : ١٩٦ . وهي قصة مترجمة عن الافرنسية عن فتاة تدعى كاترين ابنة لقائد افرنسي فقدها حين نشبت الحرب بين الافرنسيين والنمساويين وتلعب المصادفات دورها اذ يلتقي الاب بابنته في كوخ امرأة المانية فقيرة كانت قد اعتنت بكاترين حين حملها اليها احد الجنود الافرنسيين . ففرح الوالد بلقاء ابنته وحملها الى زوجته التي كانت دائمة البكاء على طفلتها المفقودة ، وكافأ المربية اذ اخذها معه الى بيته ولم يفرق بينها وبين ربيبتها التي احبها كل الحب .

(٣) مجلة الاثار ـ المجلد الثالث (١٩١٣ ـ ١٩١٤) : ٣٣٥ ، ٣٨٢ . وهي قصة مترجمة عن الافرنسية عن فتاة تدعى مرسيل وحيدة تعيش عند امرأة عجوز وتعمل في احد المعامل وتحب شابا يدعى لوسيان كان قد انقذها من اللصوص . وكان هو ايضا يتيما مثلها ولكن احد الاغنياء اراد ان يزوجه من ابنة شريكه الغنية ، وكان قد تبناه ، فغالبه الطمع وهجر مرسيل التي ارسلت اليه رسالة بعد ان عزمت على الانتحار ، فاسرع للقائها وتأثر لحالها وعزم ان ينتحر معها وحينما نفذا الامر دخل والداها الى الحجرة وهما الكونت مونتال وزوجته وكانا قد فقدا ولديهما في اثناء الحرب السبعينية بين الاتحاد الالماني والافرنسيين ، ولم يعثر لهما على اثر الا في اللحظات الاخيرة التي انتحرا فيها ، وبذلك يكشف لنا المؤلف ان الفتى لوسيان ليس سوى شقيق مرسيل .

من الملاحظ ان هاتين القصتين دارت حوادثهما في اثناء حروب ومعارك وكأنما فوزى ، منذ حداثته يقف موقفا ناقما على الحروب لما تحدثه من ويلات ومآس تفعم حياة الانسان بالقلق والموت . وسنرى آثار الحرب تمسح شعر فوزى بمسحة الكآبة والتشاؤم من مصير الانسان . هذا بالاضافة الى النفس الرومنطيقي الذى يشوب القصتين ويتجاوب مع اصداء خوالج فوزى ومشاعره

(٤)

ووسعت من رؤياه التي كانت ما تزال بكرا وعمقت من تأملاته ٠

هـ ـ فـــي بيـــروت :

في عام ١٩١٤ انتقل فوزى الى بيروت حيث التحـــق بمدرسة الفرير الكبرى ، وقد اشتهر امره بين رفاقه وظهر فيه الميل الشعرى ٠ ويورد فـــي مذكراته من حوادث ذلك العام " ان لجنة ادبية قوامها الشيخ اسكندر العازار [١] ، والدكتور سليم الجلخ [٢] ، وبشاره الخورى [٣] ، قدمتالى المدرسة لامتحان التلامـذة فـي نهاية السنة ٠ فاقترح عليّ بشارة ـ وكان قد اعجب باحدى قصائدى ـ ان اشطر بيتين مـــن الشعر فكتبتهما على اللوح وشطرتهما ، وهاك ما قلت [٤] :

" صبرا على الايام في بلواتهـــا "	فالصبر اولى لاتقا آفاتهـــا
واذا تجنت او رمت سهم الشــــقا	" لا بد ان تأتي على عاداتها "
" ان كان عندك يا زمان مكيـــدة "	مكشوفة فأنا لقـا فتكاتهـــا
او كان عندك آفة محجوبـــــــة	" مما تكيد بها الرجال فهاتها "

وحين وقعت كارثة الطيارين التركيين محمد فتحي وسليم صادق اللذين تحطمت طائرتهما عند قرية سمخ قرب بحيرة طبرية وقتلا ، وهما اول طيارين عثمانيين ، واهتزت البلاد للمأساة حينذاك [٥] ، اقترح استاذ فوزى ، الخورى بطرس البستاني على الطلاب ان ينظمـوا قصيدة في رثاء الطيارين ففاضت قريحة فوزى بقصيدة " كارثة سمخ " [٦] وكان مطلعهـــا :

يا " سمخ " لا سحب سقتك عهادها	فلقد اسلت من العيون عهـــادا

---

(١) اسكندر عازار (١٨٥٥ ـ ١٩١٦) ٠ اديب لبناني من مؤلفاته حرب البسوس ومجاعة رومية ، وحواضر البيوت ٠ للتوسع انظر مجلة العرفان ٢: ١٣٧ و مجلة الشرق ٢٥: ٠٦٦ ٠

(٢) سليم الجلخ (٠٠٠ ـ ١٩١٠) ٠ دكتور في الطب سكن بيروت ، من اثاره مرشد الضـال في تربية الاطفال ٠ انظر معجم المؤلفين لكحالة ، مجلد ٤ : ٢٤٥ ٠

(٣) بشارة الخورى ، المعروف بالاخطل الصغير والملقب بامير الشعراء ٠ من دواوينه الهوى والشباب ٠ انظر كتاب الاخطل الصغير لعبد اللطيف شرارة وشاعر الهوى والشـباب لفؤاد نعمان ٠

(٤) ذكرى فوزى المعلوف : ٩ ٠

(٥) وقعت مأساة الطيارين في ١٤ شباط عام ١٩١٤ ٠

(٦) ديوان فوزى المعلوف : ٢٣ ـ ط ١ (١٩٥٧) ٠

فهل كانت قريحة فوزى المعلوف تتمخض منذ ذلك الحين بملحمته "على بساط الريح " التي نظمها في السنوات الاخيرة من عمره ؟

وفي السنة نفسها اصدر فوزى مجلة مدرسية دعاها " مجلة الادب "[١] وهي مجلة مخطوطة كان يكتبها بخط يده وقد نشر فيها قصيدة من بواكير انتاجه هي قصيدة "قلب موجع" جاء فيها :

عجبا عيونك وهي تحت البرقع ... جرحت فؤادى وهو بين الاضلع

وجمال وجهك بعد اول نظرة ... لم يبق لهوى السوى من موضع

حب كتمت عن العيون وجوده ... ولو انها علمت به لم تهجع

ما زلت اخفيه ويفضحه الضنى ... ابدا فأطفيه بماء الادمع

والقلب مشتعل الجوانب خافق ... يحيا الحياة بأنة المتوجع

وتدل هذه المحاولة لاصدار مجلة مخطوطة وهو لم يكد يتجاوز الخامسة عشرة على ولع عميق بالادب والحياة الادبية وحيوية ناشطة تسعى ابدا للعمل والخلق تحفزها مشاعر رومنطيقية مراهقة تثير في وجدانه حركة ورؤى هي وليدة حس رهيف وخيال مبدع يستعذب الالم . هذا ، مع العلم انه كان في نية فوزى ان يتخصص بفرع من فروع العلم [٢] وكأنه بذلك يولد توازنا بين اتجاهه الادبي ورغبته في العلوم . ونحن نجده فيما بعد ، كيف جمع فوزى ما بين الحياة التجارية والحياة الادبية واصاب نجحا فيهما جميعا .

و ـ العودة الى زحلة :

وحين دارت رحى الحرب في عام ١٩١٤ ، اغلقت مدرسة الفرير ابوابها [٣] ، وكان على فوزى ان يعود الى زحلة حيث وزع اوقاته ما بين التجارة والادب اذ تعاطى تجارة الحبوب مع عمه في المريجات ورياق وزحلة [٤] . وفي زحلة اعتكف على المطالعة والدرس ووجد " في الخزانة المعلوفية " من الكتب ما كانت تصبو اليه نفسه من الوثائق التاريخية ودواوين شعراء الجاهليين والامويين والعباسيين والاندلسيين والمعاصرين [٥] ، ووجد من والده

---

(١) لقد رأيت العدد الوحيد عند شقيقه رياض المعلوف في زحلة حين قمت بزيارته بتاريخ ١٥/ ٩/ ١٩٦٦ . وقد صدر هذا العدد في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٤ .

(٢) البدوى الملثم : شاعر الطيارة : ١٦ . وانظر ايضا كتاب فوزى المعلوف للخورى جبرائيل ابي سعدى : ٧ . ولعل البدوى الملثم اخذ عن ابي سعدى وذلك لصدور كتابه متأخرا عنه ولم نعثر على اى مصدر آخر يؤيد هذا القول .

(٣) احرق الجنود الاتراك مكتبة مدرسة الفرير في الحرب حسب ما اخبرني مديرها .

(٤) الاسود ، ابراهيم ـ تنوير الاذهان في تاريخ لبنان ـ ج ٣ : ٤٠٢ .

(٥) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF: 31 .

البحاثة خيراب واسع الاطلاع يعينه في مطالعاته وابحاثه . فيما بعد ، يذكر فوزي في رسالة بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩ انه " كان دائما يشجعه ويحثه على طلب الكمال وحبه "(١). كما انه بعد ان انتهى من نظم ملحمته على بساط الريح اطلع والده عليها وطلب منه رأيه الذي كان يجله (٢).

غير ان فترة الحرب هذه كان لها اثر كبير على حياة الشاعر ، اذ انطبعت في مخيلته مشاهد الجوع والفاقة ورأى البؤس يخيم على القرى والمدن بحيث اضحت الحياة من اثر الحرب لا تكاد تطاق ، فراح " يفكر بانانية البشر وتكالب الاقوياء وجشع الاغنياء وسخرية القدر ، ورأى الموت يمر حوله مرارا يحمل المنجل الى كل بقعة .... فتألم وحزن "(٣) . وقد اتاحت له قرية المريجات التي كان يلوذ بها حين التحق بعمه فرصة التأمل في واقع الحياة ومأساة الانسان . وانصرف الى الشعر يستمد من ويلات الحرب مادة غزيرة الا ان شعر الحرب هذا لم يصل الينا منه الا النزر اليسير ، فما نشر منه ولعله اسقطه من نتاجه بعد تطور شعره ، وكان يحمد الله على ذلك حيث يقول : " احتجاب الصحف حين بدأت انظم في اوائل الحرب العامة ... ساعدني ... على دفن منظومات يتسرع في نشر مثلها كل من يبدأ قرض الشعر "(٤) . فمن قصائده في فترة الحرب القصيدة التالية :

روح " هيكو " من السماء اطلي	واحملي نسمة الى الاحياء *
هم موتى النفوس موتى الاماني	رغم ما في جسومهم من رواء
شاركي حالهم وقولي عزاء	فعسى بالكلام بعض العزاء
وصفيهم يا روحه فلقد كنت	على الارض حصة البؤساء
نبذتهم اهل الدنى فعساها	لبلائهم ترق اهل السماء

.....

---

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 29

(٢) مجلة الضاد - عيسى اسكندر المعلوف - العدد الخاص بذكرى فوزي (١٩٣٥): ٢٥ .

(٣) الدهان - سامي - قدماء ومعاصرون : ٣٠١ - ٣٠٢ . (دار المعارف بمصر ١٩٦١).

(٤) ذكرى فوزي المعلوف : ١٠ - ١١ .

* يلوح لي ان الشعور بالبؤس كان قدرا مشتركا في العصر ، فقصة هيكو "البؤساء" ترجمها كل من حافظ ابراهيم وطانيوس عبده حينذاك . ولعل مظاهر البؤس التي ارتسمت بين سطورها وجدت صدى في الوضع العام الذي كان يقاسيه لبنان ولا سيما ابان الحرب فتركت هذه القصة اثرا في نفوس ادباء العرب وشعرائهم وبصورة خاصة نرى اثر ذلك على فوزي المعلوف .

كم فتاة كان الحياء حلاها قبل ان راودته كف الشقاء
تبذل العرض وهو جوهر النفس رخيصا حتى بجرعة ماء
وتنادى في ساحة الفحش والفسق على ما بقي لها من حياء (١)

غير ان فترة الحرب هذه تميزت ايضا بانتاجه النثرى . فقد قام بترجمة رواية " كنزلف القرطبي " (٢) لفلوريان (٣) (١٩١٥) وهي قصة تتحدث عن اواخر ايام العرب في اسبانيا كذلك قام بتأليف قصتيه غير الناجزتين " على ضفاف الكوثر " و " سلمى او صفحات غرام " (٤) (١٩١٥) ، وبدأ في تأليف رواية "الحمامة في قفص " (٥) ، كما انه تحت تأثير رواية كنزلف القرطبي كتب مسرحية " ابن حامد " او " سقوط غرناطة " (١٩١٦) (٦) . ولم يصلنا من هذه المؤلفات النثرية سوى مسرحية ابن حامد وهي الوحيدة التي اتمها (٧) .

وظل فوزى يتنقل ما بين زحلة والمريجات طوال فترة الحرب الى ان وضعت الحرب اوزارها . فاستقدمه والده الى دمشق سنة ١٩١٩ ، وكان عيسى المعلوف قد انتقل اليها على اثر الاحتلال العربي الانكليزى في ت ١ سنة ١٩١٨ (٨) .

ز — في دمشق :

لدى وصول فوزى الى دمشق عين امينا لصندوق دار المعلمين

---

(١) مجلة الاثار — ج ٦ ، س٤ (حزيران ١٩٢٧) : ٢٥١ . ولقد ذكر عيسى المعلوف انها من اشعار الحرب الكبرى .
(٢) ذكرى فوزى : ١٠ .
(٣) فلوريان قاص فرنسي عاش ما بين ١٧٥٥ — ١٧٩٤ .
(٤) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF: 166 .
(٥) ذكرى فوزى المعلوف : ١٠ ، ٣٩ .
(٦) المصدر السابق : ١٠ .
(٧) لقد بلغني ان بعض هذه المخطوطات موجودة في حوزة الدكتور فايز عون فقمت بزيارته بتاريخ ١٩٦٧/٢/٧ وسألته عنها فاخبرني انه لا يملكها وانها لم تصل الى يديه .
(٨) كان عيسى اسكندر المعلوف قد انتدب لترؤس مدارس الارثوذكس في سوريا " فخدمها باجتهاد واسس هناك باشارة غبطة العلامة الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس الحداد مجلة النعمة الشهرية وحررها مدة طويلة " ثم بعد ذلك عاد الى زحلة ، ولكن لدى نهاية الحرب العالمية الثانية دعاه الامير زيد شقيق الامير فيصل ونائبه الى دمشق وعينه في شعبة الترجمة والتأليف وذلك في ت٢ سنة ١٩١٨ . انظر "العلامة عيسى اسكندر المعروف " من منشورات مجلة الرسالة المخلصية : ٦ — ٨ .

ثم كاتما لاسرار عميد المعهد الطبي العربي حيث كان والده يدرس علم التربية والتعليم " البيداغوجي "(١) . فأحسن فوزى العمل ونال منزلة لدى العلماء والادباء ، والقى في دمشق قصائد بليغة وكتب مقالات رائعة في انديتها الادبية وصحفها الوطنية وراسل جريدة المقطم المصرية مدة بعنوان " مكاتبنا الدمشقي "(٢) .

ونحن نعلم ان صلة اسرة فوزى بدمشق صلة قديمة * ، الا ان الشاعر عاش في جو جديد في هذه المدينة يختلف عن جو زحلة " تكتنفه جدران تاريخية تتكلم وتحيط به آثار عربية قديمة لا تشبه في شيء ما خلف من جمال وروعة في المشاعد عند زحلة او بيروت . ولكنه جمال آخر فيه عظمة الفاتحين وخلود الاجداد . فلمس الشاب تقديرا لشعره ووقف على الحماسة في الشام والتهب قلبه وطنية " (٣) . وفي غضون اقامته بدمشق اتيح له ان يفتح عينيه ايضا على الحركة العربية الاستقلالية (٤) ، ويعطف عليها وعلى المتولين امورها ، الا ان شعره لم يصطبغ بالثورة العارمة بل كان فيه نقمة على الاوضاع دون ان تتمذهب هذه النقمة في عقيدة او موقف وطني صارخ(٥) .

---

(١) الاسود ، ابراهيم ـ تنوير الاذهان في تاريخ لبنان : ج ٣ : ٤٠٢ .

(٢) المصدر السابق : ٤٠٢ ـ ٤٠٣ .

(٣) الدهان ، سامي ـ قدماء ومعاصرون : ٣٠٢ .

(٤) زيتون ، نظير ـ مقال اضواء على فوزى المعلوف : ٨١ . مجلة الرسالة المخلصية ، س٣ ع١١ (١٩٥٧) . ويزيد زيتون على ذلك قوله انه كان يشارك في هذه الحركة الوطنية " وينطبع بطابعها ويجرى في ميدانها ويحمل علمها متحمسا للاستقلال والكرامة القومية متغنيا بالعروبة وامجادها الذهبية وبطولاتها السخية . سار في حلبة النضال الوطني منافحا مدافعا عن سيادة سوريا ولبنان وعن حقهما في الحرية والحياة يحدوه اباء اصيل ومبدأ جليل وفكر نبيل " . اننا نرى في هذا القول شيئا من المغالاة اذ لا نلمس مثل هذه الروح الزاخرة الجياشة بالوطنية كما نراها عند القروى او فرحات وغيرهما وسيأتي الحديث عن وطنيته عند تحليل انتاجه . والواقع ان قصائده الوطنية لا تزيد في معظمها عن تجسيد عميق للحنين المختلج في وجدانه نحو وطنه وعن نقمته على الاحوال الاجتماعية والسياسية السائدة فيه .

(٥) يقول شفيق المعلوف " ولا بد لنا من كلمة في عقيدة الشاعر الوطنية فأن جل ما طمح اليه ان يكون لكرامة وطنييه حرمة في داخل بلادهم وفي الخارج ، غير آبه لاختلاف الوسائل النبيلة المؤدية الى ذلك . ... مع احتفاظه برأيه الخاص .... " (ذكرى فوزى : ٢٩) .

* قضى اسكندر المعلوف ، جد الشاعر ، فترة من الزمن في دمشق حيث تلقى بعض علومه في الفقه . (دواني القطوف : ٣١١) . كذلك والده ايضا قضى فترة من الزمن في دمشق قبيل اعلان الحرب العالمية الاولى وبعدها كما بينا سابقا .

مكث فوزى في دمشق ما بين عامي ١٩١٩ ـ ١٩٢١ ، تعددت في هذه الفترة موضوعات شعره وتلونت ، فكان منها الوصف والغزل والحماسة " يضحك لسانه حينا في هزل او نكتة او حب برئ طارئ ويبكي احيانا في تشاؤم واسى "[١] . فمن اثاره في دمشق دعابة شعرية بعنوان " يا ليل الوحل متى غده " عارض بها قصيدة " يا ليل الصب متى غده " * للحصرى القيرواني ، يصف فيها الوحل المتراكم عند حي باب توما ومطلعها [٢]:

هل سيل يهدر جارفــــه ؟ او بحر يزخر مزبــده ؟

وفي صباح اليوم الذى طالع فيه اولو الامر هذه الدعابة الشعرية في الف بـــاء الدمشقية ارسلوا من ازال معالم الاوحال عند باب توما [٣] .

ومن اشهر قصائده في هذه الفترة[٤] قصيدة اللفيفة (١٩١٩) ، والى دانيزيــو (١٩٢٠) وعظمة المرأة (١٩٢٠) ، والشاعر (١٩٢١) والمأسدة الخالية (١٩٢١) والفردوس المستعاد (١٩٢١) [٥] التي نالت جائزة مجلة المرأة الجديدة في بيروت ونشرتها " وطلبتـه ادارة هذه المجلة براتب كبير لانشاء مقالاتها فلم يشأ البقاء في البلاد بل وطد العزم علـى المهاجرة ... " [٦] .

ومن نثره في هذه الفترة وصلت الينا مقالة " على ضفاف بردى "[٧] (١٩١٩) [٨] وفيها مناجاة الى بردى " ابن العصور ورفيق الاجيال " . وفي هذه المقالة نراه يورد عـــددا من اقوال كبار الفلاسفة والادباء والعلماء [٩] ، وقد اتخذ من بردى منطلقا يعبر فيه عن تمـــرده وثورته على واقع الحياة في المجتمع العربي ، وينهي المقالة بقوله :

---

(١) الدهان ، سامي ـ قدماء ومعاصرون : ٣٠٣ .
(٢) البدوى الملثم ـ شاعر الطيارة : ١٧ ـ ١٨ . كذلك وردت هذه القصيدة في كتاب عيسى اسكندر المعلوف " معارضات قصيدة يا ليل الصب للحصرى القيرواني " : ٣٦ . ونجد في هذا الكتاب عن عدد من الشعراء المعالفة الذين عارضوا قصيدة الحصرى ومن جملتهم عيسى اسكندر المعلوف حيث شطر قصيدة الحصرى في وصف الحرب العامة : ٣٣ . وقــد صدر هذا الكتاب بتاريخ ١٩٢١ .
(٣) البدوى الملثم : شاعر الطيارة : ١٩ .
(٤) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF: 166-167
(٥) الاسود ، ابراهيم ـ تنوير الاذهان في تاريخ لبنان ـ ج ٣ : ٤٠٣ .
(٦) المصدر السابق : ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .
(٧) ذكرى فوزى المعلوف : ٣٩ .
(٨) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF: 167
(٩) ذكرى فوزى المعلوف : ٤٠
* ديوان الحصرى القيرواني : ١٤٩ . تونس ، ط ١٩٦٣ .

" قل للكاتب المتملق المتذبذب : ان الكاتب من يمد قلمه من اخلاصه لا من دواته ، ومن يكتب بقلبه لا بيراعه ، فهو قائد الامة ومرشدها ومتى كان القائد اعمى تخبطت الامة في الظلمات فليكن شعارك قول الحقيقة بجرأة واخلاص مجردين عن كل نزعة وغاية " (١).

ولعل هذا المقطع يصور لنا مدى شعور فوزي بمسؤولية الاديب في مجتمع تعصف به التيارات الفكرية والادبية والسياسية ٠ وهذا الشعور هو وعي عميق لمهمة الاديب اذ نراه يميل الى اعتبار الاديب اكثر وعيا واعمق نفاذا لمشكلات الامة لما يتميز به من حس مرهف ورؤيا فيصبح مسؤولا عن عملية " التوعية " في الامة ٠ وهذه هي الصورة التي ظلت مرتسمة في مخيلة فوزي طيلة حياته القصيرة ٠

ح — الهجرة الى البرازيل :

وضعت الحرب اوزارها ، ووقعت البلاد السورية تحت الانتداب البريطاني والافرنسي ، وكان لبنان وسوريا من نصيب فرنسا ، وقد تعلقت آمال ابناء العرب بالحلفاء بادئ بدء الا ان تلك الامال اصابتها الخيبة ، وكان لها رد فعل معاكس في نفوس العرب ٠ ولقد ضاقت نفس فوزي ذرعا بالحالة التي وصل اليها البلد ، وكان اخوه اسكندر قد سبقه الى البرازيل حيث عمل مع اخواله وحالفه التوفيق ، فانتهز الفرصة وهاجر من ارض الوطن الى اميركا اللاتينية وفي صدره حرقة ، وفي قلبه غصة ٠ يقول * :

---

(١) ذكرى فوزي المعلوف : ٤٠ ٠

* يبدو ان فوزي كان يفكر في الهجرة الى البرازيل قبل عام ١٩٢١ ، اذ جاء في رسالة بعث بها الى صديق له من دمشق عام ١٩٢٠ ما نصه : " طالعت اليوم رسالتك الشائقة لوالدك تلك الرسالة التي نشرتها مجلة المعارف ، فوقفت مليا غارقا في بحور التأملات ٠ اوانت عازم على السفر ايضا ؟ او شعرت بالامواج الهادرة ، والعواصف الثائرة التي تقف بينك وبين مستقبلك هنا فشددت رحالك للنزوح ، للهرب ، للتخلص من قبل الاصطدام بها والضياع في تيارها ؟ ان المحيط هنا يا اخي ليضيق على امثالنا كبيرى المطامع ، كبيرى الامال ٠ اننا نطلب فضاء متسعا نطلق فيه العنان لاجنحتنا ، فنطأ غيومه ، ونمد ايدينا الى نجومه ٠ اما هنا فليس في وسعنا التقاط الازاهر المنثورة نثر آمالنا بين الاقدام ، فكيف يمكننا ياترى ان نتطال الى النجوم البعيدة العالية ٠٠٠ يولمني وايم الحق ان اهجر — بل بالاحرى ان نهجر معا سماء سوريا الصافية ومياهها العذبة وهواءها البليل ومناظرها الجميلة ، وهي التي احتضنتنا واظلتنا منذ رمانا شقاء الحظ على ارضها ٠ ولكن ما العمل يا اخي ؟ يجب ان نسير مع التيار طوعا والا قذفنا قسرا ؟ يجب ان نهاجر الان ونحن في ريعان العمر قبل ان ندرك الكهولة او تدركنا ، وحينئذ نعض اصابعنا ندما ٠ من امر العذابات وجود الشقي بين السعداء والفقير بين الاغنياء ، فانه ليشعر اذ ذاك بالنقص الذى هو فيه فيتفطر قلبه لهفا على حالته ٠ ولو كانت سوريا اليوم لا تزال على ما كانت عليه قبل خمسين سنة لامكن ان نقنع بالمعيشة فيها كما عاش اجدادنا من قبلنا ٠ ولكن اليوم غير الامس ، وغدا سيكون غير اليوم ، وهكذا الى ما شاء الله ٠٠٠ (عن مجلة المعارف — العدد الرابع — السنة الرابعة (١٩٢٠) : ٢٥٨ ٠

قسما بأهلي لم افارق عن رضى اهلي وهم ذخرى وركن عمادى

لكن انفت بأن اعيش بموطن عبدا وكنت به من الاسياد [١]

ولم تكن سيطرة الاجنبي وحدها هي التي جعلته ينفر من الواقع ، وانما ما رآه من الجهل والاهمال يخيمان على ربوع البلاد ، فاسمعه يقول :

صرنا وصار حمانا منزلا خربا يدب في ساحه من دائنا العطب

تمضي القرون ولا يخليه مغتصب الا ليحتله بالسيف مغتصب

والجهل والدين والاهمال علته وليس علته غاز ومنتدب

فينا الدواء وفينا الداء واعجبي ونحن يأخذنا من حالنا العجب [٢]

ونراه يرسم لنا لوحة كئيبة لهذا الوضع الاليم في مذكراته لمشهد كان قد رآه في دار الجوازات وهو يهيء اوراق سفره . كتب [٣] :

" ... وقد وقف على المدخل شرطي لسانه يده وكلامه اللطم ، اخلى مكانه برهة قصدت امرأة آملة تعجيل اوراقها فبصر بها وصعد السلم ركضا وجذبها من ثوبها صارخا صاخبا ولولا ان تمسكت بالحاجز لهوت الى اسفل . وقد حاولت ان تكلمه بالحسنى فلم يصغ بل جرها وهي باكية وهو كالوحش معتد بشراسته ... بلية بلادنا اهلها والاجنبي يظل يحترمنا حتى يرانا يحتقر بعضنا بعضا فيعاملنا بنفس الاحتقار " .

مثل هذه المشاهد المحزنة كانت تنطبع على صفحة نفس فوزى فتعذ به وتؤرق راحته ، ووجدت في رفاهة حسه مرتعا خصبا تتوالد فيه وتتكاثر ، واذا بهذه الصور الحزينة تغور في اعماق وجدانه وتستقر في السديم لتطفو فيما بعد مثقلة بالكآبة والتشاؤم . وهذه المشاهد وسواها كانت تجعل فوزى " يهاجر الى دنياه الخفية المغلقة التي لا يطلع عليها احد ولا يتاح لاحد ان يطلع عليها الا من خلال التعبيرات الفنية " [٤] .

اذا ، الاوضاع الاجتماعية والسياسية ارغمت فوزى على الهجرة الى البرازيل ، غير ان بعض النقاد والمؤرخين يحاولون ان يخلقوا اسبابا اخرى فيذكرون ان فوزى قد احب فتاة في زحلة لم يحظ بالزواج منها ، فأثر ذلك عليه [٥] .

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٢٨ .

(٢) المصدر السابق : ٣٠ .

(٣) ذكرى فوزى المعلوف : ٢٩ .

(٤) مجلة الرسالة المخلصية – س٣ (١٩٥٧) ، ع١١ – مقال اضواء جديدة على فوزى المعلوف لنظير زيتون : ٥٦ .

(٥) الناعورى ، عيسى – ادب المهجر : ٤٦٦ . قال " وقد علمت من احدى قريبات فوزى انه قد احب فتاة جميلة لا تزال حية ترزق ولكنه لم يتمكن من الاقتران بها ، فاضطرته خيبته الى الهجرة الى البرازيل حيث ظن انه يستطيع ان يدفن الالم [illegible] " .

والحقيقة ان المراجع تسكت عن ذكر حياة فوزى العاطفية سوى ما نعثر عليه من متفرقات ، وما نتحسس في شعره من صيحة الم ثاقبة تخترق النفس وتهز الكيان . والقارئ لشعر فوزى العاطفي يحس بتلك الحرقة الصاديةالتي لم تعرف ارتواء . يذكر سامي الدهان ان بعض النقاد يقولون " ان الشاعر تغزل وعبث بمن حوله من نساء كن يهمسن في اذنيه او يخطرن لعينيه او يبسمن لبسماته فوقف منهن موقف عمر بن ابي ربيعة فيما يبدو ، وسعى في اثرهن ، وكانت له مواقف فرح كذلك كما كانت له مواقف اسى ".(١) على ان هذه النظرات كلها هي من قبيل الاستنتاج والاستقراء .

لقد ظل هذا الجانب من حياة فوزى خافيا وكأنه سر من الاسرار ، وقد حاول الشاعر رياض المعلوف ان يورد شيئا عن حياة اخيه العاطفية فلم يجد ما يذكره سوى ان فوزى " لجمال طلعته ورجولته استحوذ على اعجاب عدد من البرازيليات "(٢) ، ثم يتحدث عن قصة فتاة برازيلية كان فوزى قد اهداها عباءة ثمينة وحين مات ارادت ان تعيدها الى ذويه *.

وفي اعتقاد البعض ان قلب فوزى لم يكتو بحب لاهب " وان نسج البعض فصولا حول علاقته باحدى جميلات الاسبان ، زوجة شخصية ادبية كبيرة "(٣) . ونحن لم نعثر على غير هذه الشذرات من قصص حياته العاطفية وهي شذرات لا يقوم عليها دليل مادى نتقراه في شعره او يقين لا يرقى اليه الشك يُتوكأ عليه .

ومن المعروف ان فوزى كان يدون مذكراته (٤) فمن الطبيعي اذا ان يسجل لنا شيئا من نأمة القلب ، واضطراب الشعور ، وتقلب العاطفة ، ويذكر مشاهد من ذكريات حياته الغرامية . ولكننا لا نجد في كتاب الذكرى اى ملمح لذلك بالرغم من ان شفيق كاتب سيرة حياته اقتبس الكثير من مذكراته . فهل خرج فوزى عن مألوف العادة وكتم حبه حتى عن مذكراته ام ان في حياته العاطفية ما يدعو الى الحذر والتكتم ؟

---

(١) الدهان ، سامي – قدماء ومعاصرون : ٣٠٣ .
(٢) جريدة الجريدة – ع٢٤٦٧ ، ك٢ ، ٨/١٩٦٠ : ١١ .
(٣) مجلة الرسالة المخلصية – س٣ (١٩٥٧) ، ع١١ – هاشم ، جوزيف – بين فوزى المعلوف وحكيم المعرة : ٦٩ .
(٤) لقد استحال علي العثور على مذكراته الا ما ورد في الذكرى فقط .
* في حديثي مع رياض المعلوف شقيق الشاعر بصدد هذا الموضوع لم يضف جديدا على ما ورد في مقاله المدرج في جريدة الجريدة .

ولعل العوامل المذكورة آنفا تضافرت جميعها لكي تحفز فوزى على الرحيل الى البرازيل بعدما صادفه اخوه اسكندر من النجاح في حقل التجارة ٠ وهكذا في صباح يوم ١٧ أيلول سنة ١٩٢١ (١) غادر لبنان على ظهر الباخرة سفنكس (٢) ، وحين راحت شواطىء بيروت تغيب عن ناظريه ثار به الحنين الى الاهل والرفاق وهاجمته ذكريات عذبة ففاضت قريحته بقصيدة حنين المهاجر التي مطلعها :

واطول اشواقي الى الوادى	وادى الهوى والحسن والشعر
ملهى صباى ومهد ميلادى	وعسى يكون بحضنه قبرى (٣)

وحين وصل الى سان باولو لم يكن محتاجا الى البحث عن عمل يوفر له اسباب العيش اذ كان اخواله في البرازيل من اصحاب المكانة الرفيعة ، بل كانوا اهل ادب وفضل وثراء ٠ هم ستة اخوة انصرفوا الى التجارة والصناعة ، جورج معلوف وشاهين وجميل وميشال وقيصر ونقولا (٤). فرعاه خاله جورج وفتح له ابواب معامله يتدرب فيها " ويتعلم صناعة المنسوجات الحريرية وتجارتها ٠٠٠٠ اى انه لم يكابد شيئا من المشقات والمصاعب التي يصطدم بها المغترب الجديد في اميركة وخصوصا ذاك الذى خلع القلم على يده بغضاضة وسكب الرغد على جبلته غضاضة " (٥) ٠

ومن ناحية اخرى فأن شهرة ابيه عيسى اسكندر المعلوف كانت قد سبقته ومهدت له ، " لقد ربى جيلين او ثلاثة من شباب زحلة ولبنان واستقرت كثرتهم في البرازيل ومنهم من رافق فوزى على مقاعد الدراسة فما عتم ان التف حوله ارهاط من الرفاق والانسباء والاصدقاء الاوفياء (٦).

وكان الادب العربي في البرازيل يوم وصول فوزى خصبا غزيرا قوى العناصر والجذور ، " ولكنه كان في معظمه ادبا تقليديا محافظا ٠ فهناك عشرات من بلغاء الكتاب ، بينهم شيوخ علم ولغة وبيان ؛ اشهرهم نعمة يافث ، ورشيد عطية ، والدكتور خليل سعادة ٠٠٠٠ ولكنهم تمسكوا بالحرف وطبعوا تقريبا على غرار المتقدمين عبارة واسلوبا ٠ وكثيرا ما دارت بينهم المناظرات

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٤ ٠
(٢) جريدة الجريدة : ١١ ٠
(٣) ديوان فوزى المعلوف : ٩٣ ٠
(٤) زيتون ، نظير — اضواء جديدة على فوزى المعلوف : المجلة المخلصية : ٧٦ ٠
(٥) المصدر السابق : ٧٧ ٠
(٦) المصدر السابق : ٧٦ ٠

اللغوية والبيانية التي كان يندر ان تنتهي بسوى المهاترات والمسافهات ٠ اما الموضوعات فسياسية او اجتماعية او تعليقات على الحوادث الوطنية والعالمية وانتقادات لبعض العادات او مواعظ وارشادات ٠ ولم تشذ عن هذه القاعدة سوى جريدة " القلم الحديدى " التي كان يصدرها جورج حداد حفيد الشيخ ناصيف اليازجي من ابنته سارة ٠٠٠٠ اذ كانت تعالج السياسة وتشن الحملات على رجال الدين والاديان " (١) .

ويتابع نظير زيتون حديثه عن الشعراء فيقول :

" اما الشعراء الشعراء فكانوا آنئذ قلة وفي طليعتهم الشاعر القروى وفرحات وعقل الجر والياس طعمة الذى اطلق على نفسه قبيل عودته الى لبنان ١٩٢٠ ٠٠٠٠٠ اسم ابو الفضل بن عبد الله بن طعمة "(٢) .

" غير انه كان لجماهير المغتربين اثر بليغ في انطلاق الادب المهجرى في البرازيل بعد جموده وفي تكوين عناصره الجديدة متأثرة بالموجة التي كانت تهب عليها من أدب مجلة الفنون النيويوركية ، ومن اعضاء الرابطة القلمية عبر جريدة السائح ٠٠٠٠ " هذه الجماهير التي صقلت البيئة الاميركية احاسيس فيها متوثبة وهزت في اعماقها ذخائر كانت مهومة وحررتها من رواسب عقد نفسية متأزمة فالتمعت في اذهانها واجوائها ومضات من الانبعاث متدفقة ، هذه الجماهير المتفتحة هي التي شجعت اصحاب المواهب من شعراء وادباء وهي التي فتحت لهم ابواب الاجادة والابداع فكان ذلك التجاوب الرائع بين الاديب والجماهير ، وذلك التفاعل النظيم بين الاديب والحياة والذات ٠٠٠٠ هذه هي الانتفاضة البعثية التي كانت تهز جماهير الجالية عندما وصل فوزى المعلوف فعاش في جوها وانطبع بطابعها ٠ وكان كل شيء يمهد له سبيل النبوغ : مواهب خصبة يذكيها التشجيع والتقدير والحفاوة والتكريم ٠ بلى ، ولقد عاش في المهجر وكأنه في نظر الجوالي العربية شبه اله صغير مدلل عنيد يمشي في الارض مرحا فتشع البهجة ويفوح العبير " (٣) .

فليس غريبا بعد هذا كله ان نجد فوزى يتألق في المهجر كنجم بارق في سماء الشعر ، اذ بالاضافة الى مواهبه الغنية فتحت له الصحافة صدرها ، وتنافست على نشر انتاجه الشعرى ٠

---

(١) زيتون ، نظير ـ اضواء جديدة على فوزى المعلوف ـ مجلة الرسالة المخلصية : ٧٧ ٠
(٢) المصدر السابق : ٧٨ ٠
(٣) المصدر السابق : ٧٨ ٠

وبالرغم من انهماكه في عالم التجارة ونجاحه المتواصل الذى اتاح له الجاه والثراء لم يكن هذا قط " ليلهيه عما فطرعليه من حب مزاولته لفن الادب ، فكان من حين الى آخر يفسح له مجالا في خلواته فينظم المقاطيع والقصائد والملاحم ويدبج المقالات التي كانت الصحف العربية تتناقلها في كل قطر ، والجرائد الاجنبية تترجم بعضها ، والمصنفات تنتجها في مختاراتها ومجاميعها " (١) . وكثيرا ما كان يتمرد على حياة الدنيا المثقلة بالاعمال وعبادة المال وحب الجاه ، بحيث انها لا تترك له مجالا للاختلاء بنفسه ومعانقة عرائس شعره فيهتف عبر صرخة ثائرة :

مهلا مشاغل يومي ساعة وقتي	يكفيك مني طول العمر ادماني
حتام نيرك مشدود الى عنقي	القيه عني من آن الى آن
تفنى الحياة ولا تفنى مطامعنا	ليس الزمان علينا وحده الجاني
يا للتجارة صارت بيننا صنما	لم يلق منا سوى عباد اوثان
نقضي ونحن وقوف في هياكلها	مستعبدين بارواح وابدان
وعجلنا الذهبي المال تبهرنا	انواره وهي ليست غير نيران (٢)

فكان في المهجر يعيش في نفسيتين : نفسية التاجر الذى نجح في عمله واثرى ، ونفسية الشاعر التائقة الى عالم متحرر من عبودية المال ، وتتجسد هذه الروح في الابيات التالية من القصيدة نفسها :

الهت شعرى ففي ابياته حرمي	وفي قوافيه انجيلي وقرآني
وشدت هيكله في اضلعي فأذا	بهيكل خالد في هيكل فان (٣)

وبمثل هذه الروح الوثابة العاشقة للادب دعا الى انشاء المنتدى الزحلي * في سان باولو في ت٢ سنة ١٩٢٢ " لغاية ادبية محض توثق عرى الاتحاد بين الجالية السورية اللبنانية وترفع شأنها بين الاجانب" (٤) . وقد ترأس فوزى هذا المنتدى واقام فيه حفلات ومثل

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٤ .

(٢) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 189 .

(٣) المصدر السابق : ١٨٩ .

(٤) ذكرى فوزى المعلوف : ٤ ـ ٥ .

* يذكر نظير زيتون في مجلة الرسالة المخلصية : ٧٧ ما نصه : " كانت النزعة الاقليمية مسيطرة على السوريين واللبنانيين المغتربين مع ان مصالحهم المادية وروابطهم الاجتماعية والثقافية والدينية كانت تشدهم الى وحدة متراصة لا تتجزأ . وكانت جمعياتهم اقليمية واذا جاوزت الاقليم فطائفية : للموارنة جمعيتهم وللارثوذكس مجلسهم الملي وللمسلمين معهدهم ولسواهم رابطتهم . ولا غرابة اذن ان تؤسس الجالية الحمصية وهي اكبر الجوالي السورية في سان باولو =

رواية سقوط غرناطة او ابن حامد عدة مرات ، والقى محاضرات وخطبا في الاندية العلمية ،وكانت له مساجلات لطيفة في مجالس ادباء عصره في العالمين القديم والحديث ٠ ويذكر البدوى الملثم في كتابه شاعر الطيارة حادثة طريفة (١) ٠٠٠٠" ومجملها كما روتها صحف المهجر في حينه ان اجتماعا عائليا جرى في منزل جورج بك معلوف فسقط فنجان القهوة من يد قرينته الرفيعة التهذيب ايزابيل عبود معلوف ، ولما كان المجلس يضم كلا من الشعراء المعاليف شاهين بك والمرحوم ميشال بك وفوزى وشفيق ، فقد اثار شيطان الشعر تلك القرائح الفياضة فأنشد شاهين

= جمعياتها الاقليمية ، ثم تتدارك الثلمة الاجتماعية التي كانت تتسع شيئا فشيئا فتعمد الى انشاء النادى الحمصي الذى اباح الانتظام في سلك المشتركين لكل من يشاء من ابناء الجالية ولكنه حصر المهام الادارية في الحمصيين ٠

وكان النادى الحمصي حديث العهد حين استقر فوزى في سان باولو ، اما الزحليون وهم اكبر الجوالي اللبنانية واغناها فقلما اهتموا بانشاء جمعية او تأسيس معهد يوحد صفوفهم ويجمع كلمتهم ، فلم يلبث فوزى المعلوف رحمه الله ان وطد العزم على انشاء المنتدى الزحلي اسوة بالنادى الحمصي ٠ وقد قوبلت دعوته بالاستحسان والتأييد واقبل الزحليون على الانتظام في سلك هذا المنتدى الجديد الذى اسدى الى المجتمع المهجرى خدمات ادبية واجتماعية جليلة ٠ وكان فوزى المعلوف اصغر المؤسسين سنا (٢٣ سنة) ولكنه انتخب رئيسا بالاجماع ٠٠٠٠٠ وهكذا تحشد حوله مئات ومئات من ابناء الجالية مدفوعين بالعصبية او الاقليمية او النزعة الادبية او الروح الاجتماعية ٠ وكان اسم فوزى المعلوف يتردد على الافواه متأرجا متألقا مطرزا بخيوط من الذهب "٠٠٠٠ كان شعار المنتدى الزحلي هذين البيتين :

" ولتستعد لغة الضاد التي دعيت	ام اللغات شبابا برده قشب
ان لم نكن كلنا في اصلنا عرب	فنحن تحت لواها كلنا عرب "

ونحن نلمس في هذين البيتين مغزى كبيرا قد يتناقض مع الغاية التي انشيء من اجلها المنتدى ، بيد ان الحقيقة ان فوزى الذى كان قد وصل حديثا من سوريا حيث كانت شعلة القومية في عنفوانها وحيث عاش ردحا من الزمن بين ذكريات المجد الغابر طغت عليه فكرة القومية الواحدة دون سواها وكان المنتدى الزحلي بالرغم من اقليميته يتأثر بكل حدث يلم بالعالم العربي ٠

(١) البدوى الملثم — شاعر الطيارة : ١٩ — ٢١ ٠

بك يقول :[١]

ثمل الفنجان لما لامست	شفتاه شفتيها واستعر
فتلظت من لظاه يدها	وهو لو يدرى بما يجني اعتذر
وضعته عند ذا من كفها	يتلوى قلقا انى استقر
وارتمى من وجده مستعطفا	قدميها وهو يبكي فانكسر

وانشد ميشال بك :

عاش يهواها ولكن	في هواها يتكتم
كلما ادنته منها	لاصق الثغر وتمتم

دأبه التقبيل لا ينفك حتى يتحطم

وانشد شفيق مرتجلا :

ان هوى الفنجان لا تعجب فقد	طفر الحزن على مبسمها
كل جزء طار من فنجانها	كان ذكرى قبلة من فمها

فنظر المرحوم فوزى الى الفنجان فأذا هو لم ينكسر فقال معارضا :

ما هوى الفنجان مختارا فلو	خيروه لم يفارق شفتيها
هي القته وذا حظ الذى	يعتدى يوما بتقبيل عليها
لا ولا حطمه اليأس فها	هو يبكي شاكيا منها اليها
والذى ابقاه حيا سالما	امل العودة يوما ليديها

وبنتيجة التحكيم فاز فوزى بساعة ذهبية قدمتها السيدة ايزابيل ٠

ولقد نال فوزى حظوة عند وجوه الجالية العربية في البرازيل وهي كثيرة غنية ٠ وكان له فضل كبير على جمعيات البر والاحسان اذ ساهم بتقديم مساعدات كثيرة للمشاريع الخيرية[٢] .
ثم انتقل فوزى من سان باولو الى ريودي جنيرو حيث افتتح فرعا جديدا للحرير فكانت اوقاته موزعة ما بين العاصمة وسان باولو ٠ ولقد احب الشاعر بلاد البرازيل وعشق عاصمتها الريو حتى نظم فيها القريض[٣] ، فاضحت الحاضرة الجديدة موضع هواه ٠ ومع وجوده في المهجر فأنه كان على اتصال وثيق بالوطن الام " فما يقع حادث في البلاد العربية الا انتقل الى المنتدى

---

(١) وردت هذه المعارضات ايضا في كتاب شعراء المعالقة لرياض المعلوف : ٦٧ ـ ٦٨ ٠
(٢) ذكرى فوزى المعلوف : ٥ ٠
(٣) ديوان فوزى المعلوف : ٣٢ ٠

فدافع وتحمس وجمع وتبرع وكم ناصر مصر وسورية بخطبه وقصائده فكان خير سفير وكانت الجالية احسن سفارة " (١) . وكانت الجالية تنتهز كل فرصة مناسبة لتعرب عن امتنانها للدولة البرازيلية حكومة وشعبا وتسعى دائما لتوثيق عرى الصداقة بين ابناء الجالية وافراد الشعب . ففي الاحتفال الذى اقيم بمناسبة عيد استقلال البرازيل المئوى سنة ١٩٢٢ قدمت الجالية السورية تمثالا من صنع النقاش الشهير انورى شميلس (٢) ، وقد اسهم فوزى بالاحتفال بهذه المناسبة فنظم قصيدة في وصف التمثال مطلعها :

حياك تمثال اصم ابكم	لو يملك النطق الاصم الابكم
هو رمز معرفة الجميل وحسبه	في صمته ان الوفا يتكلم
انظر اليه فكل نقش السن	للشكر فيه وكل حرف مبسم (٣)

وهكذا نجد فوزى فردا عاملا مشاركا في عواطف امته من ناحية ، ومعترفا بجميل الدولة التي آوته فوق ارضها فأحس بمشاعرها وتعلق باحلامها واحبها من ناحية اخرى .

اما من ابرز الحوادث في حياة فوزى فقصة التقائه بالشاعرين الكبيرين فنتورلي سوبرينو مترجم ملحمة الطيارة الى البرتغالية وفرنسيسكو فيلا سباسا * الذى ترجمها الى الاسبانية ووضع لها مقدمة . وهذان الشاعران هما اللذان عرفا فوزى الى الادبين البرتغالي والاسباني فحظي بشهرة واسعة في الاوساط الادبية البرازيلية (٤) . ومن اصدقائه ايضا الذين عرفهم واخلصوا له الود

---

(١) الدهان ، سامي — قدماء ومعاصرون : ٣٠٨ .

(٢) مجلة الاثار ، المجلد الخامس ، الجزء السادس : ٢٨٤ . وجاء فيها وصف للتمثال كما يلي : " علوه ١٤ مترا ومحيط اسفله ثمانية امتار وفيه عشرون تمثالا ترمز الى اتحاد سكان بلادنا الفينيقيين بالبرازيل ، ففي اعلاه امرأة شرقية تقدم قارورة طيب لرجل هندى من سكان البرازيل القدماء وقد احتضنها ملك السلام وتحتها بقية التماثيل المختلفة الاشكال التي تمثل الفينيقيين يرصدون الافلاك رمز علومهم ، وملك صور حيرام يبعث بسفنه حول افريقيا للتجارة وفي الوسط تمثال الجمهورية البرازيلية .... "

(٣) المصدر السابق : ٢٨٤ .

(٤) ذكرى فوزى المعلوف : ٨٧ .

* شاعر اسباني كتب فوزى شيئا من سيرة حياته في مجلة الشرق البرازيلية ، السنة الثانية (١٩٢٩) ع ٣٠ : ٧١ ونقلتها عنها مجلة المقتطف المجلد ٧٥ (١٩٢٩) ، ج ٤ : ٤٠٦ . وقد جعل حديثه في سيرة الشاعر على ثلاثة اقسام . عرض في القسم الاول الى مؤلفاته فذكر انها بلغت مئة وثمانية وخمسين مؤلفا ما بين نثر وشعر ومخطوط ومطبوع وذكر ان جزءا كبيرا منها مستوحى من التاريخ العربي والحياة العربية منها قصر اللؤلؤ وهي رواية جرت حوادثها على عهد بني الاحمر ، ورواية ابن امية ، ورواية في البادية ، وزفرة المغربي — عني بها زفرة ابي عبد الله آخر سلاطين العرب في الاندلس وبكاءه يوم ودع غرناطة من اعالي جبل بادول المشرف على حاضرة ملكه ، ثم دواوين ليالي جنة العريف والاندلس ودفوف اشبيلية وقفير النحل الذهبي وباحة الاريج ...

حيا وميتا ملبا طحان [١] وهارولد و د ولترا [٢] ومنوتي دليكيا امير شعراء السانباوليين [٣]. وهؤلاء جميعا اعجبوا بشعر فوزى وبشخصيته واسهموا في نشر ادبه ، بل ان فيلا سباسا اذاع بعض قصائد فوزى المترجمة من العاصمة البرازيلية على تموجات الاثير • [٤] •

اما اهم اعماله الشعرية في المهجر فقد كانت على بساط الريح [٥] (١٩٢٦) وقصيدة شعلة العذاب [٦] التي لم يتمها • وسيرد الحديث عن هاتين المطولتين عند تحليل انتاجه الادبي ونقده • ولقد لقيت هاتان المطولتان شهرة واسعة في العالم العربي والغربي • اما قصائده الاخرى كقصيدة طاقة الزهر (١٩٢٤) والمنتحر (١٩٢٤) واماني مهاجر (١٩٢٤) ومقتل السردار (١٩٢٥) وفرعون وقبره (١٩٢٦) وغيرها فقد كان ينشر معظمها في مجلة الجالية ، والدليل وبالاخص مجلة الشرق ، وكلها صحف ومجلات كانت تصدر في البرازيل • والحقيقة ان فوزى

= ومن رواياته النثرية القصصية انتقام عائشة وعبد الرحمن الاخير ونخيل الواحات ومخالب الفهد وبرج الاسيرة •
اما في القسم الثاني فيتحدث عن فيلا سباسا الشاعر ويعرض لروايته الشعرية قصر اللؤلؤ التي يعتبرها من الشعر المحلق كما يتحدث عن شاعريته وعن حب الشاعر للعرب •
اما في القسم الثالث فيتحدث عن اصل الشاعر ونسبه فيذكر ان امه متحدرة من سلالة نبيل عربي متنصر كان يدعى محمد بن امية وقد دعي بعد تنصره الدون انطونيو مولاى دى قرطبة • وبذلك يعود في نهاية سيرته الى الربط ما بين الحديث عنه وبين العنوان الذى هو "شاعر اسباني يتفاخر بنسبه العربي " •

(١) هو الاديب البرازيلي كاتب القصص الشرقية ولا سيما العربية بلغته • ولقد كتب فوزى سيرته فكانت آخر من كتب ونشرتها مجلة الشرق _ السنة الثانية (١٩٣٠) ع٤٢ : ١ _ ٢ • وتناقلتها الصحف • (انظر الذكرى : ١٤٣) • وكان ملبا طحان معروفا بأسم الحاج عبد الله اما اسمه الحقيقي فهو الدكتور جوليو دى ملوا ا • سوزا مؤلف كتاب سماء الله • تحدث فوزى المعلوف في مقاله عن ملبا طحان فأشار الى انه يكتب بروح شرقية يخال معها القارئ انه بدوى اذان الروح الشرقية هي المسيطرة على مناخ مؤلفاته وشخصيته : " ومن يدرى فقد يكون ولد بدويا صحيحا ولكن في حياة سابقة ، وكم في هذا الكون من اسرار لا ندركها • وهكذا يكون قد زار بغداد دار السلام فاستنزل الحكمة من قصورها ، وهابط دمشق جنة الدنيا فحمل عطر الخيال من رياضها ، وبلغ جبال لبنان وهو الارز المقدس فاستوحى السماء عن قرب ، وسكن مصر ربيبة الفراعنة فاستقى الاسرار من هياكلها ، ووقف في بعلبك مدينة الشمس فاستقطر النور من هياكلها ، وتاه في بادية جزيرة العرب مبينة محمد فتعلم الفن من جوها الصافي وسجد للجمال في قفرها الهادئ • ومن يكتب "سماء الله " هل يمكن ان لا يكون بدويا ؟ " •

(٢) وهو شاعر برتغالي ترجم بعض قصائد فوزى الى البرتغالية • (انظر الذكرى: ٣٦ ، ١٤٣) •

(٣) مجلة الشرق البرازيلية (١٩٣٠) ، ع ٤١ : ٣١ •

(٤) ذكرى فوزى المعلوف : ٣٦ •

(٥) المصدر السابق : ٤٣ •

(٦) المصدر السابق : ١٤ ، ٤٣ •

والحقيقة ان فوزي لم ينظم اكثر من عشر قصائد ما بين سنتي ١٩٢١ ـ ١٩٢٦ ، واغلبها قصائد مناسبات كرثاء سليمان البستاني (١٩٢٥) والكفارة (١٩٢٥) ومرثية المنفلوطي (١٩٢٦) بالاضافة الى القصائد المذكورة اعلاه [١] .

ويذكر شفيق المعلوف ان فوزي اهتم في اواخر ايامه بجمع شعره القديم وتنقيحه وتقسيمه الى كتب مستقلة " ويحزنني كل الحزن ان تكون الايام قد حالت بينه وبين ما يريد فأنني قابلت بعض قصائده القديمة بنسخها المنقحة فوجدت قيمتها الادبية قد زادت اضعافا دون ان يكون فيها غير ابدال بعض الالفاظ واحداث بعض الاستدراكات "[٢] .

وفي اثناء وجود فوزي في البرازيل تعلم البرتغالية وألّم بالاسبانية [٣] وبذلك تمكن من الاطلاع على الادبين البرتغالي والاسباني . الا ان هذا الاطلاع لم يحفزه على نظم الشعر بغير اللغة العربية اذ بين يدي رسالة من شقيق الشاعر ، شفيق المعلوف يوكد فيها ان فوزي لم ينظم قط بغير العربية [٤] . على ان اطلاع فوزي على اللغات الاخرى اسعفه فيما بعد على ترجمة قصيدة غرناطة * للشاعر الاسباني فيلا سباسا الى العربية بعنوان " اواه غرناطة " . وكان فوزي معجبا بالشاعر الاسباني وبلغ من تأثير الاخير عليه انه اثار اشواقه لزيارة اسبانيا حتى ان فوزي قبل وفاته كان ينوي القيام برحلة اليها " التي زدته بتشويقي تعلقا بها وحنينا اليها " [٥].

ط ـ وفـــاته :

كل هذي الحياة وهم وهذا الرســـم	وهم وما انا غير وهـــم
غير ان الرسوم تبقى طويـــلا	وانا امحي بروحي وجســـمي [٦]

---

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 88 - 89 .

(٢) ذكرى فوزي المعلوف : ٣٣ .

(٣) المصدر السابق : ٤ .

(٤) من رسالة تكرم بها عليّ الشاعر شفيق المعلوف بتاريخ ٦ نيسان ١٩٦٧ .

(٥) على بساط الريح ـ مقدمة فيلا سباسا : ٣٦ .

(٦) ذكرى فوزي المعلوف : ٥١ .

* ديوان فوزي المعلوف : ١٠٧ .

نظم فوزى هذين البيتين بتاريخ العشرين من شهر ايلول سنة ١٩٢١ [١] ، وقد ذيل بهما رسما كان له وكأنه بذلك يتنبأ عن مصير ينتظره وهو في شرخ الصبا . ففيما كان فوزى يتفقد محلهم التجارى الكبير في ريودى جنيرو احسّ بانحراف في صحته واجريت له العملية الجراحية التي لم تصادف نجاحا وقضى نحبه .

وقبل ان نتحدث عن لحظات حياة فوزى الاخيرة اود ان اتوقف هنيهة متسائلا عن طبيعة هذه العملية الجراحية . فلقد تباينت فيها الاراء واختلف دارسو حياته في امرها ، فمنهم من ذكر ان هذه العملية الجراحية كانت عملية الزائدة الدودية [٢] . وجاء في دراسة البدوى الملثم ما يلي : " بينما كان فوزى في ثورة صباه وتأجج شاعريته داهمه مرض عضال وهو يتفقد حانوته ..... فصرعته نوبة الداء ..... وعلى الفور اجريت له عملية جراحية " [٣] . ثم نجد نظير زيتون في مقاله اضواء على فوزى المعلوف يقول :

" ويزعم بعضهم ان المرض الذى عاناه فوزى ثم قضى عليه اى القرحة المعوية هو الذى طبعه بطابع التشاؤم والهروب من الحياة " [٤] . واختلاف الآراء هذا في سبب موته يدعو الى الشك ولا سيما انه يتعذر علينا ان نعثر على اى اثر لذكر سبب مرضه ووفاته في كتاب ذكرى فوزى المعلوف المفروض فيه ان يعنى بهذا الامر دون سواه ليزيل الشكوك ، بل على العكس تماما فأننا نجد بين طيات الكتاب بيانا تحت عنوان " ايضاح لا بد منه " [٥] جاء فيه :

" اما وقد حل المقدور فقد اصبحنا نخشى ان يرى قراء المقتطف في هذا الحادث المؤلم تفسيرا لليأس الواضح الاثر بين تضاعيف تلك الملحمة العصماء فيحل عندهم ان ناظمها شاب مصاب بداء عياء لا يرجى له شفاء ، وانه كان يتوقع مفارقة هذه الدنيا الغرارة بين يوم وآخر ... "

ولا شك ان ايراد مثل هذا الايضاح بالرغم من المحاولة المشكورة التي حاول فيها كاتب المقال ان يبرر كآبة فوزى عن غير طريق مرضه ، ان دل على شيء فأنما يدل على رواج بعض الشائعات في حينه حول حقيقة مرض فوزى . واضيف ملاحظة عابرة قد لا تكون ذات دلالة بينة وانما استيفاء للبحث وهي عدم زواج فوزى بالرغم من ثرائه ومكانته ووسامته وحظوته لدى النساء كما يقول النقاد .

سيظل مرض فوزى سرا ما لم يكشف عنه احد اخوته او واحد من المطلعين على الحقيقة .

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٥٠ .

(٢) الناعورى ، عيسى — ادب المهجر : ٤٦١ . وانظر ايضا كتاب الاب جبرائيل ابي سعدى — فوزى المعلوف : ٩٠ .

(٣) البدوى الملثم — شاعر في طيارة : ٢٢ .

(٤) مجلة الرسالة المخلصية — س٣ ، ع١١ : ٨٠ .

(٥) ذكرى فوزى المعلوف : ٥٠ .

ونعود الان الى الحديث عن الاربعين يوما التي قضاها فوزى في المستشفى الانكليزى في ريو دى جنيرو ، والمصدر الاوفى الذى نستقي منه معلوماتنا ما دونه شفيق المعلوف عن اللحظات الاخيرة من حياة اخيه [١] ، يقول :

" وانني لحافظ بين تذكاراته نسخة من قصائد الطيارة بالعربية دفعها اليّ الطابع لتصحيحها ، فطلب اليّ فوزى رؤيتها وهو في الفراش على اتم انتباهه فبينا هو يقرؤها تناول مني القلم بيد مرتجفة اجهدها الضعف وامره امرارا سريعا متواليا تحت البيت الذى يقول فيه عن احلام الشاعر :

وتوارت حلما فحلما الى اللا شيء تمشي به قليلا قليلا

ثم سكت ودفع اليّ ما بيده فأخذت اتفحص المكان الذى وضع تحته خطا لاتبين موضع الخطأ فلم اظفر بشيء منه ولم اسأله شيئا ، ولا هو تكلم حتى اذا لفظ روحه " وتوارت احلامه " بعد ايام علمت ان ما اشكل عليّ فهمه قد فسر طلاسمه الموت " .

ويرسم لنا شفيق صورة اخرى حية عن فوزى في الايام الاخيرة التي سبقت موته ، يقول :

" كنت الحظ منه تعبا في عينيه في الساعة التي تودع بها الشمس الجبال . وكان يطيل التحديق من نافذته في رابية سوداء قاتمة امام (جبل السكر) . فماذا جال في خاطره حين ذاك ؟ ذلك ما لم اعرفه . ولكنني حاولت ما استطعت صرف نظره عن المشهد الكئيب وتعودت ان اجلس اليه كل مساء في تلك الساعة لالهيه عن تنقيل بصره بين الحفر والصخور "[٢] .

اما المشهد الاخير الذى يسدل بعده الستار على حياة فوزى فقد كان مشهدا مأساويا : " ان آخر ما قاله فوزى على فراش النزع انه يريد ان يمشي . وكان قد طلب ذلك قبل ايام فاجبناه الى سؤله . وما كنت احسب حين رأيته متحاملا بجسمه الناحل علينا وعلى نفسه ان في خطواته المتثاقلة بعض الشيء من قوله :

ان بين السرير والنعش خطوات دعوها الوجود وهي بعكسه

ولا خطر لي حين فقد انتباهه ودخل في صور السبات راويا لنا امورا حقيقية جرت انئذ خارج المكان الذى هو فيه ، ان حالته تنطبق على قوله :

ولقد ترى الاحداق وهي مريضة ما لا ترى الاحداق وهي صحاح "[٣]

وهكذا بتاريخ ٧ ك٢ سنة ١٩٣٠ توفي فوزى عن ثلاثين سنة " ونقلت جثته الى مدينة سان باولو ودفنت باحتفال عظيم واقيمت له حفلات كبيرة في المهجر والوطن ورثاه الشعراء

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٣٣ .

(٢) المصدر السابق : ٣٤ .

(٣) المصدر السابق : ٣٤ .

وابنه الادباء وبكاه الاهل والاصحاب "(١) . وكان لموته صدى عظيم رددته الصحف والمجلات* .

وفي صباح يوم الثلاثاء الواقع في ٣ تموز سنة ١٩٣٧ حملت الباخرة بالستينيا الى بيروت تمثالا برونزيا نصفيا مع قاعدة جميلة من رخام الجرانيت الايطالي هدية من مهاجري العرب في البرازيل . وفي مساء يوم ١٢ ايلول ازيح الستار عن التمثال المنصوب في ساحة المنشية في مسقط رأس فوزي بمهرجان حافل امه ادباء سوريا ولبنان وقلد فيه وزير الداخلية حينذاك الاستاذ حبيب ابو شهلا وسام الاستحقاق اللبناني المذهب ، وقد ختم الحفلة شفيق المعلوف بكلمة رقيقة استهلها بابيات شعرية مطلعها : (٢)

فوزي ومالي في الخطوب يدان   ما هكذا الاخوان يلتقيان

وهكذا نأتي على ختام حياة شاعر شاب اعطى الكثير من روحه واعصابه وخياله لربة الشعر وترك بعد وفاته اثارا ادبية حية كانت قمينة بالدراسة والتحرى .

٦ _ اخلاق فوزي ومزاجه :

يرى المستعرض لكتاب " ذكرى فوزي المعلوف مقاطع متنوعة تلهج باخلاق فوزي وتعدد مناقبه ، وتضفي عليه هالة اسطورية او تكاد دون ان تذكر سيئة واحدة او نقيصة من نقائص الضعف البشرى الذى يتعرض له كل انسان . وعلى الباحث بالتالي ان يقف من هذا الاكبار بحيطة وحرص قبل ان يوغل في الحديث عن هذا الجانب من شخصيته ، ولا سيما ان ما قيل عن فوزي ، قيل بعد وفاته مباشرة ، وان والده هو الذى جمع ما كتب في تقريظه والاشادة باخلاقه وقد يغفل ما لم يره في صالح فوزي . ولكن يمكننا بالرغم مما ذكران نستخلص صورة لشخصيته واخلاقه دون اللجوء الى التعسف او المغالاة .

ان الاقوال التي احاطت فوزي بهالة من المجد ، والمقالات التي كالت له المديح وعددت مناقبه وتغنت بمزاياه تركزت اكثر ما تركزت على لطفه وتسامحه ، وكرم نفسه وتضحيته ، اذ انفق الكثير من امواله على الموسسات الخيرية واعمال البر والاحسان " ولم يكن المال في نظره الا وسيلة للخير " (٣) ، على ان يكون متحررا من سيطرته وليس عبدا له . يقول في ذلك :

١ لم اعبد المال حياتي ولم   اكذب ولم اقتل ولم اسرق (٤)

---

(١) ذكرى فوزي المعلوف : ٦ .
(٢) المكشوف ، س٣ (١٩٣٧) ع ١١٤ ، (٢٢ أيلول : ٣) .
(٣) ابي سعدى ، الاب جبرائيل _ فوزي المعلوف : ١١ .
(٤) ذكرى فوزي المعلوف : ٣١ .
* احيل القارئ الى كتاب ذكرى فوزي المعلوف اذ يضم بين طياته معظم ما اوردته الصحف والمجلات عن الاحتفالات التي اقيمت لتأبينه وكل ما كتب في الصحف حينذاك .

لاعتقاده ان المال رب مستعبد يصعب على الانسان ان ينعتق من اغلاله :

عبد مالي احظى به بعد جهد　　فأذ بي انوء من ثقل نيره [١]

وما كان فوزي في ذلك مدعيا ولا نظر من " وراء المال الى غير الغايات النبيلة " [٢]

فقد انشد يقول :

المال ليس مشرفا لرجاله　　قدر الرجال هو المشرف مالها

لا خير في نعم رفلت بثوبها　　ان لم تفد منها الحياة وآلها [٣]

وقال ايضا :

كن نصير البائسين وكفكف　　دمعهم تكسب الجزاء لذاتك

لست تبكي ان مت الا بمقدار　　دموع كفكفتها في حياتك [٤]

ويزين هذا الترفع عن المادة عفة في النفس والحب [٥] فهو وان خفق قلبه بالحب " فالحب فيه نقي طاهر لم يتدن ولا تلوث بهاؤه " [٦] . وتتجسد هذه الحقيقة في بعض قصائده كقصيدة نجوى [٧] وقصيدة الحب الصامت [٨] وقصيدة بائعة الهوى [٩] وغيرها مما يحفل به ديوانه ، وهو بذلك يعبر عن نفسية تكاد تحيا في عالم نبذ المادة وتعلق بالرفعة والسمو .

وهذه الشخصية الطيبة الكريمة العفيفة اتسمت بالهدوء اذ كان صاحبها لا يحمل نفسه عنوة على امر ، فهو يذكر عن نفسه انه كان يميل بطبعه الى العزلة والهدوء منذ صغره . ولعل لمنحاه التأملي تأثيرا كبيرا على هدوئه وتكوين طبيعته . وليس ادل على هذه الطبيعة الهادئة من انه نظم قصيدته الغسانية [١٠] في ليلة مظلمة بين دوى القنابل وقصف المدافع ووعاها في ذهنه حتى اذا انبلج الفجر دونها .

---

(١) المعلوف ، فوزي - على بساط الريح : ٥٤ .
(٢) ذكرى فوزي المعلوف : ٣١ .
(٣) المصدر السابق : ٣١ .
(٤) المصدر السابق : ٣١ .
(٥) ابي سعدى ، - فوزي المعلوف : ١٤ .
(٦) المصدر السابق : ١٤ . وانظر الذكرى : ٣١ .
(٧) ديوان فوزي المعلوف : ٧٧ .
(٨) المصدر السابق : ٦٤ .
(٩) المصدر السابق : ٦١ .
(١٠) ذكرى فوزي المعلوف : ٣٢ . نشرت هذه القصيدة في جريدة العرب في مدينة حلب في ٢٦ ك١ سنة ١٩١٨ .

واقترن هذا الهدوء بحس رهيف بحيث يكاد يكون صاحبه كتلة من المشاعر والاعصاب .
غير ان هذه الرهافة ذات طبيعة لا تثور الا في فترات متقطعة بتأثير احداث فذة ثم تعود الى سكينتها ، الا انها تتلقى دائما " اشارات " العالم الخارجي وتتفاعل معها . ومواقفه الشعورية تجلت في تقديم كل معونة ممكنة للفقراء والمحتاجين وتأثره بفواجع الحياة وويلات الحروب . ولعل تشاؤمه العميق الذى لا نكاد نجد له سببا ماديا متفاعلا مع وجوده نتيجة لهذه الحساسية المرهفة التي تتألم للمصاب ، وتتوجع للتنهيدة الحيرى ، ويقلقها العذاب المتفشي في الجنس البشرى . وهكذا يصبح التشاؤم اصلا في روح فوزى .(١)

ومن خلال ما ذكره الدكتور فيليب حتي عن فوزى المعلوف يمكن ان نستخلص بعض المناقب الاخرى في اخلاقية فوزى وشخصيته ، فهو صافي الذهن ، متوقد الفؤاد ، قوى الشخصية اذ استطاع ان يكون رئيسا للمنتدى الزحلي مع انه اصغر الاعضاء سنا ، يقول : (٢)

" اصغيت اليه وهو يتلو قصيدة نفيسة من نظمه في حفلة متخرجي جامعة لم يدرس فيها . رافقته الى معمله وهو يشرح لي اسرار صناعة كان يمارسها . جلست الى جانبه متنزها في مزارع البن ، تحت اشجاره يحادث ويفكه . سمعت الناس يتحدثون عن امتيازه ادبا وعلما وخلقا واذا بفوزى في كل الحالات هو هو ، رضي الاخلاق ، لطيف المعشر ، بعيد النظر ، على استعداد دائم للعطف على كل مشروع فيه خير البلاد السورية التي احبها وانشأته ـ عطف عملي لا شفهي فقط .... الفتوة في احسن مظاهرها كان يمثلها فوزى المعلوف .... "

ويعدد نظير زيتون زميل فوزى في المهجر بعض مناقبه فيقول :

" وكان فوزى ، روّح الله روحه ، هادئ الطبع ، دمث الاخلاق ، متهلل الوجه ، عذب الحديث ، رفيع التهذيب ، طيب السريرة والسيرة ، متأنقا ، متوقد الذهن ، مرهف الحس ، صادق الود ، سمح الخلق ، تطفو على محياه الانيس الوديع سحابة رقيقة بيضاء تترك في قلب محدثه ظلا حنونا وصدى رخيما ..... "(٣)

ومما يدل على تقدير الناس لفوزى واحترامهم لشخصيته ومناقبه وسجاياه الاحتفالات التأبينية التي اقيمت لذكراه ، واهتمام الصحف العربية والاجنبية في المهجر والوطن لرثائه وافراد الصفحات العديدة في درس ادبه والتغني بمزاياه . وقد اجمعت في معظمها على ان فوزى كان يتمتع بمستوى اخلاقي رفيع فيه الكثير من المثالية .

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ١١ ـ ١٤ .
(٢) المصدر السابق : ٥٩ ـ ٦٠ .
(٣) مجلة الرسالة المخلصية ـ اضواء على فوزى المعلوف : ٧٨ .

ق — ثقافة فوزى المعلوف :

بعد ان تدرب فوزى على والده واجاد القراءة والكتابة التحق بالكلية الشرقية حيث قضى معظم سني دراسته النظامية الا سنة واحدة درس فيها في مدرسة الفرير الكبرى في بيروت . فأصبح من اليسير على الباحث ان يتتبع مصادر ثقافة فوزى البكر والفواعل التي كونتها ، وذلك لتوفر وجود لائحة بالمواد التي كانت تدرس حينذاك . وفي الصفحات التالية سأورد التخطيط العام للمناهج الافرنسية والعربية التي كانت تدرس في الكلية الشرقية لطلاب الصفوف المنتهية الثلاثة منقولة عن كتاب الكلية الشرقية لسنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ (١).

لائحة المواد العامة للصفوف الثلاثة المنتهية

أ — الدائرة العربية للصفوف الثلاثة المنتهية (٢) .

١ — الصف الاول — القسم الاول من السنة .

* تاريخ آداب اللغة العربية " كتاب الطرف الادبية في تاريخ اللغة العربية من وضع عيسى اسكندر المعلوف .
* الخطابة في اعصر الجاهليين والخلفاء الراشدين .
* التخرج في ١٥ قصيدة للمتنبي .
* تعريب بعض مقالات مهمة عن اللغات الاجنبية .
* انشاء خمس خطب علمية وادبية وتاريخية .
* عقد المنثور لبلغاء الكتبة العصريين .
* المطالعة في مقدمة ابن خلدون من الصفحة الاولى الى صفحة ٢٨٠ .
* اللغة في نجعة الرائد لليازجي .
* مطالعة اهم ما في الالياذة العربية .

القسم الثاني من السنة .

* تاريخ آداب اللغة والخطابة في اعصر العباسيين والمتأخرين والمعاصرين .
* التخرج في عشر قصائد يستظهرها الطلبة من شرح المتنبي لليازجي وبعض الدواوين العصرية والالياذة .
* تعريب مقالات مهمة عن اللغات الاجنبية .

---

(١) في حديث لي مع رئيس الكلية الاب بولس عبده بتاريخ ٢٥/ ٢/ ١٩٦٧ قال لي ان هذا المنهج استمر على ما هو عليه دون اى تغيير حتى عام ١٩١٤ .

(٢) كتاب الكلية الشرقية : ٧ — ٩ .

* انشاء خمس خطب علمية وادبية وتاريخية ٠
* عقد المنثور لبلغاء الكتبة العصريين ٠
* مطالعة تتمة ابن خلدون ٠
* الاطلاع على انتقاد شعر المتنبي ٠
* اللغة في نجعة الرائد ٠

٢ — الصف الثاني — القسم الاول من السنة

* البديع والعروض في عقد الجمان والتمرن على تقطيع الشعر ٠
* مطالعة فلسفة البلاغة من الصفحة الاولى الى الصفحة ١٠٤ ٠
* المنطق في قطب الصناعة ٠
* اللغة في نجعة الرائد ٠
* الاعراب البياني في قصائد مشهورة كلامية العرب ونحوها ٠
* حل المنظوم ٠
* تعريب بعض منتخبات مما يدرسونه في اللغات الاجنبية ٠
* انشاء رسائل بليغة وخمس مقالات مختصرة ٠

القسم الثاني من السنة ٠

* التخرج في البديع وقرض الشعر وانتقاء اوزان بعض القصائد ٠
* مطالعة تتمة فلسفة البلاغة ٠
* التخرج في المنطق ٠
* حل المنظوم ٠
* تعريب بعض منتخبات من اللغات الاجنبية ٠
* انشاء خمس مقالات مختصره ٠
* نظم بعض القصائد ٠
* التخرج في نجعة الرائد ٠

٣ — الصف الثالث — القسم الاول من السنة ٠

* النحو المطول من مختصر الارجوزة لليازجي من كتاب الحروف الى مسائل منثورة ٠
* علم المعاني في عقد الجمان ٠
* اللغة في مقامات اليازجي من المقامة ال ٣٠ الى المقامة ال ٤٥ ٠
* الانشاء في المعين للشرتوني من الصفحة الاولى الى الصفحة ال ٤٥ ٠

* التمرن على الاعراب النحوي والبياني ٠
* استظهار خمس قصائد ٠

القسم الثاني من السـنة ٠

* تتمة النحو المطول في الارجوزة ٠
* علم البيان في عقد الجمان ٠
* تتمة مقامات اليازجي ٠
* الانشاء في المعين للشرتوني من الصفحة ال ٤٥ الى الصفحة ال ٩٠ ٠
* التمرن على الاعراب النحوي والبياني ٠
* استظهار ثلاث قصائد ٠

ب - الدائـرة الافرنسيـة (١)

١ - الصف الاعلى - النصف الاول من السـنة ٠

* الفلسفة العقلية والمنطق وشرح الغامض من كتاب النظام الفلسفي لديكارت في الفلسـفة ٠
* جاذبية الثقل والحرارة والصوتيات في الطبيعيات ٠
* لمحة من مراجعة الهندسة الابتدائية والسطوح والمجسمات المستوية السطوح في الهندسـة ٠
* مراجعة التاريخ الحديث من ارتقاء لويس الرابع عشر الملك الى الثورة الفرنساوية ٠ وتاريخ الثورة والامبراطورية وتاريخ الدولة العلية في تلك العصور ٠

النصف الثاني من السـنة ٠

* مبادئ علم ما فوق الطبيعة ومبادئ الفلسفة الادبية ومبادئ الاقتصاد السياسي وتاريخ الفلسفة وشرح مؤلف " بوسـيه " في معرفة الله والذات في الفلسفة ٠
* الكهربائية والبصريات في الطبيعيات ٠
* المجسمات الكروية ومراجعة هندسة المجسمات كلها في الهندسة ٠
* مبادئ علم الهيئة ٠
* تاريخ الازمنة المتأخرة منذ عودة البربون الى الملك حتى ايامنا هذه وتاريخ الدولة العلية في الازمنة المذكورة ٠

---

(١) كتاب الكلية الشرقية : ١٦ - ١٨ ٠

٢ ـ الصف الاول ـ النصف الاول من السنة ٠

* الخطابة ومبادئ تاريخ الفصاحة ٠
* شرح الغامض من تأبين البرنس كونديه لبوسيه ورسالة فينيلون الى الاكاديمية وروايات بوليكيت لكورنيل واندروماك لراسين والنساء العالمات لموليير واستظهار منتخبات منها ٠
* الشبيهات بالمعادن في الكيمياء ٠
* القسم الاول من مبادئ علم النبات ٠
* معادلات الدرجة الاولى لمجهول او اكثر في الجبر ٠
* الدائرة في الهندسة ٠
* تاريخ مملكة لويس الرابع عشر وتاريخ الممالك الكبرى في ذلك العهد ٠
* القسم الاول من جغرافية البلاد العثمانية ٠

<u>النصف الثاني من السـنة ٠</u>

* انتقاد آداب اللغة في كتاب المبادئ الحديثة ٠
* شرح الغامض من تأبين هانريت دى فرانس وهانريت دانكليتير لبوسيه وروايات سينا لكورنيل وبيريناتكس لراسين والميزانتروب لموليير واستظهار منتخبات منها ٠
* المعادن ومبادئ الكيمياء الآلية ، اى النباتية والحيوانية في الكيمياء ٠
* القسم الثاني من مبادئ علم النبات ٠
* معادلات الدرجة الثانية لمجهول واحد في الجبر ٠
* الاشكال المتناسبة والسطوح في الهندسة ٠
* تاريخ الممالك الكبرى منذ وفاة لويس الرابع عشر الى الثورة الافرنسية ٠
* القسم الثاني من جغرافية البلاد العثمانية ٠

٣ ـ الصف الثاني ـ النصف الاول من السـنة ٠

* القسم الاول من علم الادب والمعاني والبيان والقسم الاول من تاريخ علم الادب ٠
* شرح الغامض من الليترن والساتير لبوالو وخطبة بيتون في الانشاء وروايتي اتالي لراسين والسيد لكورنيل واستظهار منتخبات منها ٠
* ما يتعلق بالانسان من علم الحيوان ، في علم المواليد الثلاثة ٠
* العمليات الجبرية الاولى في الجبر ٠
* تاريخ الممالك الكبرى منذ لويس الحادى عشر الى فرنسوا الاول ٠

* جغرافية آسيا في السنة الثالثة من جغرافية فونسين ٠

النصف الثاني من الســـــنة ٠

* القسم الثاني من علم الادب والقسم الثاني من تاريخ علم الادب ٠
* شرح الغامض من روايتي هوراس لكورنيل والمحامين له بلود ور لراسين والصناعة الشعرية لبوالو واستظهار منتخبات من مولفات اعاظم الكتاب ٠
* تكملة علم الحيوان في علم المواليد الثلاثة ٠
* الكسور الجبرية في الجبر ٠
* الكتاب الاول من الهندسة الابتدائية ٠
* تاريخ الممالك الكبرى منذ فرنسوا الاول حتى ارتقاء لويس الرابع عشر عرش الملك ٠
* جغرافية اميركا في السنة الثالثة من جغرافية فونسين ٠

* * *

مما لا شك فيه ان التركيز في مثل هذا المنهاج يقع على الادبين العربي والافرنسي ، وهو منهاج مكثف جدا اذا ما قورن بمناهج الدراسة الثانوية في هذا العقد ٠ وقد جمعت هذه الدراسة بين ادبين : الادب القديم ممثلا بالشعراء الجاهليين والاسلاميين والعباسيين وتاريخ آداب اللغة العربية وما فيها من بلاغة وبيان وبديع وعروض فنلاحظ مثلا الاهتمام بالخطابة في العصرين الجاهلي والاسلامي والتخرج في قصائد المتنبي واللغة في نجعة الرائد وتعريب بعض المقالات وانشاء خطب ومطالعة مقدمة ابن خلدون واهم ما في الالياذه ٠ ونرى من ناحية اخرى بعض العناية في ادب العصر حينذاك اذ يطالب التلميذ باستظهار بعض القصائد من الدواوين العصرية هذا بالاضافة الى كون الالياذه والتعريب افضيا الى الاطلاع على بعض آداب الامم الاخرى ٠ وهنا يبدو لنا ان الثقافة العربية في مناهج الدراسة العربية كانت شاملة او تكاد فلم تخل من المنطق وفلسفة البلاغة وحل المنظوم والتعريب والانشاء والقواعد والخطب وحتى النظم ، وهذه جميعها كانت تنصب في بوتقة ثقافة الطالب ومن جملتهم فوزي المعلوف ٠

كذلك من الملاحظ ان ثقافة فوزي الاجنبية كانت ثقافة فرنسية بدليل الموضوعات التي درسها ٠ وهي ثقافة شملت العديد من كبار الادباء في فرنسا وفلاسفتها كديكارت وبوسيه وفينيلون وكورنيل وراسين وموليير ، فاطلع الطالب على الفلسفة العقلية والميتافيزيقية والمنطق ومبادىء تاريخ الفصاحة وعلم الادب والمعاني والبيان وتاريخ علم الادب بالاضافة الى العلوم الاخرى المذكورة ٠

ولا مشاحة ان مطالعات فوزي المعلوف لم تتوقف عند هذا الحد بل تعدته الى غير هؤلاء

الادباء كأبي العلاء المعرى وعمر الخيام ومطران وغيرهم ـ وهذا ما سنتحدث عنه عند تحليل انتاجه ـ ونجد ايضا في رواية ابن حامد صدى لثقافته العربية ولا سيما اثر الادب الاندلسي وانعكاسا لتأثره بفلوريان . ونلاحظ ايضا انصباب عناية فوزى على الادب الافرنسي من الترجمات التي قام بها كالقصص التي نشرها في مجلة الاثار بالاضافة الى قصة صخرة العشاق لفلوريان [١] وقصيدة ستذكرني [٢] .

وفي المهجر اطلع فوزى على ملامح الادبين الاسباني والبرتغالي ، ويذكر فيلا سباسا ان فوزى قد " درس لغتنا وآدابنا " [٣] . وفوزى نفسه يعرب عن معرفته للغة الاسبانية دون اتقانها اذ يقول " ما انا من المتضلعين من اللغة الاسبانية "[٤] بيد ان معرفته كانت كافية كي توهله لترجمة قصيدة اواه غرناطة الى العربية وقراءة رواية قصر اللؤلؤ الشعرية للمؤلف نفسه وتحليلها كما بينا سابقا ، وتعريب قصيدة " الفينيقيون " عن البرتغالية لا ولافوبيلاك ونظمها شعرا [٦] . هذا بالاضافة الى المقالين اللذين كتبهما عن سيرة حياة كل من الشاعر فيلاسباسا الاسباني والقصاص البرتغالي ملبا طحان .

وفي المهجر ايضا تم التواصل بين الادبين المهجريين الشمالي والجنوبي وتسربت الرؤى الجديدة من الشمال لتتمازج مع رؤى فوزى المعلوف في الجنوب فكان نمو وتألق .

وهكذا نرى انه قد اجتمعت له ثقافات اربع : العربية والافرنسية والاسبانية والبرتغالية فتفاعلت معا في تكوينه الثقافي ، فتوفر لفوزى اطلاع ادبي غذى مواهبه الشعرية وعمقها ، ومن خلال هذا الاطلاع اشرف فوزى على الحركة الرومنطيقية التي طبعت الادب العربي بطابعها ولونته باصباغها ومساحيقها .

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٤٢ .
(٢) ديوان فوزى المعلوف : ٨٠ .
(٣) على بساط الريح : ١١ .
(٤) المقتطف ، المجلد ٧٥ ،ج ٤ : ٤٠٧ .
(٥) المصدر السابق : ٤٠٧ .
(٦) ديوان فوزى المعلوف : ٣٣ .

الفصل الثاني

نشر

فوزي المعلوف

الفصـــل الثانـي

نثـــر فـــوزى المعلـــوف

نمهد لدراسة النتاج النثرى الذى خلفه فوزى المعلوف باستعراض موضوعي وصفي لتأليفه ما نشر منه ، وما ظل حتى الان مخطوطا • وسأعرض في هذا الفصل لانتاجه النثرى اولا ، واعقبه بعد ذلك بدراسة لانتاجه الشعري في الفصل الذى يليه • وقد رأينا ان نقسم انتاجه النثرى الى قسمين رئيسيين :

اولا — المخطوطات النثرية : وهي على نوعين ، ما بلغنا بصيغته الكاملة ومـا بلغنا منه مقتطفات •

ثانيا — النثر المنشـور •

١ — المخطوطات النثريـة :*

أ — رقـي البـلاد	١٩١٢ — ١٩١٣
ب — المعـارف	١٩١٢ — ١٩١٣
ج — الشرق والغـرب	١٩١٣ — ١٩١٤
د — الغنـي والفقيـر	١٩١٣ — ١٩١٤
هـ — الفتاة العربيـة[١]	١٩١٣ — ١٩١٤
و — حمامة في قفـص[٢]	١٩١٥
ز — سلمى او صفحات غـرام [٣]	١٩١٥
ح — على ضفاف الكوثـر[٤]	١٩١٥

---

(١) العناوين الخمسة الاولى هي لخطب دونت بخط اليد في سجل الكلية الشرقية وهو سجل جمعية النهضة العلمية (انظر الذكرى : ١٨) وقد عرضت لاثنين منها اللتين عثرت عليهما • وهناك مقطع من خطبة الغني والفقير في الذكرى : ٩ •

(٢) ذكرى فوزى المعلوف : ١٠ •

(٣) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 166 .
وانظر ايضا ذكرى فوزى المعلوف : ٣٩ •

(٤) المصدرين السابقين •

* ان مقال الشرق والغرب والفتاة العربية ورواية حمامة في قفص مخطوطات لم اعثر عليها او لاى ملخص لها •

ط ـ الجنس اللطيف والضعف (١)

٢ ـ مؤلفات فوزى المعلوف النثرية المنشورة :

أ ـ ابن حامد (٢) ١٩١٦

ب ـ على ضفاف بردى (٣) ١٩١٩

ج ـ شاعر اسباني (٤) ١٩٢٩

د ـ ملبا طحـــان (٥) ١٩٢٠

اما القصص التي قام فوزى المعلوف بترجمتها فلا يبدو انها ذات شأن كبير الا فيمـا يتعلق بقصة فلوريان " كنزلف القرطبي " التي استوحى منها مسرحية ابن حامد • وفي هـذه الترجمات ما يعين على تبيان الاتجاه الرومنطيقي الذى سلكه منذ بواكير انتاجه* بفعل الاتجاهات الجديدة الفعالة في الادب العربي الحديث وبتأثير دراسته الافرنسية والزى الادبي العام الـذى شاع في العصـــر •

* * *

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 166 .

(٢) ذكرى فوزى المعلوف : ١٠ ، ٣٩ •

(٣) المصدر السابق : ٣٩ •

(٤) مجلة الشرق البرازيلية ، السنة الثانية (١٩٢٩) ع ٣٠ : ٧١ •

(٥) ذكرى فوزى المعلوف : ١٤٣ •

* سأعتمد في حديثي على روايتي سلمى وعلى ضفاف الكوثر على عرض الدكتور فايز عون الـذى اعتمد بدوره على الملخصات التي وصلته من والد الشاعر عيسى اسكندر المعلوف اذ هـو المصدر الوحيد المتوفر لدى قطعا •

نثـــر فـــوزي المعلـــوف

من محاولات فوزي المعلوف القصصية المبكرة قصتان هما "على ضفاف الكوثر" و "سلمى"، وهما على حد قول فايز عون، تمثلان مرحلة من مراحل تطور اسلوب الكاتب في بواكير انتاجه [١]. واطروحة عون هي المرجع الوحيد الذي يمكن اعتماده في عرض دراسة موجزة لهاتين القصتين لتعذر الحصول على النصوص الاصلية *.

اما القصة الاولى "على ضفاف الكوثر" فقد اضاف اليها المؤلف عنوانا صغيرا هو "قصة حب". وموضوعها وصف سقوط آدم وحواء، وهذه المخطوطة مؤلفة على ما يبدو من ست وعشرين صفحة، اربع منها مليئة بمقتطفات من التوراة وشعراء وكتاب آخرين [٢]. ولكل فصل عنوان خاص به يلخص مضمونه. ويذكر الكاتب في المقدمة انه لن يتتبع تطور القصة كما جاءت في الكتاب المقدس او كما فعل ملتون في الفردوس المفقود، بل ستكون مقتصرة على الحب دون اى اعتبار للجانب الفلسفي، مستمدا تلك القصة من وحي خيال يرسم نمطين لشخصيتين عاشقتين وهما في حالة البداءة الاولى الطاهرة [٣]. والسؤال الكبير الذي يستهل به قصته هو: لماذا لم يكتشف آدم وحواء عريهما الا بعد ان اكلا من التفاحة؟ ثم لماذا لم يسترا الا عورتيهما؟ ولماذا لم تحبل حواء الا بعد ان تذوقت الثمرة المحرمة؟ واخيرا هل كان آدم وحواء مدفوعين الى عصيان امر الله بغير الدافع الجنسي؟ [٤].

فنحن نستطيع ان نتبين من خلال هذه التساؤلات ان عناية فوزي المعلوف بقصة التوراة لم تكن دقيقة وعميقة نظرا لان فكرة التكاثر في التوراة امر الهي محتم صدر عن الله قبل ان يسقط آدم وحواء في خطيئة العصيان اذ جاء في سفر التكوين: "وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها ..... [٥].

ومن هنا يبدو لنا بوضوح ان الدافع الجنسي لم يكن وراء حقيقة السقوط.

---

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 54

(٢) ibid : 55 - 56.

(٣) ibid : 56

(٤) ibid : 56

(٥) سفر التكوين ١ : ٢٨.

* حصل فايز عون على ملخصين لهاتين القصتين من والد الشاعر عيسى اسكندر المعلوف، وتعذر عليّ الحصول على اى نص لهما بالرغم من اى جهد بذل.

رأى آدم الحيوانات ازواجا تمرح ، فأدرك حاجته الى زوج يأنس اليها . وهـذا يتفق مع ما ورد في التوراة اذ رأى الله انه حسن لادم ان يكون له معين [(١)]. ولكن آدم في قصة فوزى انسان مستوحش يفتقد الى الحب ويتوق الى حواء فيطالب الله ان ينعم عليه بها . وبعد حوار طويل بينه وبين الله يسدى فيه الخالق النصح الى آدم ويؤنبه على تذمره بعد ان جعله سيد الفردوس ينزل الخالق عند رغبة آدم والحاحه ويمنحه حواء ، ثم يوصيهما بأن لا يقتربا من شجرة الطهارة والا سقطا في الخطيئة . وبعد ذلك يعين الله لكل منهما واجباته واعماله التي يجب ان يقوم بها [(٢)] .

كانت الرغبة الاصيلة وراء شعور آدم بحاجته لحواء عند فوزى هي الشوق ، بل قل الحب . ويبدو ذلك بوضوح من العنوان الصغير الذى اضافه الى قصته . ولعل السأم والشوق والحب تضافرت كلها لتحرك مشاعر آدم ولا سيما لدى مرأى الحيوانات ازواجا الاه .

ولست ادرى الى اى حد نجح فوزى المعلوف في عرض فكرته وتجسيدها . ولكن ان صح ما اورده فايزعون من ان فوزى المعلوف قد اطلع على الفردوس المفقود ، فأن فوزى يكون قد حاول ان يعالج فكرة الحب وحدها كما جاء في مقدمته دون ان يلجأ الى المعطيات الفلسفية مثلما فعل ملتون .

وفي رأى الدكتورعون ان هذه القصة اقرب الى موضوع انشائي منها الى القصة [(٣)] وان كانت تباشير موهبة فوزى الذاتية تظهر بوادرها خلل السطور [(٤)] ، ولا سيما اذا تذكرنا بأن فوزى قد الف هذه الرواية الناقصة وهو في السادسة عشرة من عمره .

اما الرواية الثانية فهي رواية سلمى . وقد عني فوزى فيها بدراسة المشكلات والعادات والتقاليد التي ترسف فيها الفتاة الشرقية * ، فاختار بطلا لقصته ، شابا متحررا يدعى (جميل كان قد تلقى علومه في مدرسة اوروبية في بيروت متحررة الفكر ، في حين ان سلمى ، بطلة القصة ،

---

(١) سفر تكوين ٢ : ١٨ .

(٢) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 56 .
كان من نتائج ترجمة التوراة الى العربية ان شاع في العصر تقليد في استيحاء قصص الكتاب المقدس وحكاياته عند شعراء العرب وادبائهم . ومن جملة هؤلاء صلاح لبكي في ديوانه " سأم " الذى استوحاه من قصة الخلق وبداية البدايات .

(٣) ibid : 57 .

(٤) ibid : 58 .

* شغلت هذه الموضوعات الادباء والشعراء في هذا العصر اذ اخذت بتأثير الحضارة الاوروبية والمدارس الاجنبية التي تركت اثرا عميقا في الحياة الاجتماعية تكون قدرا مشتركا بينهم . (انظر انيس المقدسي ــ الاتجاهات الادبية : ٢٥٢ فما بعد) .

كانت تلميذة في مدرسة للراهبات خاضعة لطغيان التقاليد • ويصور لنا المؤلف حياة جميل الذى منح حق اختيار ما يشاء من مؤلفات وروايات ، فينهل منها ويغترف ،على عكس سلمى التي كانت مقيدة باغلال التقاليد الشائعة • فلا تقرأ الا ما يختاره لها ذووها حسب ارشاد الكاهن • وقدر لجميل وسلمى ان يلتقيا في رحاب الكنيسة ويتعارفا •

وفي اليوم التالي عزم جميل على روية سلمى ، فلم يجد بدا من ان يتوسل بالحيلة للوصول اليها ولقائها • فارتدى بدلة صياد وراح يتجول في البساتين المجاورة لبيت سلمى لعله يظفر منها بنظرة • وبعد انقضاء ساعتين اطلت سلمى اخيرا من نافذة حجرتها وهي مرتبكة ، ورأته يضع عند جذع شجرة باقة من الزهر ، الا انها لم تفهم لهذه الهدية معنى لسذاجتها بالرغم من خفقان قلبها • وما كان ذهابها لالتقاط باقة الزهر الا بدافع الغرور اكثر منه بدافع الحب • وهي الكلمة التي لم تكن تدرك معناها حقا • ودأب جميل على تقديم هداياه من الزهور ، وذات يوم راحت امها تلقي عليها درسا في الاخلاق ، فأخبرتها ان لا وجود للحب وعليها ان تحذر اغراء التجربة ، وان على الفتاة المهذبة ان تطيع والديها وتنصاع لاوامرهما • وهكذا نظرا لثقتها العميقة بامها رفضت بعد صراع عقلي وعاطفي عنيف موعد اللقاء الذى كان قد ضربه لها جميل في رسالة كان قد اخفاها في باقة زهر • " في تلك الليلة رأت في المنام ان الملاك الحارس والصليب لم يحرساها ووجدت نفسها بين ذراعي جميل ، وارادت ان تظل هناك طوال حياتها " [1] •وعند هذا الحد تقف القصة ••••

يلاحظ فايز عون ان اسلوب فوزى في هذه القصة سهل ، والقوالب اللفظية الجاهزة ضئيلة [2] الا ان السذاجة طاغية عليها [3] ، وهي سذاجة لا بد منها بالنسبة لمؤلف في عمره يستأثر به الجو الرومنطيقي استئثارا عميقا • وهو ،على ضوء ما وصل الينا من انتاجه المبكر ، واقع تحت تأثير الجو الفكرى العام الذى كان يتنامى في المجتمع العربي الداعي الى الحرية – كما سبق وبينا في الفصل الاول – • فالحب في " على ضفاف الكوثر " هو حب بدائي ، يذكرنا بروسو ونظرته الى الانسان والطبيعة • والحب في " سلمى " ثورة على الطقسية والتقاليد ، والاستسلام الذليل • وليست

---

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 58 - 59 .
(٢) ibid : 58 .
(٣) ibid : 59

هذه هي المرة الاولى التي يحاول فيها فوزى ان يظهر نقمته على واقع الفتاة الشرقية اذ سبق له في احدى خطبه " الفتاة العربية " ان اتخذ نفس الموقف (١) .

وليس في الوسع التحدث بدقة اكثر عن هاتين القصتين لاننا لم نحصل على النصوص الاصلية . والموجزان اللذان وقعا بين ايدينا هما باللغة الفرنسية . وهذا مما حد من بذل اى مجهود شخصي اعم فائدة واكثر اصالة في دراسة انتاجه المبكر .

مسرحية ابن حامد

مسرحية ابن حامد مسرحية تاريخية عاطفية تدور حوادثها في الايام الاخيرة ، قبيل سقوط غرناطة . وتقع هذه المسرحية في خمسة فصول ، ولكل فصل عنوان مستقل ، وقد ساقها ترتيبا على الوجه التالي :

بين الوفاء والحب .

بين العرش والجمال .

بين الخداع والحب .

بين الجامع والنطع .

بين الزوج والحبيب .

ويتألف كل فصل من هذه الفصول من عدة مشاهد تتراوح ما بين سبعة مشاهد واثني عشر مشهدا *.

---

(١) يبدو لي ان نمط شخصية جميل ، وطريقة تفكيره ومفهومه للحياة والمجتمع مستمدة من شخصية فوزى المعلوف . فهو ربيب مدرسة اجنبية متحررة هيأت له فرص الاطلاع الواسع على الاداب الاوروبية . ووجد من والده خير مرشد يعنى به ويوجهه ، ورأى موقف البيئة حوله من الفتاة الشرقية التي ظلمتها التقاليد فحاول ان يصور هذه الحال من خلال هذه القصة .

* الفصل الاول مؤلف من سبعة مشاهد .
الفصل الثاني مؤلف من عشرة مشاهد .
الفصل الثالث مؤلف من احدى عشر مشهدا .
الفصل الرابع مؤلف من تسعة مشاهد .
الفصل الخامس مؤلف من اثني عشر مشهدا .

بذور هذه المسرحية قائمة في التاريخ الاندلسي • ولعل اوفى الكتب التي عنيت بهذا الموضوع من اثار القدامى كتاب " نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر او تسليم غرناطة ونزوح الاندلسيين الى المغرب " [١] • ومع هذا فأننا لا نجد في هذا الكتاب ما يفي المأساة الغرناطية حقها من البحث العميق والتوسع الشامل • لهذا ،كان الحديث عن مأساة العرب في غرناطة وسقوط آخر معاقلهم في يد الاسبان عيالا على المصادر الاجنبية[٢].

ولقد اثارت مأساة غرناطة قرائح شعراء الغرب وادبائه فكان من جملتهم فلوريان مؤلف قصة " كنزلف القرطبي " وشاتو بريان صاحب قصة " آخر بني سراج " • وقد تأثر فوزى بقصة فلوريان اذ وجدت صدى عميقا في مزاجه الرومنطيقي وعكست حقيقة واقع يعانيه العالم العربي في ظل الاستبداد العثماني •

ويجمل بنا في مستهل هذه الدراسة ان نتقصى المصادر التي استقى منها فوزى المعلوف احداث مسرحيته وهي :

اولا — قصة فلوريان " كنزلف القرطبي " •

ثانيا — التذييل الذى الحقه شكيب ارسلان برواية " آخر بني سراج " ولا سيما الصفحات الواقعة ما بين ٣٢٨ — ٣٣٣ •

ودليلي على ذلك ما اقتبسه فوزى من عبارات كاملة لم يبدل الفاظها • وهنا الفت انتباه القارىء الى ان تاريخ الطبعة الاولى من كتاب شكيب ارسلان يقع في عام ١٨٩٧[٣] • وبهذا لا يتسرب الشك بأنه قيض لفوزى المعلوف الاطلاع على هذا الكتاب والاقتباس منه مقتطفات وزعها على مشاهد مسرحيته ،كما سنبين فيما بعد * •

اما قصص الحب المستمدة من مأساة غرناطة فهي على الارجح من وحي خيال الغربيين اذ ان المصادر العربية التي بين ايدينا لا تشير الى هذه القصة قط [٤] ،وانما هي متداولة عند مؤرخي الافرنج دون ان يعرفها كتاب العرب او تشتهر عندهم،ومن المرجح انها من اوهام الاسبانيول وخيالاتهم [٥] •

---

(١) مؤلف الكتاب مجهول • ضبط هذا الكتاب وحققه الفريد البستاني — العرائش — المغرب مطبعة الفنون المصورة (١٩٤٠) •

(٢) ارسلان ، شكيب — ترجمة رواية آخر بني سراج لشاتوبريان : ٦٣ — ط٢ (١٩٢٥) •

(٣) المصدر السابق — صفحة العنوان بعد فهرس الكتاب •

(٤) المصدر السابق : ٦٥ •

(٥) المصدر السابق : ٦٥ • وانظر ايضا ...... AOUN,FAIEZ - FAWZI MA'LOUF: 68

* تبين لي بالمقارنة ان فوزى المعلوف لم يتأثر بقصة شاتوبريان آخر بني سراج •

وهناك قصة مصدرها اجنبي عن " ملكة من بنات ملوك غرناطة علقت بحب احد الشبان من عشيرة بني سراج ، الموصوفين بالجمال وضربت له موعدا للقاء في احدى خلوات القصر الشهير ، فاجتمعا ساعة هي بالعمر اجمع ... وقد كانت كذلك ، يتناجيان ويتغازلان . ولكنهما بغتا وهما على تلك الحالة ، ونعي امرهما الى السلطان فاستشاط غضبا ، واستحضر لديه اكثر رجال بني سراج وامر بضرب اعناقهم في المكان المسمى بقاعة الاسود من حمراء غرناطة فقتلوا جميعا . ومن خرافات الاسبان انه لم يزل يسمع لرؤوسهم صدى عند خفوت الاصوات وانسدال حجب الظلام ، وهو صدى المقتولين بغيا وظلما "(١) .

وفي هذه الدراسة لمسرحية ابن حامد سأحاول ان ابين مدى تأثر فوزي بفلوريان وهذا الملحق .

<u>تحليل المسرحية</u>

لا ريب ان فوزي المعلوف قد تأثر بقصة فلوريان (٢) كنزلف القرطبي الى حد بعيد . ولتبيان هذه الحقيقة سأقدم موجزا لقصة فلوريان على سبيل المقارنة .

تروي قصة فلوريان (٣) على لسان فتاة اندلسية تدعى سليمى (٤) ، فتعيد على مسامع كنزلف القرطبي مأساة ابن حامد ودريد اللذين نشآ معا منذ عهد الطفولة حيث كانا يلتقيان في جنة العريف فيتقاسمان اللعب واللهو . واحب كل منهما الاخر حبا جما ، وكان ابن سراج كريما شجاعا شهما . فحين وقع والد دريد ، ابراهيم ، في قبضة كنزلف توجه اليه ابن سراج وانقذ ابراهيم من اسره . وكان ابراهيم قد وعد ان يزوج ابنته ممن ينقذه . ولكن ابا عبد الله سلطان غرناطة اعترض على زواجهما لانه كان ينافس ابن سراج في حبها . ولكي يجد حلا للمشكلة لجأ الى الحيلة والدهاء ، فاستغل مشاعر ابن حامد الوطنية والعاطفية ، وعهد اليه في المحافظة على علم البلاد في اثناء قتاله للاسبان . فأذا انتصر عليهم وحافظ على العلم تكون دريد من نصيبه والا فجزاؤه العقاب .

---

(١) ارسلان ، شكيب ـ آخر بني سراج : ٦٤ .

(٢) من حيث انه تعذر الحصول على رواية فلوريان كنزلف القرطبي تعذرا تاما في مكتبات بيروت العامة والخاصة لم يعد في الوسع الا الاعتماد على ملاحظات فايز عون بما يتعلق بالمقارنة بين ابن حامد وكنزلف القرطبي وبتلخيصه للقصة .

(٣) هذا الموجز مترجم عن تلخيص فايز عون . انظر :
AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 68 - 71.

(٤) المعلوف ، فوزي ـ ابن حامد : مقدمة الناشر .

ورضي ابن سراج بهذا الشرط بدافع من وطنيته وحبه • بيد ان بني الزغرة ، اعداء بني سراج وبالاخص ابن حامد ، بعثوا سرا الى كنزلف ، فكمن مع رجاله لكثيّر اخي ابن حامد وهاجموه على حين غرة واستولوا على العلم • وفي هذه المعركة قتل ابراهيم والد دريـــد ، وجرح ابن حامد حتى كاد يموت ، واصيبت دريد بحمى كادت تقضي عليها ايضا • فانتهز ابـو عبد الله هذه الفرصة واخبرها انها في حل من وعد ابن سراج ، وانها ان لم تقبل به زوجـا فأنه سيحكم عليه بالموت • وخوفا على حياة من تحب رضيت بالواقع مكرهة •

وكان المنصور ، اخو ابي عبد الله ، كريم النفس شهما على عكس اخيه • فنقل ابـــن سراج الى قصره واشرف على علاج جراحه وآلامه ليتمكن من الارتحال الى افريقيا • الا انه غافل المنصور ومضى متنكرا لرؤية دريد في الحمراء ، فكشف امره اربعة من بني الزغرة هم : علي ، وسهل ، والمقتدر ، ومفرج • فذهبوا ووشوا به الى ابي عبد الله واتهموه بخيانة شرف الملك مع دريـــد • فالقي القبض على ابن حامد وقتل وهو يهتف ببراءة دريد ، وقتل اخوته واحدا تلو الاخر • ثـم ذهب فتى من الموالين لبني سراج واخبرهم بالمأساة ، فهاجموا القصر ونشبت معركة بينهم وبيـــن الحراس انتهت برحيل بني سراج من غرناطة الى قرطبة •

ولم تكن اخبار المأساة قد وصلت الى مسامع دريد بعد ، ولكنها عرفت بها من وصيفتها ايناس ، وهي اسيرة اسبانية ، فجاءت الى حيث اجتمع الناس وكان من بينهم رجال بني الزغرة الاربعة • فوجهت اليها تهمة الخيانة ، واعطيت مهلة ثلاثة ايام ريثما تجد من يدافع عنها والّا حكم عليهـــا بالموت • فاقترحت عليها وصيفتها ان تستنجد بالنبيل كنزلف فنزلت عند رأيها وارسلت اليه تدعوه كي يسرع لانقاذها • وجاءها الرد من " لارا " رفيق كنزلف في السلاح ، بأنه قادم لمعونتهـا " وانه سيحل محل كنزلف الذى كان موجودا حينذاك بفاس " • وتطوع ايضا المنصور الذى كـان يحب فتاة تدعى مريم للدفاع عن دريد ولكنها ابت عليه ذلك ، وطلبت منه ان يشرف على سيـــر المعركة • ووصل لارا وجماعته في الوقت المعين وهم متنكرون بزى الاتراك ، وفتكوا برجال بنـــي الزغرة الاربعة • وفيما كان مفرّج يلفظ آخر انفاسه اعترف ببراءة ابن حامد وطهارة دريد ، فطلب منها ابوعبد الله ان تعود الى الحمراء معه ، الا انها صرخت : انقذوني من هذا الطاغية •

حكم القضاة ببراءتها ، ولكن حالتها لم تكن خيرا من حالة حبيبها القتيل • اما ابـــو عبد الله فعاد الى الحمراء وهو يعاني مرارة الخيبة • ورحلت دريد بصحبة ايناس من غرناطة الـى قرطبة تحت حراسة المنصور حيث التجأ بقية بني سراج • وفيما بعد التقى بها لارا بينما كان يبحث عن صديقه كنزلف ، تبكي بجوار قبر ابن حامد على امل ان توارى وصيفتها رفاتها حين تموت بجوار

رفات من تحب .

اما مسرحية فوزى المعلوف فهي تشبه هذه الرواية الى حد بعيد ، احداثا واسماء . ولكن فوزى اجرى عليها بعض التغييرات وضغط احداث القصة لتصبح صالحة لمقتضيات المسرحية واصولها .

ففي الفصل الاول تكشف لنا المشاهد عن الابطال الرئيسيين في المسرحية : ابو عبد الله ، وعلي ، وابراهيم ، ودريد ، وابن حامد والوشائج التي تربط ما بينهم . فأبو عبد الله ينافس ابن حامد على حب دريد التي ترفض كل عروضه وتحتقره . وعلي يحرك خيوط المؤآمرة ضد ابن حامد انتقاما وحقدا . وابراهيم والد دريد يزدرى بأبي عبد الله ويأبى ان يتنازل عن وعده لابن حامد الذى انقذ حياته . وبذلك يضعنا فوزى المعلوف منذ البداية امام العقدة التي تدور حولها الاحداث ، وندرك في الوقت ذاته ان غرناطة محاصرة بالاعداء[1].

اما الفصل الثاني ففيه نأمة من يقظة ضمير ابي عبد الله حيث يتناسى ، للحظات ، حبه لدريد ويتنبه للخطر المحدق بالمدينة ويحاول ان يجد حلا للمشكلة . فأن رسولا من قبل فرناند قد وصل الى القصر يطالبه بالتسليم ، وبعد ان يكون ابوعبد الله عازما على القضاء على ابن حامد بتحريض من علي نراه يصفو قلبه عليه ، فيقف ابن حامد مشددا عزائم ابناء قومه . ويختم الفصل بالمؤآمرة التي يحوكها علي وتابعه حمداذ يطلب من تابعه ان يسرق العلم الذى عهد به الى ابن حامد ، الذى ان حافظ عليه كانت دريد نصيبه والا فالموت جزاؤه [2].

اما الفصل الثالث وهو ذروة المأساة ، يودع فيه ابن حامد دريد وينضم والدها الى معسكر ابن حامد ويتعهد بحراسة العلم . وحين يصبح وحيدا ، ينسل حمد الى جواره ويطعنه بالخنجر ، ويتوارى بعد ان يسرق منه العلم . ويتسلل جنود من الاسبان نتيجة لخيانة علي وحمد فتنشب معركة غير متكافئة بين الفريقين يصاب فيها ابن حامد بجرح خطير [3] .

وفي الفصل الرابع يتزوج ابوعبد الله من دريد بعد تهديدها بقتل حبيبها الملقى في غياهب السجن بتهمة الخيانة . فلم تجد بدا من ان ترضخ لارادته . وفي السجن تصل ابن حامد اخبار زواج دريد من ابي عبد الله مشوهة على لسان حمد ، فيفقد ابن حامد كل امل له في الحياة بعد ان يؤكد له حمد خيانتها . ويطلق ابوعبد الله سراح ابن حامد وفاء منه بوعده لدريد شرط

---

(١) ابن حامد : ٨ ، ٩ ، ٢١ .
(٢) المصدر السابق : ٣١ ، ٤٥ ، ٤٨ .
(٣) المصدر السابق : ٥٣ ، ٦٧ ، ٦٨ .

ان يظل منفيا بقية حياته في افريقيا (١) .

اما الفصل الاخير فتدور حوادثه في جنة العريف حيث يتسلل ابن حامد متنكرا بملابس زنجي للقاء دريد بعد ان غافل الحراس، وبالاخص علي . فيفاجىء دريد بظهوره المباغت . وبعد ان يطلع على الحقيقة يدرك خطأه ويعتذر لدريد على الشكوك التي راودت نفسه ، ويقسم ان ينتقم من ابي عبد الله ، فتردعه دريد عن ذلك لان ابا عبد الله اصبح زوجها . ويراه علي وحمد يحادث دريد فيشيان بهما الى ابي عبد الله الذى يحتدم قلبه حقدا ، ويأمر بالقبض على ابن حامد وقتله . وتظهر دريد على المسرح فترى جثة حبيبها مضرجة بالدماء فتجن . ويعرف بنو سراج بما حدث لسيدهم فيهاجمون القصر ويشتبكون مع الحراس في معركة ضارية يقتل فيها علي . ولكنه قبل موته يعترف بالحقيقة ويقر ببراءة ابن حامد ودريد . اما دريد فما برحت تضرب برأسها الارض قرب جثة ابن حامد حتى الموت .

وفي اللحظات الاخيرة يستفيق ضمير ابي عبد الله ولكن بعد فوات الاوان ، اذ يدخل الجنود الاسبان غرناطة ويطلبون منه التسليم . وهكذا يسدل الستار على هذه المأساة (٢) .

في وسع الباحث ان يرى في هذين العرضين الموجزين للقصة والمسرحية تشابها كبيرا . ويمكن استخلاص اوجه الشبه بما يلي :

اولا ـ تشابه الاسماء في المسرحية والقصة وهي اسماء دريد ، وابن حامد ، وابو عبد الله ، وابراهيم .

ثانيا ـ ابن حامد هو الذى انقذ والد دريد من اسر كنزلف .

ثالثا ـ تشابه خيوط المؤامرة التي نسجت حول ابن حامد .

رابعا ـ مسرح الاحداث واحد ، وهو قصر الحمراء وغرناطة .

خامسا ـ حدوث معركة في القصر انتقاما لمصير ابن حامد .

سادسا ـ مصير ابن حامد واحد ايضا في المسرحية والقصة .

سابعا ـ ابو عبد الله ينافس ابن حامد على حب دريد في المسرحية والقصة .

ثامنا ـ يقوم ابراهيم في المسرحية بدور كثير ، شقيق ابن حامد في القصة ويسرق منه العلم .

تاسعا ـ استخدام سلاح التهديد ذاته لاجل الحظوة بدريد .

---

(١) ابن حامد : ٧٦ ـ ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) المصدر السابق : ٩٣ ـ ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٠ ـ ١١٠ .

اما اوجه الخلاف فمنها :

اولا ـ ظهور شخصيات اخرى في القصة لم يرد ذكرها في المسرحية ، كالمنصور ، ومريم ، وايناس ، ولارا .

ثانيا ـ مجيء لارا ورفاقه لانقاذ دريد من مصيرها والقضاء على بني زغرة الاربعة .

ثالثا ـ دريد فلوريان تقضي بقية حياتها بجوار قبر حبيبها في حين ان دريد فوزي تجن وتموت .

رابعا ـ التشديد على العنصر العاطفي في القصة في حين ان المسرحية تعنى بالناحية التاريخية والوطنية ايضا .

هذا من حيث البناء العام . ولم يكن بد من ادخال تعديلات مراعاة لمقتضيات المسرحية وجريا مع خصائصها . وثمة تغييرات من طبيعة اخرى طرأت على شخصيات المسرحية كما ان وجوه تشابه اخرى قاربت بينهما على نحو ما يتبين ادناه :

اولا ـ ابو عبد الله

ان شخصية ابي عبد الله في المسرحية تبدو اكثر طيبة وسماحة بالرغم من ضعفها واذعانها لرغباتها ، في حين اننا لا نلمس ذلك في الرواية . فأن حزن ابي عبد الله مثلا عند فلوريان يتولد عن خيبة امل لا اسفا على موت بني سراج او مصير دريد (١) . والحقيقة ان شخصية ابي عبد الله اجتمعت فيها المتناقضات ، ففي بعض المواقف يفقد احساسه بالزمان والمكان فلا يتورع عن التسلل تحت جنح الظلام الى جنة العريف ليتزود من دريد بنظرة تملك عليه شغاف قلبه ، او يحوم حولها كما يحوم الفراش حول الزهرة (٢) وينتهز الفرصة كي يتذلل امامها . يقول ابو عبد الله :

"ـ .... اسير غرام في يديك زمامه "

ويحاول ان يغريها بكل عروض الدنيا لعل ترضى به وتجفوا ابن حامد . بل ان الموقف يكون اكثر وضوحا في مناجاته تحت ظل الاشجار حين يقول :

ـ " فديتك يا دار الحبيبة موردا   يحوم عليه طير قلبي للـــورد

....

تعلقها قلبي لاول نظـــــرة   فهل عندها من لوعة الحب ما عندي

---

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 71

(٢) ابن حامد : ١٦ .

فسبحان من اعطى الهوى كل سلطة   فكل مليك فيه اطوع من عبد "(١)

وهذا الحب يدفعه الى الحقد والنقمة والتهديد ،فها هو يصرخ في وجه دريد بعد ان خذلته :

ـ " حذار ايتها الفتاة الشامخة ٠ انت قوية بنظراتك الفتانة وابتساماتك الساحرة ، ولكنك ضعيفة امام قوتي وسلطاني فلا تنسي ان حبيبك تحت مطلق تصرفي افعل به ما اشاء ٠ فكلما زدت نحوه حبا زدت عليه حقدا ٠٠٠٠٠٠ " (٢) ٠

وفي مكان آخر يقول لها :

ـ " سترين كيف امتلكك بالرغم عنك " (٣) ٠

وتبلغ ذروة نقمته وحقده حين ينتهز فرصة سقوط ابن حامد جريحا والصاق تهمة الخيانة به ،فيذهب اليها بكل دناءته مهددا متوعدا ان تقبل به زوجا والا قضى على حبيبها ٠ يقول لها :

ـ " ٠٠٠٠ اذا قبلت بي بعلا لك عفوت عن حياة ابن حامد واكتفيت بنفيه من غرناطة "(٤)٠

ولكن هذه الشخصية في قرارة نفسها ليست حاقدة ابدا وليس الحقد والضغينة من جوهرها ،انما اعماها الحب ٠ ففكرة الشرف كثيرا ما كانت ترده عن الايقاع بأبن حامد وايذائه ، فتتردد على لسانه عبارات كهذه :

ـ " كفى يا علي ،فمن العار ان افرق بين قلبين جمعهما الحب ٠ وفضلا عن ذلك فأبن حامد انقذ والد الفتاة من الاسر فهي له وهو لها ،وان صيانة عرشي تقضي بعدم اغضابه "(٥) ٠

وحين تهدأ سورة غضبه يتحول الى ذلك الانسان الطيب السموح ، ويستيقظ فيه ضميره ٠ اسمعه يقول :

ـ " على من الحق يا علي ؟ ومن بدأ بالتحرش؟ السنا نحن ؟ لولم ندخل عليها ونطارحها الغرام لما خاطبتنا بتلك اللهجة ٠

علي ـ وماذا انت صانع اذن ؟

---

(١) ابن حامد : ١٠ ٠
(٢) المصدر السابق : ١٩ ٠
(٣) المصدر السابق : ١٩ ٠
(٤) المصدر السابق : ٧٩ ٠
(٥) المصدر السابق : ٩ ٠

ابوعبد الله - سأتركها وشأنها ، فمن العار على سلطان مثلي ان يعرض بنفسه للاهانة فذلك مما يحط من قدرى .

علـــــي - افتصبر اذن على ما نالك من الاهانة ؟

ابوعبد الله - نعم سأصبر فأن الصبر بالملوك اجدر . والرجل من اذا قدر فعفـا "(1) .

وحين ينفرد ابوعبد الله بنفسه، يتراءى له الماضي ويتحرك في اعماقه ضمير خدرتـــه عاطفة الحب فيناجي نفسه (2) :

" وقفت بين الهوى والعرش والهفـي فالقلب يدفعني والعقل ينهانـــي
اذا اشتريت الهوى بالعرش افقرنـــي وان فديت بحبي العرش اشقانـــي
. . . .
لا كان سلطاني المشؤوم طالعـــــه اذا اذل جمال الغيد سلطاني "

وتتجلى يقظة الضمير عند ابي عبد الله في موقف من مواقفه الوطنية (3) :

- " . . . . . ولكن عفوا يا اجدادى عفوا . سأكفر عما مضى بسلوكي المقبل . سأترك الحب واتفرغ لمصلحة وطني . سأبعد عني كـل مفسد واصم اذني عن سماع وشايات علي - يلمح عليا - هــه، اراك لا تزال هنا يا علي .

علـي - لم اكن هنا يا مولاى فقد وصلت الساعة لعلك بحاجة اليّ ، فمـا فعله مولاى ؟

ابوعبد الله - سأفعل ما يوحيه اليّ ديني ووطني . سأترك هذا الحب فأنــه يكلفني كثيرا " .

ويتطور هذا الشعور عند ابي عبد الله بحيث انه يتغاضى عن جميع عواطفه ويصافح ابن حامد ويوليه ثقته لاجل تحرير غرناطة من الاسبان . يقول محدثا ابن حامد بعد ان كان يود موته :

- " عاشت همتك يارئيس بني سراج وبورك في اخلاصك " (4) .

بل انه في موقف من المواقف يسعى للمحافظة على حياته . يقول محذرا عليا بعد ان عرض عليه تسليم العلم المقدس لابن حامد على ان يحافظ عليه فتكون دريد من نصيبه :

- " حسنا ، ولكن احذر ان تكون هناك مكيدة لاغتياله . . . "(5) .

---

(1) ابن حامد : 31 .
(2) المصدر السابق : 33 .
(3) المصدر السابق : 37 .
(4) المصدر السابق : 45 . وانظر ايضا 38 .
(5) المصدر السابق : 39 .

الا ان يقظة الضمير تتخذ اروع اشكالها في المناجاة المسرحية التي يختم بها فوزى المعلوف المشهد الحادى عشر من الفصل الاخير [١] .

- " جاء دورك ايها الضمير فقم وعذبني . هذا يومك ايها العدل ، فهيا واقتص مني . اقتص من الظالم . اقتص من القاتل .

ايان ملت ارى الدماء الجارية واسمع الزفرات المتصاعدة . الاشباح تحيط بي من كل جانب ، الاموات يطالبونني بدمائهم ، واللعنات تتساقط عليّ من كل صوب . تبوأت العرش فكان سقوطه عن يدى ووليت الحكم فكان الجور أبي ، وعرضت لي السعادة فأذا بي الطخ وشاحها بالدماء البريئة . فيا ويلي من غضب السماء بعد غضب الارض .... " .

لشد ما يشيع النفس الشكسبيرى في هذه النجوى . فأن مثل هذا المناخ النفسي المضطرب يحطنا الى لحظات الندم الكبرى التي تأزمت فيها نفس الملك في مسرحية " هملت " ، اذ يدرك كل منهما ان اوان التوبة قد فات وان وجه السماء قد اغلق امام طلب الرحمة [٢] ، فيصرخ الى الملائكة متوسلا :

الملك - " ... . اعينوني ايتها الملائكة ، وحرروني من حالة عدم التوبة هذه " [٣] .

وترتعش شبه هذه الصرخة على شفتي ابي عبد الله حين يرى شبحي ابن حامد ودريد تواكبهما الملائكة [٤] :

- " رحماكما ، رحماكما .... " .

ولكن لا سميع ولا مجيب ، ويحل به العقاب : فقدان الملك .

وهناك جانب آخر من جوانب شخصية ابي عبد الله هو جانب التسليم بالقدر . فما هو مقدر محتوم :

- " .... باطل اجتهادنا في معاكسة الارادة الالهية ، فقد كتب عليّ ان اكون شقيا وان يذهب هذا الملك عن يدى " [٥] .

---

(١) ابن حامد : ١١١ .

(٢) HAMLET : 109 . INTERLENEAR EDITION .

(٣) ibid : 109 .

(٤) ابن حامد : ١١١ .

(٥) المصدر السابق : ٤٤ .

ويقول ايضـــا :

ـ " وما الفائدة من الدفاع وغرناطة ان لم تسقط اليوم فستسقط غدا " [١] .

وايضا :

ـ " ليقض الله بما يشاء فلم نفعل غير واجباتنا " [٢] .

ولا ريب في ان فكرة الاعتقاد بالقدر كانت متغلغلة في نفس ابي عبد الله ، وكان يومن بها ايمانا عميقا ولو كان هو ضحيتها . ومن هنا كان في كثير من الاحيان يستسلم للواقع اذ لا مفر منه دون اى جهد يبذله * .

وهكذا تبرز لنا هذه الشواهد اجتماع النقائض في شخصية ابي عبد الله التي كان في اسّها الضعف امام الحب والجمال ، وسيطرة العاطفة على العقل . ولكنه لم يتحرر مـــن الطيبة قط ولا من الشعور بالشرف . ففي كل مرة يقع فيها تحت تأثير علي كان يرجع الى نفســه بدافع الشعور بالكرامة الا ان رغباته وضعفه وحبه كانت اقوى منه فيعود ويرضخ لعلي [٣] .

<u>ثانيا ـ علـــــي :</u>

اما الشخصية الثانية التي تمثل جانب الشر المطلق فهي شخصية علي ، رئيس بني زغرة ، وعدو ابن حامد الالد . وهو يقوم في المسرحية مقام رجال بني زغرة الاربعة في قصة فلوريان . وفي خاتمة حياته يتخذ دور مفرّج . ودوره في القصة اتاح لفوزى ان يخلـــق شخصية مسرحية غنية حية . وكرديف له كان تابعه حمد ، انما الفرق بين الاثنين ان عليا كـــان همه من دنياه هو الانتقام دافعه في ذلك الحسد [٤] ، في حين ان حمد كان يسعى وراء المال [٥] . وهذا الحقد الذى تنامى في صدره جعل منه شخصية خطيرة فاستشرف على نواحي الضعف فـــي ابي عبد الله واستغلها ايما استغلال . فهو لم يهاجم دريد مباشرة وانما اراد ان ينتقم من ابـــن حامد عن طريق حبه . فأوغر صدر ابي عبد الله عليه . يقـــول :

---

(١) ابن حامد : ٤٤ .

(٢) المصدر السابق : ٤٤ .

(٣) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 63 .

(٤) ابن حامد : ١١٠ .

(٥) المصدر السابق : ٤٩ ، ٦٨ ، ١٠٦ .

* جاء في تذييل آخر بني سراج ما يلي : " وتذكروا جميع اقوال المنجمين عند ولادة ملكهـم ـ ابي عبد الله ـ وما قيل بشأن شقوط غرناطة ليلة اخذ قلعة الصخرة " ٣٢٨ .

علـــــي ـ " ما الذنب ذنب فتاة لا تميز بين امسها وغدها ، وانما ذنب من اغراها وزرع بغضك في قلبها ، فأنت تعرف ابن حامد وتعرف مبلغ عدواته لك ، فمتى انتقمت منه خلا لك الجو بها .

ابوعبد الله ـ اواه ، من لي بتلك السعادة .

علـــــي ـ اذا قتلت حبيبها سلته فقلوب النساء في الهوى كالريشة يلعب بها الهواء "(١).

همس شيطاني راح يهمس به في اذن ابي عبد الله الواله ، وهو بذلك يضرب على وتر حساس ضعيف يستجيب له ابوعبد الله ويخضع امام طغيانه . ويستخدم الاسلوب النفسي ببراعة فيحاول ان يثير غرور ابي عبد الله والشعور بالكرامة :

علـــــي ـ " اذا كنت تخشاه فذلك امر آخر ....."(٢) .

التحدى . وفيه يحاول علي ان يحطم كل عقبة تقف امام اصرار ابي عبد الله ليحقق من وراء ذلك غايته ، فيزين له الامور مع هذا التحدى بمعسول القول واغراء الاماني وكأنما الامر طوع يمينه . فهو يقترح حلا مبطنا بالتآمر والدسيسة بحيث لا يشعر ابوعبد الله بتأنيب الضمير ويهون عليه الجريمة (٣) :

علـــــي ـ " استعفوعن ابن حامد وتسمح له بدريد ، اليس كذلك ؟

ابوعبد الله ـ بلـــــى .

علـــــي ـ من رأيي يا مولاى ان لا تعفوعن ابن حامد بلا مقابل .

ابوعبد الله ـ ما هو ذلك المقابل ؟

علـــــي ـ هو ان تجعل التقادير حكما بينك وبينه ويكون مهر دريد علم المملكة المقدس " .

يدرك علي ان ابا عبد الله يؤمن بفكرة التسليم للقدر(٤) ، وها هو يستغل هذا الضعف وينفذ منه الى غرضه . والواقع ان عليا يحاول ان يستخدم كل ما لديه من اسلحة للقضاء على ابن حامد ، فسرعان ما ينتقل من موقف لموقف ببراعة لا تترك ملمحا للشك في نفس ابي عبد الله . فتارة يحرك فيه الشعور بعظمة السلطان وابهة الملك :

علـــــي ـ " وهل تترك ابن حامد بلا عقاب . ووالله لم ار قبل اليوم رجلا تمرد على سلطانه . ومتى كان مجلس السلاطين معرضا لبذاءة العبيد . الا تتذكر استخفافه وتهديده ؟ "(٥) .

---

(١) ابن حامد : ٨ .
(٢) المصدر السابق : ٩ .
(٣) المصدر السابق : ٣٨ .
(٤) المصدر السابق : ٧٤ ، ٧٥ .
(٥) المصدر السابق : ٣٧ ـ ٣٨ .

وطورا يأتيه من باب القلب والحب حين لا يجد منه اذنا صاغية :

علـــي — " ودريد ؟ وهل نسيت دريـدا وهي في الحسن آية الناظرينـا
افتسلو جمالها بعد ان كنـــت له عابدا (وبـــه) مفتونـا
ليت شعرى اهذه شيمة العشـــاق وهذي صبابـة العاشقينـا " (١)

ثم ان عليا لا يرى حرجا في اعتماد الكذب فضلا عن التآمر . فيقسم بأن لا يد له في فقدان العلم وفي نكبة ابن حامد ومصرع ابراهيم والد دريد (٢) . وهو بذلك يحـرض الملك على قتل ابن حامد متوسلا باحكام القدر . والحقيقة اننا لا نجد تصويرا لشخصيـة علي ادق من تصويره لنفسه حين يقول :

" بشرارة مكـر من فكــرى اوقدت الفتنة في القصـــر
فعليّ انهض وابطش بطشـا اتت الفرصة فانهش نهشـا
وافتن وافتك وانحر وامكـر فدم الاعدا خمـر احمـر
ودهاك فهزبه الارضـا شرقا غربا طولا عرضـا " (٣)

وماذا وراء هذه الثورة العارمة المتأججة في صدر علي ؟ ويأتينا الجواب واضحـا على لسان علي نفسه :

" وانت يا ابن حامد ، حذار حذار فأن الذى استهزأت به وانتصرت عليه معد لك حبائل الابالسة وعذابات الجحيم . خلقك الله محبوبا وخلقني مكروها ، وميزك عني بالشجاعة ايضا . ولكن القوة ليست للسيف ولا للفضائل وانما هي للرؤوس المملوءة بالحيلة " (٤) .

وما هو لون العذاب الذى يروى غليل انتقامه ؟ اسمعه ايضا يقول متوعدا ابن حامد :

" سأذيقك عذاب الموت فأنتشل دريدا من يديك لاضعها بين ذراعـي ابي عبد الله . ثم انزلك الى القبر محمولا على عواصف انتقامي فاستعد " (٥) .

ان انتقام علي يعتمد العذاب النفسي المريع .

اما مكيافيليته فتظهر بوضوح في بقية هذه الصرخة الفرحة المجنونة :

" يظن السلطان انني افعل ما افعل لاجل مصلحته ، ولكنه لا يعلم ان ذلك كله في سبيل انتقامي ، وماذا يهمني ابوعبد الله اذا تـزوج

---

(١) ابن حامد : ٣٨ .
(٢) المصدر السابق : ٧٤ .
(٣) المصدر السابق : ٢٩ .
(٤) المصدر السابق : ٢٩ .
(٥) المصدر السابق : ٣٠ .

دريدا اولا ، وان سقط عرشه ام لم يسقط ،كل شيء اضحى به في
سبيل غايتي ، وطني وديني والعرش والسلطان "(١) ٠

ان شعور علي بالضعف الجسمي جعله يستعين بالخداع ليسمو في عيني نفسه ٠
هذا ، فضلا عن ان العداء بين بني سراج وبني زغرة عداء قديم مستحكم ٠

ان الضعف الذى مني به علي ابرز النزعة السادية الكامنة في اعماقه ولا سيما حين
ترجح لديه انه اصبح سيد الموقف (٢) ٠ وظهور هذه النزعة هو تطور طبيعي في بناء المسرحية
نظرا لان عليا كان يسعى منذ المشهد الاول للانتقام من ابن حامد ٠ فلما حانت اللحظة الحاسمة
كان من الطبيعي ان يكشف عن خبيئة نفسه ، ويصب جام حقده بوحشية على ابن حامد ٠ ونحن
نرى عليا ينمو في خط تصاعدى نحو الغاية التي جهد لتحقيقها دون ان ينحرف عنها قيد انملة ٠
ولم يكن في جوهره متناقضا مع نفسه ، فكل حركة بدرت عنه كانت وفق خطة مدروسة يدرك مداها ،
فيتلون بمكيا فيلية بارعة حسب مقتضيات الاحداث ٠ واكثر من ذلك كله كان يستعين بالصبر
والدهاء والقدرة على اخفاء خوالج النفس، وهي مزايا يتسم بها الذكي العاجز ريثما يحقق
اهدافه ٠ والحقيقة ان شخصية علي هي اغنى شخصيات المسرحية ، بل هي التي كانت تقف
وراء الاحداث تحركها وتساعد على نموها وتطويرها ٠ ومن خلال النماذج السابقة يتبين لنا
ان مفتاح هذه الشخصية يتلخص في خصائص ثلاث هي : العجز الجسماني ، والغيرة ، والانتقام ٠
ولقد تضافرت هذه العوامل الثلاثة على خلق شخصية شريرة ، تنسج خيوط مؤآمراتها ويسعفها
ذكاء حاد وارادة جبارة ٠ وعبر هذه المنافذ امكننا التغلغل الى هذه النفسية المتحرقة ابدا
الى الانتقام لتحقيق ذاتها ، بل لتجسيد حقيقة الشر في منحى بشرى يمثل كل ما هو مناقض
لبطل المسرحية ابن حامد ٠

ثالثا ـ ابن حامد :

ابن حامد ، رئيس بني سراج ، شخصية لا يطرأ عليها اى تطور
في فصول المسرحية ، بل تتخذ موقفا واحدا لا تحيد عنه عبر احداث فذة في وقت كانت الاقدار
تعصف به بمصير غرناطة ٠ كان يتحلى بمزايا الفروسية والبطولة ، كريم النفس ، شجاعا ، مقداما ،
صريحا يأبى الضيم ، ويخلص الود ٠ وكان ابوعبد الله يحترمه بالرغم من حقده عليه ونقمته ٠

---

(١) ابن حامد : ٣٠ ٠
(٢) المصدر السابق : ٨٠ ، ٨٨ ٠

ويزداد اهتمامنا به حين نعلم من شفيق المعلوف ان فوزى " قد نفح شخص بطلها - ابن حامد - بالكثير من خوالج القلب ونزعات روحه "(١) . والحقيقة ان البطل هنا هو امتداد وجداني لشخصية الشاعر التي كانت تسعى نحو المثالية كما كان يتوق اليها . وهذه الدعوة الى المثالية امتزجت بروح العصر من ناحية وبالرؤى المتسامية في مخيلة فوزى الناشئة عن صغر سنه من ناحية اخرى . ولكن هناك جانب ملحمي حي في شخصية ابن حامد ، وهو الجانب البطولي الذى لا يتأثر بالعاطفة او يذعن للضعف البشري لانه اقوى منه وارفع . اراد فوزى ان يخلق بطلا ملحميا فولد ابن حامد . وهذا النفس الملحمي يتجلى في اكثر من موقف :

ابن حامد - " ... ولكن الوطن فوق كل عاطفة .... (وبعد ان يلتفت الى الرياض والمباني والقصور حوله) يقول : ولكن .. قد يأتي زمن تندثر فيه وتصبح خرائب واطلالا . فلا يبقى من الحمراء غير بعض جدرانها ، ومن جنة العريف غير بعض ترابها . فأذا مر بها احد حفدتنا في المستقبل البعيد .... وقال .... انا سليل شعب رفع للمدنية منارها ، وكان للوطنية فخارها . هذا الحفيد سيلعن ابا عبد الله مضيع عرش اجداده ، ولكنه لن يلعن من استماتوا في سبيل الذود عن حياضهم . وهذه اعظم مكافأة لنا عن جهادنا اذا لم يثمر دفاعنا فضاعت جهودنا "(٢) .

وفي المشهد السابع من الفصل الاول تهز مسامعنا صرخة ملحمية بطولية اذ ينشد :

"لولا دم عربي في العروق جرى ... هجرت من اجلك الدنيا واوطاني
لكن مجد جدودى من قبورهم ... لنصرة الوطن المحبوب ناداني
لبيكم يا اباة الضيم هاءنذا ... ما خاب ظنكم في شبل قحطان
روحي وما ملكت كفي فدى وطني ... فلينسج الموت منذ اليوم اكفاني (٣) "

ثم يأخذ في مناجاة طويلة تستغرق ما يقرب من الصفحتين يستعرض فيها ازدهار المدنية على نور الاسلام مبتدئا بالنبي ، مرورا بخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وموسى بن نصير وطارق بن زياد . ثم يندب مصير الاندلس وغرناطة على الاخص التي تكاد تسقط بين يدى الاعداء صارخا :

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٣١ .
(٢) ابن حامد : ١٣ - ١٤ .
(٣) المصدر السابق : ٢٤ .

" ايه يا ابا عبد الله ،ان اسمك سيظل في صفحات التاريخ ملطخا بالعار وملعونا بكل فم فواخجلة الحفدة من مضيع امجا دهم ٠٠٠ قمت تزاحمني على حبيبتي وسأصفح عنك في سبيل الوطن ٠٠٠٠ " (١) ٠

وتظل هذه الروح الملحمية صفة ملازمة لابن حامد وهو يقف وجها لوجه امام الموت٠ فيقول محدثا دريد :

ــ " لا اريد ان تستعطفي هذا الظالم ،فاحترمي ارادة الرجل الواقف امام الموت واذهبي من هنا " (٢) ٠

والظاهرة الملحمية هذه ترجع في اصولها الى طبيعة الشخصيتين التي رسم منهما فوزى المعلوف شخصية بطله ٠ فالشخصية الاولى هي شخصية المنصور اخي ابي عبد الله ٠ وهي شخصية ملحمية في قصة فلوريان جعلت الواجب فوق العاطفة ،وكان رمزا للحرية في نظر الشعب٠ اما الشخصية الثانية فهي شخصية موسى ابن ابي غسان كما ظهرت في التذييل الذى الحقه شكيب ارسلان في ترجمته لاخر بني سراج (٣) ٠ وهو شخصية ملحمية ايضا توفرت فيها عناصر البطولة التي كانت مختصرا لامال الامة وتجسيدا لاشواقها ،ويصفه لنا شكيب ارسلان نقلا عن تواريخ الافرنج انه " من سلالة الملوك ٠٠٠٠ بعيد الهمة كريم السجية ،ابي النفس، باهر القوة ، مستوفيا شروط الفتوة ،جامعا بين صباحة الوجه ونضارة الخلق ،غاية في بهاء الطلعة ونفاذ العزيمة ،حدا في عزة النفس وزكاء الطبع ٠ كان لا يوجد ادرب منه في عصره بفنون الفروسية ولا احسن منه اقتعادا لصهوات الخيل ،ولا البق ولا ارشق حركة بالعاب السيف والترس وتقليب السلاح بانواعه ٠ كان اذا برز في ميدان ترك امره فتنة لحسان غرناطة ومدارا لحديث الاندلسيات، واذا شهد الكريهة قذف مشهده الرعب في قلوب الاسبانيول وطالما نصر المسلمون باسمه "(٤).

هذه الشخصية الفذة كان لها تأثر كبير على عامة الشعب لما اثارت مزايا بطولته في العامة من اعجاب ٠ لذلك ما كاد يستنفر المسلمين للقتال حتى " بادرت جمهرة المسلمين الى اجابة داعيه وطمعت في استئثار الجنة ،ونفرت فتيان غرناطة تريد الموت في سبيل الذب عن ذمار الدين وتطيع من موسى سيدا كانت تغضب له الوفهم اذا غضب ولا يدرون لما غضب فكيف وقد غضب للدين ونفر لحماية عرض المؤمنين ٠٠٠٠٠ "(٥) .

---

(١) ابن حامد : ٢٤ ــ ٢٦ ٠
(٢) المصدر السابق : ١٤٤ ٠
(٣) ارسلان ، شكيب ــ آخر بني سراج : ٣٠٨ ــ ٣٣٢ ٠
(٤) المصدر السابق : ٣٠٨ ٠
(٥) المصدر السابق : ٣٠٨ ٠

ولم تكن خاتمة هذه الشخصية الملحمية كما وردت في تواريخ الافرنج بأقل بطولية من حياته . اذ انه بعد استسلام ابي عبد الله ، راح يهاجم فرسان الاسبان " فلم ترتفع له يد الا بحتف ولم يقع له حد الا في مقتل ، وكان الظاهر عليه انه مستميت مولع بالفتك يقاتل للاشتفاء لا للعلاء ويرغب في المنايا لا في الجراح ، ويهوى الموت لا البقاء ...."(١) .

وحين ادرك بعد ان كبا به جواده واثخنت منه الجراح انه لا يستطيع الدفاع عن نفسه وخشي ان يؤخذ اسيرا زحف الى النهر فرمى بنفسه في الماء حيث غاصت به درعه في الحال (٢) . وسنرى كيف ان بعض اقوال المنصور وموسى بن ابي غسان ، تدور في الحوار بين شخصيات مسرحية فوزى المعلوف وبالاخص ابن حامد .

يقول ابن حامد لدريد بعد ان حاولت ان تثنيه عن عزمه خوفا عليه من الخديعة لانه يدافع عن عرش طاغية فاسد ظالم يضمر له الحقد :

ابن حامد — " انا ادافع عن عرش وطني لا عن عرش ابي عبد الله . ان الملوك فانون اما المبادئ فخالدة .... الوطن فوق الجميع "(٣) .

يقول منصور لفتاته مريّم التي حاولت ان تثنيه عن القتال :

— " انا اعرف من هو ابو عبد الله ، ولست ادافع في سبيل هذا الوحش ولكن من اجل ديني ووطني "(٤) .

ويقول ابن حامد لدريد :

— " .... افلا يرقص فؤادك طربا اذا قال عنك هذا الشعب وانا عامل على تحريره : هذه خطيبة منقذنا " (٥) .

وبمثل هذا المعنى يقول منصور لمريّم :

— " .... اى مجد ، اى شرف ، حين يقول الشعب الذى اخلصه وانت تمرين ان هذه هي خطيبة محررنا "(٦) .

ويقول ابن حامد في المسرحية :

— " دريد ، انت اعز علي من الحياة ولكن الواجب اعز علي منك "(٧) .

---

(١) ارسلان ، شكيب — آخر بني سراج : ٣٣٢ .
(٢) المصدر السابق : ٣٣٢ .
(٣) ابن حامد : ١٣ .
(٤) FLORIAN - CONZALVE DE CORDOUE: II, V, 202. نقلا عن AOUN: 72.
(٥) ابن حامد : ٥٤ .
(٦) FLORIAN - CONZALVE DE CORDOUE: II, V, 203. نقلا عن AOUN: 73.
(٧) ابن حامد : ٥٥ .

وجاء على لسان ابن حامد في قصة فلوريان :

ابن حامد ـ " انت اغلى من حياتي ولكن واجبي اغلى منك . نظرة منك او كلمة واحدة او ابتسامة لطيفة ستعوضني عن كل اعمالي " (١) .

واكثر من ذلك فأن اثر فلوريان نراه يمتد الى وصف حالة ابن حامد وهو في السجن، فهو يشبه وصف حالة كنزلف حين كان يرسف في الاغلال (٢) .

ويلوح لي ان فوزى جعل بطل مسرحيته يتقمص شخصية المنصور الى حد كبير فاستعار منه مزاياه ولا سيما في المواقف العاطفية . اما المناخ البطولي الملحمي فقد اقتبسه من مواقف موسى بن ابي غسان كما اوردها شكيب ارسلان (٣) ، في الجزء التاريخي من المسرحية . يقول موسى بن ابي غسان :

" لقد عجلتم في الكلام في امر التسليم فأن وسائلنا لم تنقطع ولم يزل عندنا بقية قوة عظيمة الفعل شديدة التأثير ، وطالما كانت سبب الفتح الا وهي الاستماتة . فلنستنفرن العامة الى الجهاد ولنسلحنهم ونقتحم صفوف العدو حتى نخالط اسنتهم . واني لحاضر ان امضي في هذا السبيل واتوغل في كثيف جمع الاعداء ، وخير لي مرارا ان اعد فيمن استأكلهم الدفاع عن غرناطة من ان اعد في الاحياء من بعدها "(٤) .

ويقول ابن حامد :

ـ " انسلم وفينا بقية دم يجرى ؟ ان وسائلنا لم تنقطع بعد ولا تزال عندنا قوة عظيمة هي الاستماتة . فلنستنفرن العامة الى الجهاد ولنقتحم صفوف الاعداء ونحن على الحالتين صائرون اليه ، واما نصر والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء " (٥) .

ويتابع في مكان آخر : " .... فخير لنا مرارا ان نعد فيمن استأكلهم الدفاع عن غرناطة من ان نعد في الاحياء من بعدها " (٦) .

ويقول موسى بن ابي غسان :

" دعوا يا موالينا البكاء والنحيب للنساء والاولاد . فنحن رجال ولنا قلوب لا لاجل ذرف الدموع بل لاجل سفك الدماء . وانني لارى عزائم هذه الامة قد ارتخت وقطعوا املهم من نجاة هذا الملك . فوالله لقد بقي

---

(١) AOUN: 73. نقلا عن FLORIAN - CONZALVE DE CORDOUE II, V, 203.

(٢) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 73 .

(٣) ارسلان ، شكيب ـ آخر بني سراج : ٣٢٨ ـ ٣٣٥ ؛

(٤) المصدر السابق : ٣٢٩ .

(٥) ابن حامد : ٤٢ .

(٦) المصدر السابق : ٤٥ .

علينا اشرف الخطتين وهي الموت • فلنمت اذا في سبيل استقلالنا والانتقام من عدو غرناطة فأمنا الارض تتلقى ابناءها في احشائهـــا غير مقيدين بسلاسل العبودية • ولا قدر الله ان يكون اشراف غرناطة صاروا يخافون الموت في الدفاع عنها " (١) •

واليك كيف توزع هذا الكلام على لسان ابن حامد وسواه [٢]:

ابن حامد ـ " دعوا اليأس للنساء والاطفال ، فنحن رجال ولنا قلوب لا لذرف الدموع بل لسفك الدماء • والله لقد بقي اشرف الخطتين وهـي الموت • فلنمت اذن في سبيل استقلالنا •

موســـى ـ من فرسان العرب ـ " لا قدر الله ان اشراف غرناطة اصبحوا يخافون الموت " * •

---

(١) ارسلان ، شكيب ـ آخر بني سراج : ٣٣٠ •

(٢) ابن حامد : ٤٤ •

* لا يكتفي فوزى المعلوف بأن يقتبس كلمات موسى بن ابي غسان ويقولها لابن حامد ، بـل انه يوزع مقاطع اخرى من عباراته وينطقها شخصيات اخرى غير ابن حامد • كما انه يقتبس اقوالا لغير موسى ويضعها على السنة ابطال روايته • قال موسى عندما مال وجهاء غرناطة الى التسليم :

" ياقوم لا تغشوا انفسكم ولا تتسلوا بالمحال ولا تظنوا ان ملوك النصارى وافون بمواعيد هم لكم ، وانهم كرام عند المقدرة كما هم فتاكون عند القتال • فوالله ان الموت الاحمر هو اهون ما نتوقع ، وانما نحن مستقبلون امرا ايسره اكتساح الاوطان وفضيحة العيال وانتهاب الامـــوال وقلب المساجد وتدمير المنازل ، هذا عدا السوط والنار والقطع والنفي من الارض والضنى في اعماق الحبوس الى غير ذلك مما نحن صائرون اليه

فأذا لم يكن من الموت بـــــد فمن العار ان تموت جبانــــا "

(آخر بني ســـراج : ٣٣١)

وهذه العبارة تتردد في الحوار التالي :

ابراهيم ـ " يا قوم لا تغشوا انفسكم بالمحال ولا تظنوا ان ملوك النصارى وافون بمواعيد هم لكم • ان الموت الاحمر اهون ما نتوقع ، وانما نحن مستقبلون امرا ايسره اكتســاح الاوطان وفضيحة العيال وانتهاب الاموال وقلب المساجد وتدمير المنازل •

موسى ـ هذا عدا السوط والنار والقطع والنفي الى غير ذلك مما نحن صائرون اليه

فأذا لم يكن من المـوت بـــــد فمن العار ان تمـوت جبانـــا "

(ابن حامد : ٤٤ ـ ٤٥)

وجاء على لسان الوزير ابي القاسم عبد الملك قوله :

" ان اهراءنا قد خلت من المؤونة او كادت ولا ننتظر الان شيئا في الطريق بـل الذي كان واردا لاجل الخيل صار قوتا للخيالة انفسهم • وربما اكلوا الخيل نفسها ،=

ان شخصية ابن حامد تتلخص بأنه رمز لانتصار الواجب على العاطفة ، وانه يـرى في الحرب معنى هو من سنة الطبيعة في الكون • يقول موجها حديثه لدريد :

— " الحرب ، وهل لنا مهرب منها ؟ وفضلا عن ذلك افليست سنة طبيعية في هذا الكون ، ولولا الحرب افكانت حطت بنا الرحال في هذه الديار فازدهرت بعد نيتنا وتشربت من روحنا ومجدنا العربي الخالد ؟ الم يكن السيف ناسج بردته وحامي سدّته ؟ " (١) •

الا انه يعطي مفهومه للحرب معنى وطنيا فيه شرف الحفاظ على ميراث الجدود ، فمصير الحمراء يكون كمصير قرطبة وطليطلة ما لم يذد عنها " بالاحمر من دمائنا "(٢) ، وهو في

= ناهيك انه من السبعة الالاف من رؤوس الخيل التي كانت عندنا برسم الرباط لم يبق سوى ثلاثماية رأس ، وان في مدينتنا مائتي الف نسمة كلها تطلب الخبز " •
(آخر بني سراج : ٣٢٨)

وتناول فوزى هذا الحديث ووضعه في الحوار التالي :

طرفـــة — " لا تعجب يا مولاى فأن اهراءنا خلت من المؤونة ولا ننتظر لا واردا ولا صادرا ، وان الذى كان واردا للخيل صار قوتا للخيالة انفسهم وربما اكلوا الخيل نفسها •

عقبـــة — رئيس بني مكناسة — ناهيك بأن من السبعة آلاف من رؤوس الخيل التي كانت عندنا لم يبق سوى ثلاثمئة رأس ، وان في مدينتنا مائتي الف نسمة كلها تطلب الخبز " •
(ابن حامد : ٤١)

وجاء ايضا ان اباعبد الله صرخ بعد اطلاعه على شروط التسليم قائلا :
" الله اكبر لا اله الا الله محمد رسول الله ، باطل اجتهادنا في معاكسة الارادة الالهية فقد كتب في اللوح المحفوظ انني اكون شقيا وان هذا الملك يذهب من يدى " •
(آخر بني سراج : ٣٣١)

ويورد فوزى هذا النص على لسان ابي عبد الله :

— " الله اكبر لا اله الآ الله ومحمد رسول الله •
باطل اجتهادنا في معاكسة الارادة الالهية فقد كتب علي ان اكون شقيا وان يذهب هذا الملك عن يدى "• (ابن حامد : ٤٤)

اما نص الرسالة التي يحملها الرسول الاسباني (انظر ابن حامد : ٤٣) فهـــي مقتبسة عن نص الشروط التي حملها الوزير ابو القاسم عبد الملك بعد عودته من معسكر فرنـــاند وايزابيلا • (انظر آخر بني سراج : ٣٢٩ — ٣٣٠)

(١) ابن حامد : ١٢ •
(٢) المصدر السابق : ١٢ ، ١٣ •

مفهومه للوطن صاحب مبدأ يسمو به فوق احقاده لان الوطن بحاجة اليه ، " فالملوك فانون اما المبادئ فخالدة ... الوطن فوق الجميع " [١] ، بل ان الواجب في الدفاع عن الوطن هو " اعز علي منك _ اى دريد " [٢] . ولكنه في دفاعه عن الوطن انما يدافع عنها ايضا ، عن حبه الغالي . يقول :

— " ومن انبأك انني اذهب الى الموت بذهابي للدفاع عن الوطن . ان جهادى ليس في سبيل بلادى فحسب ، وانما هو في سبيل غرامي ايضا . افلا يرقص فؤادك طربا اذا قال عنك هذا الشعب وانا عامل على تحريره هذه خطيبة منقذنا ؟ " (٣) .

وفي هذا المقطع نلمح النفس المتغني بالذات . فالمهمة خطيرة بقدر ما فيها من عظمة ، وهو يريد لدريد ان تكون زوجة البطل الذى يحرر ارض الوطن من الحصار .

ومفهوم الحب عند ابن حامد هو مفهوم رومنطيقي مثالي . يقول :

— " الحب ، ومن يحدد الحب ؟ هو انت . هو انا . وهو كل شيء نابض فوق هذه الارض "(٤) .

والحقيقة ان حياة ابن حامد كما هي في المسرحية ، وقف على الحب والمجد فهو "واقف الان بين الحب والمجد وعليّ لكل منهما واجب سأقضيه " [٥] . ولكن ولاءه لابي عبد الله وشعوره بالواجب ينتصران على الحب ، مع انه يعلم بأن ابا عبد الله كان واقعا تحت تأثير علي عدوه الالد . ويظل الوطن فوق الحب ، وفوق كل ضغينة ، فهو " يضحي بكل شيء في سبيل وطنه " [٦] . وهذه هي صورة البطل كما رآها فوزى في شخصية موسى ابن ابي غسان . البطل الذى يشدد العزائم حين ترتخي ويجلجل صوته في المعمعة ويخوض معترك القتال بقلب اقوى من الموت . هي صورة البطل المثالي الملحمي .

وقصاراه ، فأن ابن حامد يمثل الطاعة والخضوع الوطني للسلطان لا لضعف فيه بل لانه لا يريد ان يثور عليه حفاظا على سلامة غرناطة ، وقد وعد السلطان بالولاء التام بالرغم مما كان يضمره له السلطان من الحقد والموت ، وبذلك تعدى ابن حامد حدود ذاته . ولم يكن يخشى الموت في ساحة القتال بل حالت شجاعته دون اصغائه الى تحذير دريد من الخطر المحدق به [٧]

---

(١) ابن حامد : ١٣ .
(٢) المصدر السابق : ٥٥ .
(٣) المصدر السابق : ٥٤ .
(٤) المصدر السابق : ١١ .
(٥) المصدر السابق : ١٤ .
(٦) المصدر السابق : ٢٥ ، ٣٦ .
(٧) المصدر السابق : ١٥ .

وانما كان يحسب لحبه الكبير حساب خوفا من ان يعيقه عن تأدية الواجب المنوط به مصير المسلمين .

رابعا – دريـــــد :

اما دريد فهي رمز الفتاة المثالية التي كانت تعيش في مخيلة الشاعر . وهي تشبه مريّم في قصة فلوريان ، وتقف من ابن حامد مواقف مريّم من المنصـــور ، فتحاول ان تثنيه عن خوض المعارك خوفا عليه من الموت ومن مكائد اعدائه ، وتعتمد علـــى حسها الانثوى . وحبها لابن حامد جعلها تنظر الى القضية من زاوية واحدة هي الزاويـــة الذاتية (١) . فهي اذا ارادت ان تذهب الى الحرب فلانها "عاشقة اذهب للدفاع عـــن خطيبي "(٢) . فالحب جهاد كجهاد الجندى في سبيل وطنه .

غير ان دريد تمثل الوفاء بكل معانيه . فهي تعرض نفسها لغضب الملك لاجـل من تحب :

– " كفى يا ابا عبد الله فقد اهنتني بشخص حبيبي . وعدت ابن حامد بيدى ووعده ابي بي ، فلا سبيل الى نقض ما وعد شريفان . ليس لي غير قلب واحد وقد وهبته فلا تحاول المحال "(٣) .

ويتجلى وفاؤها بأكثر وضوح حين اصبحت وحيدة بعد موت ابيها وزج حبيبها فـــي السجن . فهي تدافع عن حبها دفاع المستميت ، " وهل تحسب ان المرأة تحب الرجل فـــي السراء فحسب ؟ " (٤) . واخيرا تضحي دريد بنفسها لاجل انقاذ حياة ابن حامد فتتزوج من ابي عبد الله بعد ان وعدها باطلاق سراحه . وحين يأتي ابن حامد متنكرا لرؤيتها تظـــل دريد وفية بحق زوجها بالرغم من انه حال بينها وبين حبيبها متمثلة بحب بني عذرة وهـــو حب جوهره الالم يقتات من القلوب ، فتقول له (٥) :

– " وما يدفعك الى الموت والى خنق هذا الحب المتقد في قلبينا ؟ انت ستتعذب ولكن عذابك لن يبلغ عذابي ، فكما اشتريت انا بحياتي حياتك ، اشتر انت بحياتك حياتي . ولتكن ضحية بضحية .

ابن حامد – وكيف اعيش بلا امل لقاء ؟ .

---

(١) ابن حامد : ١٥ ، ٥٤ .
(٢) المصدر السابق : ٥٥ .
(٣) المصدر السابق : ١٨ .
(٤) المصدر السابق : ٧٧ .
(٥) المصدر السابق : ٩٨ .

دريــــد — الم تسمع باخبار بني عذرة ؟ ليكن حبنا اذن مثل حبهم ·
لنعش كما عاش جميل وبثينة ، ولنحب كما احب كثيّر عزة " ·

ولعل هذا اللون من الحب هو اللون الذى كان يستهوى الشاعر (١) ·

ان دريد بطلة مأساوية ، وقد استعار فوزى مصيرها من موت مريّم بالسم · ولعله اراد ان يجعل موتها حلا للمشكلة · وفي رأى فايزعون انها تشبه جولي في مأساة دى بريتنّيكس (٢) · وان كنت ارى في قصة جنونها مأساة اوفيليا احدى شخصيات قصة هملت التي جنت بعد موت ابيها · وقد وفق فوزى في تصوير قصة جنون دريد الى حد بعيد ·

يختلف مصير دريد فوزى المعلوف عن مصير دريد فلوريان · فالاولى تموت في حين ان الاخرى تظل على قيد الحياة على امل ان تضم وصيفتها ايناس، يوما ما ، رفاتها الى رفات حبيبها في قبر واحد · ومصيرها هذا اكثر الما واشد رهبة من مصير دريد في رواية فوزى ، لانها ستظل تقاسي من غصص الالام بقية حياتها ، فيتجدد عذابها مع طلوع كل فجر · الا ان فوزى في موت دريد اعتمد المصير الرومنطيقي الشائع في العصر ·

من الملاحظ في رواية ابن حامد ان فوزى المعلوف حاول ان يعالج في مسرحيته مشكلة الحب والواجب من جهة ، والموضوع التاريخي من جهة اخرى · بيد انه لم يستطع ان يخرج بنتيجة متكاملة للموضوعين · فبعد ان يعنى بالفصل الاول بالصراع الوطني والعاطفي ينتقل فجأة في الفصل الثاني الى الناحية التاريخية كما بينا ، في حين ان بقية الفصول كانت تهتم بتطوير الحركة والمشكلة الاخلاقية مضحية بالعنصر الملحمي والمسرحي ·

ويلاحظ فايزعون ان المسرحية تعرضت لعدة تأثيرات مختلفة " فشخصية دريد مستوحاة بالتأكيد من راسين مع مسحة كورنيلية لا يمكن الاستهانة بها ، بينما تنقلنا شخصية علي الى مسرح آخر · فمكيافيلية علي وشره تذكرنا بخونة المسرح الافرنسي والمسرح الشكسبيرى · وعقيدته بالقدر ومذهبه في الحياة يحرضانه على اجتراح الشر ويقاربانه من نماذج فكتور هيجو · وتكوين المسرحية يشبه تكوين طريقة هيجو في المسرح الرومنطيقي في روايتي روى بلاس وبيرغراف · وفوزى يحاول ان يصور لنا قصة نهاية امبراطورية · والبحث الحقيقي عن اللون المحلي يويد هذه الفكرة ، كما ان كل فصل مسبوق بعنوان قصير يلخص فحواه كما في اغلب روايات هيجو " (٣) ·

---

(١) سنعرض لهذا الرأى لدى دراستي لشعر الشاعر ·

(٢) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 64 .

(٣) ibid : 66 .

ان اسلوب فوزى في هذه المسرحية سهل لم يقلد فيه الاخرين ، ولكنه لا يطور اسلوبه مع حالات شخصياته المتعددة الا على ندرة ، كما في بعض مواقف علي اغنى شخصياته [١]. وكثيرا ما يغلب الاستطراد على مواقف اخرى فيعيق نمو حركة الاحداث وتطورها [٢] .

كذلك في بعض المشاهد تنبت اشخاص كالسحر دون سابق اعداد كما في الفصل الخامس والمشهد الثالث ، اذ يظهر علي وحمد من حيث لا ندرى وكأنهما كانا على موعد مع ابن حامد ٠ اما كيف عرفا بوجوده مع انه جاء متنكرا الى جنة العريف ؟ اننا لا ندرى ٠ ويقع المؤلف في هذا المشهد بالذات بخطأ نفسي فادح ٠ ففي لحظة نجد " حمد " يسيطر على الموقف ويوجه خط تفكير سيده وكأنه هو المتولي شؤون هذه المكيدة ، وبعد ان يكون علي هو صاحب الامر والنهي نراه ينقاد مستسلما لارادة حمد مع ان الصورة التي تظل مرتسمة في اذهاننا عن علي انه الذى يمسك بخيوط المؤآمرة بين يديه حتى المشهد الاخير :

حمد – " نتهمه بما رأينا ٠

علي – وما رأينا ؟ ولم يكن بينهما ما يريب ٠

حمد – ولكنك على خطأ يا سيدى ، ولم ترى جيدا ولم تسمع ما قيل ، فأنا رأيته يضمها الى صدره وتضمه الى صدرها ، كما رايته يعطيها خنجره لتقتل به السلطان ٠

علي – كيف لم ار ما رأيت ولم اسمع ما سمعت ؟

حمد – يجب ان تقول انك رأيت ذلك ٠ اذن كيف تثبت عليهما الجريمة ؟

علي – احسنت كل الاحسان ٠٠٠٠٠٠ " ٠

فكيف تذوب شخصية الرأس المدبر للمؤآمرة امام ارادة تابعه ، بل ان هذا الموقف يكشف الى حد ما عن شيء من الطيبة في نفس علي تقرب من الغباء ، وتتناقض مع نار الانتقام المستعرة في اعماقه ولا سيما حين يقول : " وما رأينا ؟ ولم يكن بينهما ما يريب " ٠ وكان الموقف يحتم على علي ان يستغل جريمة العصيان التي ارتكبها ابن حامد حين دخل الى القصر متنكرا مخالفا امر ابي عبد الله في الارتحال الى افريقيا ، بل كان احرى به ان يختلق وشاية ينتقم بها من ابن حامد انسجاما مع موقفه لا ان يقف موقف الغبي الذى سلم قياد امره الى تابعه ٠

---

(١) ابن حامد : ٢٩ ٠

(٢) المصدر السابق : الفصل الاول – المشهد ٢ ، ٣ ٠ والفصل الثالث – مقدمة المشهد الثالث ومقدمة المشهد الرابع ٠

وفي هذا الفصل يرتكب فوزي خطأ آخر ، ويظهر لنا ان ابا عبد الله لم يكن عالما بمكرعلي ودهائه ومكائده . يقول ابوعبد الله في حديثه الى علي :

— " احقا ما اسمع ؟ تبا لك من ماكر . ... ما دفعك الى هذه الجرائم كلها " (١) .

ووجه الخطأ ان فوزي في اكثر من موضع (٢) يقدم لنا برهانا قاطعا على معرفة ابي عبد الله بخبيئة نفس علي الخبيثة ، ومع ذلك كله يتغافل في هذا الموقف عن هذه الحقيقة ، بحيث يبدو لنا ان فوزي قد وقع في التناقض لجهل لم يتناغم مع طبيعة شخصية المسرحية . وهذه الدهشة التي استولت على ابي عبد الله حين اكتشف مكائد علي تكاد تكون مصطنعة ، وكأنما اراد فوزي ان يؤكد على الناحية الطيبة في ابي عبد الله فأخطأ السبيل ووقع في التناقض .

اما موت ابن حامد فيقع بصورة مفاجئة وغير طبيعية اذ يعهد بأمر قتله الى حمد (٣) نزولا عند ارادة السلطان ، مع اننا لا نعثر على اية صلة سابقة قائمة ما بين السلطان وحمد في كل الفصول الاولى . فكيف نبتت هذه الثقة ، ومتى تطورت ، ومتى تم هذا اللقاء في غير هذا الفصل ؟ ولماذا لم يعهد امر قتل ابن حامد الى احد حراس القصر ؟ لو كان حمد واحدا من المقربين الى السلطان او ممن كانوا على صلة وثيقة به لوجدنا لهذه الثقة تفسيرا او حلا . ولكن الواقع ان ظهور حمد على المسرح على هذه الصورة المفاجئة امر يدعو الى التساؤل اذ اننا لا نعرف حمد غير تابع لعلي دون ان تكون له اية صبغة رسمية في الدولة .

وفي المشهد الثامن بعد ان افاقت دريد من اغمائها تأخذ في الندب ، وتقطف زهرة وترميها على الجثة تماما كما كانت تفعل اوفيليا بعد ان جنت (٤) . غير ان موقف الندب هذا يكاد ان يكون حشوا اذ ان مظاهر جنونها تتفاعل مع الاحداث في المشهد التاسع بصورة موفقة . ووجود هذا المشهد لا يضفي شيئا جديدا على الموقف . وكان في وسع فوزي ان يكون في غنى عنه دون ان يؤثر ذلك في بناء المسرحية وتطور احداثها .

ونحس في هذا الفصل ايضا بالروح الشكسبيرية في الموت . فابن حامد يموت ، وعلي يموت ودريد تموت ولا يبقى من ابطال المسرحية الرئيسيين الا ابوعبد الله ، وحيدا نادما ، قانطا ،

---

(١) ابن حامد : ١١٠ .

(٢) المصدر السابق : ٣٧ ، ٣٩ ، ٧٤ .

(٣) المصدر السابق : ١٠٥ .

(٤) HAMLET : IV, V : 133, 139-141 .

ليواجه مصيره الرهيب على يد الاسبان ، فمعظم الابطال يهلكون لان في هلاكهم حلا للمشكلة يتفق مع الملمح التاريخي لسقوط غرناطة .

ثم من الامور التي تجدر ملاحظتها في هذه المسرحية هو المزج ما بين الشعر والنثر دون ان يخل ببناء المسرحية . وكان اكثر استخدام فوزي للشعر في المواقف العاطفية او في المشاهد الملحمية . وكانت ابيات الشعر " ترد اجمالا بطواعية ومهارة في هذه المواقف " (١). وهذه الطريقة كانت متبعة في معظم المسرحيات العربية في تلك الفترة .

ومن الملاحظ ان السرد النثري في معظمه كان يقتصر على الاحداث والحوار ، اما الشعر فكان تعبيرا عن الغنائية المتنامية في المشاهد العاطفية والملحمية ، وهي غنائية متفرعة من وجدان الشاعر وتعبير عن اشواقه ومشاعره التي كانت ملامحها تطل بين الفينة والفينة من خلال شعره .

واخيرا لا شك ان فوزي صب عنايته على الناحية التاريخية وهو بذلك يختلف عن فلوريان الذي شدد على قصة حب حدثت في ظروف غريبة عنه وضمن اطار لم ينفعل به ، بينما فوزي اهتم بحياة شخصيات مسرحيته ، كما نالت المكائد السياسية من اهتمامه كعربي وقومي . فكانت الخوالج الوطنية التي تجلت في شخصية ابن حامد هي ذات الخوالج التي كانت تمور في صدره والرؤى الحالمة التي كان يتطلع اليها ، الى مجتمع مثالي والى ابناء وطن يتجسد فيهم ابن حامد . اما العنصر العاطفي فهو صورة حية لمفهوم فوزي للحب حينذاك ، حب الرومنطيقية المثالي .

لقد حاول فوزي ان يوفر لمسرحيته كل العناصر المكونة لمقوماتها من حيث الشخصيات المسرحية والدوافع الخفية الحافزة على كل حركة تأخذ شكلا على خشبة المسرح . وهي حوافز متنوعة ضمن اطار فني : من حب ووطنية وحقد ورغبة جارفة وموت ووفاء وبذل . فشخصيات مسرحيته تجسد شكلا من اشكال هذه العواطف المتضاربة والنزعات المتباينة (٢) .

* * *

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 67 .

(٢) اخذت مسرحية ابن حامد شكلها الاخير هذا بعد ان اصلحها فوزي قبل وفاته وهذبها واعدها المنتدى الزحلي في سان باولو لتمثيلها ، فوقفت لمصابه . وترجمها الى الاسبانية الشاعر الاسباني فيلاسباسا نزيل البرازيل ... (انظر تنوير الاذهان لابراهيم الاسود – المجلد الثالث : ٤٠٥) .

الفصل الثالث

شعر فوزى المعلوف

الفصـــــل الثالث

شـــــعر فـــــوزى المعلـــــوف

تعتمد هذه الدراسة في شعر فوزى المعلوف على ثلاثة مصادر رئيسية هي :

اولا — ديوان فوزى المعلوف الذى اشرف على جمعه ونشره شقيق الشاعر رياض المعلوف .

ثانيا — ملحمة على بساط الريح ، طبعة ريودى جانيرو .

ثالثا — مجموعة من القصائد لم ترد في الديوان وانما تم جمعها من عدد من الصحـــف والمجلات والمراجع . وقد بوبتها في ملحق هذه الدراسة مراعيا ترتيبها التاريخي قدر المستطاع .

واود قبل ان اشرع بتحليل انتاج فوزى الشعرى ودراسته ان اعرض بشكل موضوعـي لديوانه وملحمته استيفاء للبحث .

<u>ديوان فـــوزى :</u>

صدر هذا الديوان عن دار ريحاني للطباعة والنشر عام ١٩٥٧ باشراف شقيق الشاعر رياض المعلوف . وهو من الحجم الصغير يضم بين دفتيه مئة واربعين صفحة تشتمل على اربعين قصيدة مبوبة في اجزاء دون اعتماد اى تسلسل تاريخي :

الجزء الاول : وهو يضم بعض قصائده الوطنية وشعر المناسبات من صفحـــة ٩ — ٥٨ .

الجزء الثاني : تأوهات الروح ، وفيه مجموعة من القصائد الوجدانية المفعمة بالعواطف والذكريات والحنين . من صفحة ٥٩ — ٨٣ .

الجزء الثالث : اغاني الاندلس ، وهو مجموعة من القصائد الوجدانية المتغنيـة بالذكريات والحنين والاشواق اتبع الشاعر في معظمها نمـــط الموشحات الاندلسية ، ومن بينها قصيدة غرناطة المترجمة عـــن قصيدة اواه غرناطة لفيلاسباسا . من صفحة ٨٤ — ١١٨ .

الجزء الرابع : شعلة العذاب ، وهي قصيدة طويلة لم يتمها فوزى المعلـــوف اذ وافاه الاجل قبل انجازها ، وهي تتضمن سبعة مقاطع جعـل لكل منها عنوانا واعتمد فيها السياق التالي :

١ — لغز الوجـــود .

٢ — في هيكل الذكـــرى .

٣ ـ بين المهد واللحد .

٤ ـ يوم مولـــدى .

٥ ـ بســـمات .

٦ ـ دمــــوع .

٧ ـ النشيد الســابع .(١) .

وفي هذه القصيدة تابع فوزى رسم خطوط تأمله الذاتي في الحياة . ولعلها كانت اصدق صورة عن مفهومه للكون والانسان ومصيره المجهول . وقد قال عنها فيلا سباسا انهـــا " مجموعة قصائد عميقة المغزى ، مرتبطة بفكرة واحدة وشعور واحد ، يغلب فيها التأمل علـــى الفلسفة ، فترى فيها روح الشاعر الحالمة متنبهة لاجعل مظاهر الوجود واعمق العواطف الحية . كل ذلك في شعر غنائي جلي "(٢) .

ملحمة علــى بســاط الريــح :

نشرت ملحمة على بساط الريح اول ما نشرت في مجلـــة الجالية في العدد الصادر بتاريخ ٢٨ من شهر حزيران سنة ١٩٢٦ (٣) . ظهرت بعنوان "شاعر في طيارة " ثم بعد ذلك وضع لها فوزى عنوانا "على بساط الريح " . وتناقلتها الصحف فيما بعد في المهجر والعالم العربي . وقد حظيت هذه الملحمة بشهرة عالمية حتى انها ترجمت الى عدد من اللغات الحية هي (٤) :

١ ـ الاسبانية وترجمها الشاعر الاسباني فرنسيسكو فيلا سباسا سنة ١٩٣٠ .

٢ ـ البرتغالية وترجمها الشاعر البرازيلي منتورللي سوبرينيو سنة ١٩٣٠ (٥) .

٣ ـ الانكليزية وترجمها المستشرق الانكليزى جورج كرافـــت .

٤ ـ الانكليزية وترجمها الدكتور فؤاد عقـــل وطبعها في نيويورك .

٥ ـ الالمانية وترجمها المستشرق الالماني ج . كمبفماير .

---

(١) ترجم فيلاسباسا هذه القصيدة الى الاسبانية . انظر ذكرى فوزى المعلوف : ٣٦ .

(٢) على بساط الريح : ١٣ .

(٣) ذكرى فوزى المعلوف : ٥٠ .

(٤) مجلة الرسالة المخلصية ـ س٣ ، ع١١ : ٦٤٢ .

(٥) عهد فوزى الى موسى كريّم صاحب مجلة الشرق البرازيلية ترجمة ملحمة على بساط الريــح للبرتغالية حرفيا ، ثم دفعها بعد ذلك الى الشاعر البرازيلي المذكور فنظمها شعرا . انظر مجلة الرسالة المخلصية س٣ ، ع١١ : ٨٥ .

٦ ـ الروسية وترجمها المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ٠

٧ ـ الرومانية وترجمها الاستاذ اميل مرقدة نزيل بخارست ٠

٨ ـ الفرنسية وترجمها الاستاذ اسعد محفل قنصل سوريا في القاهرة حينذاك ٠

٩ ـ الفرنسية وترجمتها السيدة افلين بسترس سنة ١٩٣٨ ٠

١٠ ـ الفرنسية وترجمها الدكتور فايزعون وطبعها في باريس سنة ١٩٣٩ ٠

١١ ـ الفرنسية وترجمها السيد فوزى السعيد ـ بيروت * ٠

وذكرت مجلة الهلال المصرية في الصفحة ٥٩٧ المجلد ٤٦ عام ١٩٣٨ ما نصه :
" نشرت مجلة المانيا التي تصدر في باريس خبرا مفاده ان احد الناشرين ببرلين طبع مجموعة اشعار الشاعر المشهور فوزى المعلوف ٠ ونقل هذه المجموعة الى اللغة الالمانية بدقة تامة ، وستظهر في مستهل العام الجديد " ٠

مضمون ملحمة على بساط الريح :

ارتقى فوزى المعلوف ذات يوم مع فريق من اصدقائه متن طائرة فوق شواطىء كوارُوجا فراقته المناظر الفتانة التي اثارت في اعماقه كوامن اشجان ٠ فلما عاد الى الارض استوحى من رحلته القصيرة هذه ملحمة على بساط الريح (١) ٠ ولعله رجع بالذاكرة الى كارثة الطيارين التركيين القديمة (٢) ، فاستمد من آثار الامس البعيد صورا مفعمة بالكآبة ولونها بمشاهد الحاضر والرؤى الجديدة التي تألقت في وجدانه ٠ تتألف هذه الملحمة من اربعة عشر نشيدا يقع كل منها في ستة عشر بيتا ما عدا الثلاثة الاخيرة التي لم يتسن له انجازها فتألفت من اربعة عشر بيتا (٣) ٠

ولقد اختار فوزى البحر الخفيف ، لم يغيّر فيه طول القصيدة ولكنه غيّر القوافي وفق تغير الاناشيد ملتزما في البيت الاول من كل انشودة " نوعا من الموسيقى يهب له ظرفا وجمالا وموسيقيا خاصا فيضيف ، او قل يقحم ، بين شطرى هذا البيت مقطعين من مقاطع البحر الخفيف هما فاعلات مستفعلن ، ثم يضيف هذين المقطعين بعد هذا الشطر الثاني فيتمان المعنى

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٥٨ ٠

(٢) انظر صفحة ٤٠ ٠

(٣) على بساط الريح : ١٢٧ ٠ وجاء في ذلك ما نصه : " حين دفع الشاعر كتابه للطبعة الجديدة اضاف الى كل من الاناشيد السابقة بيتين ، وحالت وفاته دون متابعة الزيادة في كل من الاناشيد الثلاثة الاخيرة " ٠

* لقد تعذر عليّ الحصول على تواريخ بعض الترجمات تعذرا تاما لعدم توفر اى مصدر عني بها ٠

ويضعان موسيقى الانشودة اجمل وضع "[1] • ويمكن تقسيم مضمون هذه الملحمة الى اربعة اقسام رئيسية هي [2] :

١ ـ المقدمـــــة :

وتشتمل على الاناشيد الثلاثة الاولى :

أ ـ النشيد الاول : يصف فيه فوزى مملكة الشاعر وهو الفضاء الارحب حيث موطنه الذى يحلق اليه بروحه لا بجسمه على متن اجنحة الشعر والخيال •

ب ـ النشيد الثاني : روح الشاعر ـ يصف فيه نفس الشاعر التي هي من نور وضياء وهي ليست من عالم التراب قط وان كانت قد تجسدت فيه وهي حرة في هذا الموطن الذى يحلق الشاعر فيه •

ج ـ النشيد الثالث : العبد ـ يصف لنا الجسم الذى يجعل مـــن الانسان عبدا ، ويعدد انواع العبودية وهي عبودية الحياة والموت ، وعبودية الشرائع ، وعبودية التمدن ، وعبودية الصيت ، وعبودية الحب ، وعبودية المال ، ويتوق الى الانعتاق منها • وهكذا في هذه الاناشيد الثلاث الاولى يطرح الشاعر قضيته •

٢ ـ حســن التخلـــص: يحاول الشاعر ان يلتمس سبيلا الى حل هذه القضية فكانت الرحلة :

النشيد الرابع : حلم فحقيقة ـ وفيه يرتقي الشاعر بجسمه حيـــث روحه فيصف لنا تحليقه في طبقات الجو على متن طائرة تتفجــــر النيران الملتهبة في جوفها •

٣ ـ الهيكـــــل : وفيه قسمان :

القسم الاول :

أ ـ اقتحامه مأوى الطيور :

١ ـ النشيد الخامس: بين الطيور ـ يصف لنا عجب الطيور من هـــذا الطارئ الغريب على موطنها ، وتظن انه جاء ليستعمر ارضها فيطمئنها •

٢ ـ النشيد السادس : رمز الالم ـ وفيه يتحدث عن المه ويأسه معاناته

(١) حسين ، طه ـ حديث الاربعاء ، ج ٣ : ١٤١ • دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ •

(٢) اعتمدت في هذا التقسيم ما قام به الاب جبرائيل ابي سعدى من تقسيم لهذه الملحمة في كتابه " فوزى المعلوف " : ٤٩ ـ ٥٠ • وقد استفدت منه كثيرا" واقتبست عنه بتصرف

لا يزال في ميعة الصبا ٠

ب ــ ارتقاؤه الى النجوم :

١ ــ النشيد السابع : قرب النجوم ــ وفيه يرتقي الى النجوم ويصغي الى همسها وتساؤلها عن هذا القادم بنيرانه وجعجعته فيتعجب الشاعر من نسيانها لنجوى مشاعره القديمة ٠

٢ ــ النشيد الثامن : اوراق متناثرة ــ وفيه يشبه امانيه باوراق متناثرة بددتها الحدثان لانه عاش يبني امانيه على الرمال ٠

ج ــ التطواف بين الارواح :

١ ــ النشيد التاسع : في عالم الارواح ــ وفيه تدرج من فضاء النجوم الى عالم الارواح فيسمع وشوشة الارواح المتسائلة وقد تألبن حول جسمه يتداولن في امره ٠

٢ ــ النشيد العاشر : حفنة تراب ــ الانسان حفنة تراب واصله من تراب واليه يعود وان الانسان طاهر بطبعه ولكن المجتمع افسده ٠

٣ ــ النشيد الحادي عشر : رقي كاذب ــ رقي الانسان رقي كاذب ، وانه كثير الشر اتخذ من العلم سلاحا للهدم فآخذ ينعى عليه ذكاءه وعبقريته ٠

القسم الثاني :

وفيه يلمح الشاعر الى قبس من التعزية اومض في فؤاده حين بادرت روحه اليه ترفع عنه تهمة الظلم وتغمره بفيض من حنانها ٠

أ ــ النشيد الثاني عشر : كفارة الشاعر ــ تتجلى روحه مفعمة بحنان القلب العطوف جاءت لتنقذه من غضب الارواح وقنوطه اذ انه لم يكن من عالم الارض باختياره ٠

ب ــ النشيد الثالث عشر : على بساط الريح ــ وفيه يتمتع الشاعر بلذة اللقاء مع روحه التي طال بحثه عنها ، فيمخران ساعة من الزمن في بحران اللذة والطرب ٠

٤ ــ الختـــام :

ــ النشيد الرابع عشر : علـــى الارض ــ وفيه يتحدث الشاعر عن عودته الــى الارض ، الى عالم الواقع حيث ينوء جسمه بثقل الالام ، فيلجأ الى يراعه يبث

لواعج قلبه ويبوح اليه باحزانه ، ويطلب اليه ان يروى عنه ما كان حقا وصدقا (١) .

ويشير فايزعون الى مشروع ملحمة خالج فوزى المعلوف بعنوان"الفردوس " ،كان قد بدأ ترتيب صورها وتحليل موضوعاتها على ان يشرع في نظمها بعد انجاز " على بساط الريح " . وجاءت على الترتيب التالي (٢) :

١ ـ جنة عـدن .

٢ ـ الانسـان .

٣ ـ الوحـدة .

٤ ـ ....

٥ ـ المـرأة .

٦ ـ الحـب .

٧ ـ الغيـرة .

٨ ـ ....

٩ ـ ....

١٠ ـ الفردوس المفقود .

١١ ـ الحيـاة ..... (هناك عبارة غير واضحة) .

١٢ ـ استعادة الفردوس .

١٣ ـ الحسـد .

١٤ ـ الجريمـة .

١٥ ـ الضميـر .

١٦ ـ الخاتمـة .

---

(١) ظهرت ملحمة بساط الريح بطبعة ثانية انيقة جدا في ريودى جانيرو عام ١٩٢٩ ، مزينة برموز القصائد للمصور الروسي الي ايجنا توفتش ، اما رموز العناوين فهي للرسام البرازيلي سيت ، ممهورة بمقدمة عن فوزى المعلوف ونظرة في الشعر العربي وشعر فوزى بخاصة بقلم الشاعر الاسباني فرنسيسكو فيلا سباسا .

(٢) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 115 .

وانظر ايضا ذكرى فوزى المعلوف : ٢٢ .

ولعل تخطيطه لهذه الملحمة جاء استمرارا لقصته على ضفاف الكوثر التي انف ذكرها نظرا لما بين الموضوعين من تشابه في الفكرة على الاقل •

اما القصائد التي اعتمدتها والتي لم يرد ذكرها في الديوان فقد جمعتها في الملحق حيث حاولت تبويبها وفقا للترتيب التاريخي ما اسعفت المعطيات عليه • اما القصائد التي لم اتمكن من معرفة تواريخها فقد توزعت بين قصائد الملحق على غير ترتيب محتم •

الدراسة التحليلية لشعر فوزى المعلوف

لا بد للدارس من ان يتبين الموضوعات العامة التي حظيت باهتمام فوزى وشغلت الجزء الاكبر من ديوانه وشعره • ففوزى كغيره من الشعراء الرومانسيين انصبت عنايته على الموضوعات التي اصبحت قدرا مشتركا بينهم : كالمرأة والحب والطبيعة والحنين والالم والموت والانعتاق والخلود •••• وقد جعل الانسان كما فعل غيره محور الوجود ، وخلع على الطبيعة مظاهر انسانية حية • بيد ان هذا الشعر لم يكن مثقلا بالفكر الفلسفي ، فأذا ما عرض اليه فلماما والتفاتا وتأملا خاطفا • ولجأ الى الشعور يغترف منه ، يبحث عن القوى الكامنة في النمو البشري وفي تلوين الحياة بصور مختلفة تبعا لمزاج الفرد ، وحالته الشعورية ، والمفاهيم الانسانية التي تكونت عبر الشعور • لذلك نراه مشغولا بالموضوعات العاطفية او ما هو مثار للحياة الشعورية ، فكانت العاطفة هي الغالبة في معظم شعره على اثر العقل ، واكتسحت في طريقها كل ما يحاول العقل ان ينصبه من حواجز ، كل ذلك صبه فوزى في قالب غنائي وجداني هادئ •

اما موضوعات شعر فوزى فهي :

١ ـ المرأة •

٢ ـ الحب •

٣ ـ الطبيعة •

٤ ـ الحنين والوطن •

٥ ـ الشعر التأملي :

أ ـ الالم ومصادره •

ب ـ الموت طريق الانعتاق •

ج ـ الخلود •

اولا — المـــرأة :

لم يتفرد فوزى المعلوف في الحديث عن المرأة والدعوة للقضاء على التقاليد البالية التي حطت من قيمتها اذ ان هذا الاتجاه اصبح مشاعا في العالم العربي بين شعراء العصر وادبائه وبالاخص المجددين منهم ٠ * وشغل امرها بعضا لصحف حتى ان مجلة المـــرأة الجديدة اعلنت عن جائزة قيمة لمن ينظم قصيدة الام ، فكان الحظ حليف فوزى لقصيدته " الفردوس المستعاد " اذ فاز بالجائزة الثانية ٠ كان فوزى يقدس المرأة ويرسم لها في مخيلته ابهى الصور ٠ ومفهوم فوزى للمرأة مفهوم مثالي مبني على اسس يستمدها من طبيعة الحياة اليومية ومن مظاهـــر المجتمع ٠ ويعبر الشاعر عن نظرته الى المرأة المثالية والاسباب التي تدعو لتمجيدها والتغنـــي بفضائلها ومزاياها في قصيدته عظمة المرأة ٠ يقول :

منك امي ومنك اختـــــي وحســــــناء فؤادى بحبها مستهام (١)

ولكن اذ يتحدث عن المرأة لا يتحدث عن جمال جسدى يزينها او فتنة تاخذ بالعقول ، انما هو يحيي فيها النفس :

لا احيي القوام فيك رشيقـــا	حوّمت حول غصنه الاحـــلام
٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
بل احيي حسنا احب واسمى	يخشع الفكر عنده والهـــام
هو حسن في النفس يخلد اذ	يذوى جبين ويستحيل قـــوام
هو عزم ودربة وشـــعور	وحنو وعفـــة وغـــرام (٢)

والمرأة المثالية هي المرأة التي تتحلى بمزايا العفة والطهارة ، بل يجب ان تتحلـــى بهذه السجايا الطيبة لانها حصن الهناء يرتاح فيه الشيخ والكهل والفتى والغلام ، وان نبـــوغ البنين العظام ، وغرس بذور الكرامة في النفوس والتعالي بفعل همة شماء هي من ثمار النســـاء العظيمات الكريمات القائمات على تنشئة الاجيال ٠ وان فسدت المرأة فأن المجتمع يفسد ايضا (٣) :

---

(١) الملحق : ٩ ٠

(٢) المصدر السابق : ٩ ٠

(٣) المصدر السابق : ١٠ ٠

* للتوسع عن موقف الشعراء والادباء من المرأة انظر كتاب الاتجاهات الادبية لانيس المقدسي : ٢٥٢ — ٢٧٨ ٠

واذا لم يكن بها كرم النفـــس　　　　فهل يرتجى الرجال الكـــــرام

واذا لم تكن مزيتها الهمـــــة　　　　توحي بها فأين الهمـــــا م

لا يكون البنفسج الغض من شوك　　　　ولا ينبت الوشيج الخـــــزام

ولكن كيف يمكن للمرأة ان تصل الى هذه المرتبة من العظمة والرقي بحيث تضحي مصدر هذا التقدم ، تخلق الهمة في النفوس وتسمو بالجيل الصاعد نحو العلاء ؟ نجد الجواب واضحا عند فوزى فهو يطالب بتعليم المرأة وتثقيفها واكرامها • يقول :

اطلقوها من القيود ترفـــرف　　　　فيرفرف على الحياة الســـــلام

اكرموها وقد سوا النفس فيهـــا　　　　فجدير بمثلها الاكـــــرام

علموها العلم الصحيح فتبدى　　　　لكم ما جهلتـــم الايـــــا م[1]

اذا فالدعوة الى تعليم المرأة وتثقيفها والمطالبة باحترام اراداتها واكرامها مــن عوامل تحرر المرأة وانتصارها على الاوضاع البالية التي هضمت ابسط حقوقها ، وحرمتها مـــن التمتع بمباهج العلم والحياة الجديدة المطلة على افق العالم العربي •

غير ان فوزى يظل حذرا في اطلاق الحرية للمرأة اذ انه يؤمن بأن للمرأة وظيفـة هامة هي وظيفة الامومة وتربية الناشئة ، وعليها ان تكتفي بذلك لان هذه الوظيفة هي عمل جبار بحد ذاته • يقـــول :

كل هذا ولا نريـــدك تمشي　　　　بك نحو المناصـــب الاقـــدام[2]

ويقول ايضــــا :

ان نحب النساء مرتقيــــات　　　　فاضلات يسدى لها الاعظـــام

لا نحب النساء مسترجـــلات　　　　يخلف اللين عندها الاقـــدام[3]

وهنا يجمع فوزى بين وظيفة المرأة كأم وبين انوثتها التي هي مظهر من مظاهـــر كونها " امــرأة " • فالمرأة هي المرأة والرجل هو الرجل دون ان يغض من قيمة المـرأة او ان ينظر اليها نظرة ازدراء ، انما يرى ان المرأة تحقق ذاتها بتحقيقها واجباتها والاعتنـــاء بأنوثتها ، فالمرأة المسترجلة تعد على الانوثة ومثار لاستنكار الرجل •

---

(١) الملحق : ١٠ •
(٢) المصدر السابق : ١٠ •
(٣) المصدر السابق : ١٠ •

فهل يكون سقوط المرأة لانها تهمل وظيفتها ؟

وهل خوضها معركة الحياة في ميادين الرجال افضى بها الى خسران مكانتها ، لهذا يلح على المرأة ان تظل معتزة بوظيفتها دون التطلع الى حقل هو غير حقلها ؟ وهل اتخذ فوزى هذا الموقف من المرأة بعد ان شهد سلوك المرأة الغربية فاشمأزت نفسه ، وخاف على المرأة الشرقية ان ينتقل اليها عدوى الشر القادم من الغرب ؟ اننا لا ندرى ، ولكن ما هو واضح ان فوزى يؤمن بأن المرأة لها كل الحق بالحياة والعلم والاكرام ضمن حدود وظيفتها وانوثتها .

وفي قصيدة " الفردوس المستعاد " يمسح عن المرأة لوثة خطيئتها ، فهي قد تطهرت بالالم واصبحت اما ، وفي الامومة تبرز كل معاني الجمال والروعة والبهاء . فالامومة عملية خلق وابداع . يقول على لسان آدم :

فيك تنمو روحي وانت مقيمة	طيّ قلبي
ما فقدنا فردوسنا ونعيمه	لا وربي
هو حيّ فينا وهاك رسومه	عنه تنبي
هو فيّ الهوى وفيك الامومه	وهي حسبي (١)

والامومة في المرأة هي مثال وخلود ، بل هي سعي نحو تحقيق الذات ، ليس بالنسبة للمرأة فقط ، بل للرجل ايضا :

يا لها من امومة للخلود	هي ترمي
ان فيها سر البقاء والوجود	طيّ جسمي
وبها شاء ربنا ان تعيدى	في الورى اسمي
ايه ، طوباك عند قول الوليد :	انت امي (٢)

ولعل اروع ما في هذا المقطع هو كلمة طوباك ..... اذ تجمعت فيها كل البركة والتقدير والنعمة وهي ذات معنى ديني يوحي بالقداسة ، وكأنما الامومة دين طبيعي . ومن هنا كانت نقمة فوزى على المرأة الماجنة ، على "بائعة الهوى " . التي لم تقدس هيكل جسدها بل دنسته وبالتالي دنست نفسها ايضا التي لم تخلق الا لتكون مصدر خير ، ومنبعا من منابع الفضيلة .

---

(١) الملحق : ١٥ .
(٢) المصدر السابق : ١٥ .

فحين تعيا امام تصلبه تنتابها الحيرة وتقول له :

قالت : ولكني فتانــــة   توخذ من سحر جمالي العقول

يجيبها الشاعر باصرار :

فقلت : حسن الجسم فان وما   من دولة للحسن الا تــــدول
غير جمال النفس بين الـورى   فهو جمال خالد لا يـــزول [١]

ونرى هذا المعنى ذاته يتردد في قصيدة " طاقة الزهر " [٢]

وفوزى لا يجور في حكمه على المرأة الساقطة الا بعد ان يتقصى حوافز سقوطهـا والدوافع الكامنة وراء هذا المصير ، فقد رأى الحرب وقد جعلت حياة الناس في مهب الريح ، فتذل النفوس ، وتعبث بالكرامات ، وتسترخص الاعراض . وهي ظروف فرضت وجودها على الانسان فيتولاه الاسى ويحاول ان يجد للمرأة الساقطة عذرا . يقــول :

كم فتاة كان الحياء حــلاها   قبل ان راودته كف الشقـــاء
تبذل العرض وهو جوهرة النفس   رخيصا حتى بجرعـــة مـــاء
وتنادى في ساحة الفحش والفسق   على ما بقي لها من حيـــاء [٣]

وهذه نظرة لا تنم عن ثورة على المرأة بقدر ما تنم عن نقمة على القضاء والقــدر . فالمرأة هنا عصفت بها ريح الحرب ، فهان في ناظرها كـل شيء في سبيل الحياة لان شهـوة الحياة هي اقوى من الموت .

ولا يغفل فوزى عن اتهام الرجل المغتر الظالم حين يتأمل في واقع المرأة الشرقية . فهو واحد من دعاة التحرر الذين يطالبون بحقوق المرأة ، اذ ان الحيلولة دون تثقيفها وتطلعها نحو حياة افضل هدر لطاقة حية من طاقات المجتمع . فالرجل هو الذى زعم بأن المرأة ضعيفــة العقل فأنكر نعماها وعزا اليها كل بلاء في الحياة دون ان يرده نهي او ذمام ، واغلق عليها في سجن التقاليد ، ثم طلب اليها ان تكون بلبلا مغردا وهي في اثقل القيود تضام [٤] . ثم يقول :

ليت شعرى ، وهكذا هم ارادوا   ان تكوني فهل عليك مـلام ؟ [٥]

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٦٣ .
(٢) المصدر السابق : ١١٨ ـ ١١٩ .
(٣) الملحق : ٢ .
(٤) الملحق : ١٠ .
(٥) الملحق : ١٠ .

والامة التي تسيم المرأة ذل العبودية لا يرجى منها نفع :

افيرجى النجاح للشعب والمرأة   فيه ذل العبيد تسـام(١)

فمن الملاحظ اذا ان فوزى المعلوف في مفهومه للمرأة يحاول ان يكشف عن دورها الفعال في المجتمع كما يحاول ان يضيء جوانب العظمة فيها ويؤمن ان طغيان الرجل هو مصدر شقاء المرأة ، والعامل الاول على تأخرها والحد من اثرها في تطور الحياة والمجتمع . والمرأة ، وهي الام والاخت والزوجة والحبيبة مصدر خير لا مصدر شر ، وما انحرافها الا حدث عارض، لان المرأة في جوهرها مثال .

ثم ان المرأة بسقوطها اخرجت آدم من الجنة ، ولكن الجوهر الذى فيها اضفى على حياة آدم سعادة الفردوس المستعاد . والحديث عن المرأة في شعر فوزى لا يقتصر على هذه المفاهيم فحسب بل يتعداها الى المرأة من حيث هي مثار للحب ، وتمثال مقدس منحوت ، واله يعبد وروح تسمو بالمشاعر وتقدسها بالالم . لهذا رأيت ان استوفي حديثي عن المرأة فيما انا اتحدث عن الحب في مفهوم فوزى .

ثانيا - الحب في شعر فوزى المعلوف :

الحديث عن المرأة يفضي بنا الى الحديث عن الحب . وموضوعات الحب في شعر فوزى هي الصفة الغالبة على القسم الاكبر من ديوانه ، ولعل ذلك يرجع الى طبيعة الحياة التي كان يحياها والى الظروف التي اكتنفته ، ولا سيما انه مات وهو في مقتبل العمر حيث تكون سورة العواطف على اشد حدتها ، ويتجلى لعينيه الوجود من خلال العواطف والمشاعر . وفوزى ذو المزاج الحساس المتعبد للجمال ، يجد في الحب مرتعا خصبا يلون شعره ويضفي عليه روحا وحياة . وقد استهواه الجمال فلم يقتصر منه على لون واحد ، فاهتز له حيثما وقعت عيناه عليه ، سواء في الفن ، والطبيعة ، والمرأة . ففي قصيدة بعلبك يقف خاشعا امام روعة الاثار وجمالها ، ويقـول :

وكلي عيون معجبات شواخص   منعن على قلبي التنفس في صدرى(٢)

بل ان هذا الجمال يخلق مناخا مفعما بالخشوع والرهبة :

خشوعا كأني ساجد ضمن هيكل   صموتا كأني مستقل على قبـر(٣)

---

(١) الملحق : ١٠ .

(٢) ديوان فوزى المعلوف : ١٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٦ .

فهو تواق الى الجميل ، صاب اليه ، بكل نوازعه ، يغنيه بروح طاهرة مثالية ويقدسه . والحقيقة ان ارحب مجالات الشعر الرومنطيقي هو شعر الحب " وكان طابعه العام الحزن والشكوى من عدم وفاء الحبيب ، وقلما كان يعنى الرومانتيكي بلذائذ الحب الحسية وانما كان حبه عاطفيا حالما يمتاز بأنه يضيق بالعقبات التي تعترض طريقه ويثور عليها ولو كان مصدرها القوانين او نظم المجتمع "(١) . وقد بالغ بعضهم في رفع المحبوبة حتى بلغ تقديسهم لها حدا وكأنها ليست من جبلة البشر .

طبيعة الحب في شعره :

وهذه المظاهر لم يخل منها شعر فوزى ، انما تناولها في معان وصور مختلفة مفعمة بالوفاء والعفة والتكتم والتعبد ، وما يشبه الحب العذرى . فمن قصائده التي ترسم لنا هذا اللون الخاشع الواله من الحب قصيدته " الحب الصامت " . يقول :

تبوح لها بالحب عيناي انما	لساني يستحيي فلا يتكلم
وارقب عينيها عسى بهما ارى	شرارة حب ، صح ما اتوهم
ففي عينيها ما في عيوني من اللظى	وذاك دليل الحب ان كتم الفم
ولكن لماذا لا تبوح ولم ابح	وقد علمت ما بي كما انا اعلم؟ (٢)

وفي ترقب فاجع ، وحيرة قلقة يرف في اذاننا الجواب الغريب المدهش :

خليليّ ذاك الصمت من ادب الهوى	ومن ادب العشاق ذاك التكتم

ان لظى الحب يشتعل ، والاشواق تضطرم ، ولكن ادب الهوى ، بل قل العفة ، تدعو الى التكتم . واني لارى في هذا الموقف معنى اعمق واكثر ايحاء ، فلعل في هذا اللظى استثارة لكوامن الحب ، وفي تحقيقه قتل له . ففي التكتم اجيج دفين يتأكل في القلب ويذيق الحبيب لذة الالم . وتظل نار الحب مشتعلة ، ولكن عنصر العفة ما برح يخالط هذا الحب ويلقي عليه نقابا من البراءة والقداسة .

وفي قصيدة على " منارة بيروت " (٣) بعد ان يصف لنا الشاعر اصطخاب الموج وصفا يشبه وصف لامرتين في قصيدة البحيرة ، نخطو مع الشاعر الى هياكل المساء حيث يخيم السكون المتعبد فيهمس في اذن الحبيبة ان تحترم المساء :

---

(١) هلال ، محمد غنيمي — الرومانتيكية : ١٥٣ — ١٥٤ .

(٢) ديوان فوزى المعلوف : ٦٤ .

(٣) المصدر السابق : ٦٦ .

هو رب السكون فاحترمي ... صمته ، ان صمته ابدي
افلم تشعري بنسمته ... صعدت زفرة ولم تزد
اولم تبصري جوانحنا ... لبست منه اروع البرد ؟ (١)

وكأنما الشاعر في هذا المقطع يرسم لنا " الديكور " ويعد لنا المناخ الروحي الذي تطوف فيه نفسان عاشقتان تشبهان في قداستهما قداسة الليل وخشوعه . وبذلك يولد انسجاما بل وحدة عميقة بين القلبين الوالهين وبين المساء . فالمساء صامت وصمته ابدي وكذلك حبهما :

كتمت ما نكن من وله ... فوق فحم العيون متقد
فحبسناه في اضالعنا ... ووجعنا لم نبد او نعد
بشفاه عليه مطبقة ... ولسان لديه منعقد
فاذا ما طلبت او طلبت ... جملة ، لم اجد ولم تجد
نطق القلب بالهوى فلما ... وضعته الشفاه في رصد ؟ (٢)

ما اشبه هذا التساؤل بالتساؤل الذي ختم به قصيدة الحب الصامت . ولكنه ههنا لا يورد جوابا وانما يترك الحب في صمته ، في غموض، ينمو في وجدانين غارقين ،غير اننا نستطيع ان نعثرعلى تفسير لهذا الموقف يوكد ما ذكرناه سابقا ،في المقطع الاخير من هذه القصيدة :

يا لها فرصةً مضيعة ... سنحت مرة ولم تعد
كنت فيها قرب السعادة ، لو ... شئت طوقت جيدها بيدي
كنت كالطير عند ساقية ... امّها ظامئا ولم يرد ... (٣)

ونلاحظ في هذا المقطع ثلاثة امور : اولا انه اعتبر هذا الموقف الذي لم ينتهزه فرصة مضيعة . وثانيا انه لو شاء لطوّق جيدها بيده ، ولكنه لم يشأ ، وفي هذا تناقض ما بين الموقف في البيت الاول والموقف في البيت الثاني . وثالثا يشبه نفسه بالطير الظامئ الذي ورد ساقية ولم يرتوِ من مائها . اكان يخشى موت هذا الشوق اذا تحقق ام هي العفة حالت ما بينه وبين عناق جيدها ؟ يلوح لي ان الحافزين يتضافران ولا سيما انه اعتبر تطويق الجيد تحقيقا لرغبة دون ان يتوق الى ما هو ابعد . ويربط الشاعر ربطا وثيقا ما بين قداسة الموقف

---

(١) ديوان فوزي المعلوف : ٦٧ .
(٢) المصدر السابق : ٦٧ ـ ٦٨ .
(٣) المصدر السابق : ٦٨ .

وخشوع المساء واحترامه • ولا شك انه لم يرد ان يلوث طهر المساء بلذة حسية وان كان ذلك على تحرق •

والحقيقة ان الخوف من موت الاشواق لدى تحققها والعفة التي كان يبشر بهما مظهران جليان في نتاجه الشعرى • يقول فوزى عن حالة الصدود في الحب :

فيا لك حالة غبن غدت مثلها حالتي

احب التي نبذتني ولست احب التي

تموت بحبي (١)

فلماذا تموت بحبه ؟

الانه تحقق ؟ ام انه يسعى لِمَ هو يصعب تحقيقه ويعجز عن ادراكه • ان العنصر الملحمي في هذا الموقف يتلخص في قصة العجز عن التحقيق ، وهذا العجز هو شرارة تمد الاشواق بحرارة لا تنطفىء او تكاد • وفي العجز عذاب ممتع عند الشاعر الرومنطيقي لانه يحمله الى عالم خيالي تتراءى له ان احلامه تتحقق فيه ، فيتحرر من وقر الاحزان والالام ، ويغرق في لجة من المتعة والنشوة • وفي هذا التعلق تلوح شواعره رؤى واحلاما وتشوقا مستثارا ، وقلقا وبحثا •

اما العفة التي يقدسها فوزى فهي ظاهرة بارزة في قصيدتين احداهما قصيدة "خلوة"(٢) ويصور لنا فيها الشاعر خلوة غرامية اشتعلت فيها نيران الهوى ، ومال العاشقان الى نهر الهوى يغترفان منه رشفات الهناء • وفجأة يضج في مسامعنا هذا النغم الغريب بالنسبة لموقف غرامي :

ولم نخش عما كان لومة لائم فمن حبنا العذرى قام لنا عذر

وكأنما اراد فوزى ان يبدد الظنون التي راودت نفس القارىء ، فعصف ببيت واحد بكل ما تجمع في ذهنه من صور سابقة ومشاهد توحي بسوء الظن • اما القصيدة الثانية فهي قصيدة "بائعة الهوى" (٣) وفيها تتجسد فكرة طهارة النفس وسموها ، ويرى الجمال في محاسن النفس المترفعة عن الملذات ، وهكذا يضحي الحب بالذات مظهرا من مظاهر الاخلاق ، في نزعته المثالية:

فقلت : حسن الجسم فان ، وما من دولة للحسن الا تدول

غير جمال النفس بين الورى فهو جمال خالد لا يزول

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٠٦ •
(٢) المصدر السابق : ٨١ •
(٣) المصدر السابق : ٦١ •

وهذه حقيقة بالنسبة للرومنطيقيين خاصة اذ انهم ينحتون من خيالهم تمثالا للمحبوبة يرفعونه للعبادة ويربأون به عن ان يخالط الواقع ، وهم اذ يغوصون في اعماق اللا شعور ليستخرجوا منه اوصاف الحبيب المثالي والحب الصادق يحسون بانفراج نفسي من الشعور بالكبت الذى يضطرهم اليه الواقع . وقد رسم فوزى لنا صورة حية عن هذا اللون من الحب في قصيدة " نجوى " (١) :

اخبريني اما اتاك ملاك	الحب في الحلم بعد نوم العذول
هامسا في جفونك المطبقات	الهدب كم انت فتنة بالنحول
حاملا في يمينه من دموعي	قطرات تشع في اكليل
رافعا قلبي الجريح بيسراه	وقد سال بالدم المطلول
مكبرا ما حويته من جمال	هو فوق الجمال والتجميل
اصفرار لكنه لون عاج	سكب الشوق فيه كل جميل

. . .

ليتني ذلك الملاك فأدعوك الها للعالم المجهول

ان الصورة التي تألقت في خيال فوزى هي صورة المسيح المصلوب ، واحس بذاته انه هو المصلوب اذ يتساءل فيما اذا حمل ملاك قطرات دموع تشع في اكليل . وكأنما هذه الدموع هي قطرات دم تفجرت من رأسه واخذت تندى الاكليل كما حدث مع اكليل المسيح المصنوع من الشوك . والقلب مطعون كجنب المسيح الايسر والملاك يحمل هذا القلب بيسراه وقد سال بالدم المطلول كما سال الدم من جنب المسيح . هذه الصورة هي صورة الاله المصلوب ، فهل كان قلبه الها مصلوبا ؟

ويتمنى فوزى ان يكون ملاكا ليدعوها الها لعالم مجهول ضبابي يتوق اليه الشاعر الرومنطيقي حيث ينفرد بمن يحب متعبدا مبتهلا . وهذا التسامي في الحب هو دعوة دائمة وان كان مصدرها الجسد . ففي قصيدة " الحمام على الشاطىء "(٢) يصف لنا فتاة في ثياب البحر ، حسناء مكشوفة الساقين والنحر :

فتخالها حواء عارية	لولا الذى في الوسط من ستر

ولكن هذه المشاهد الجسدية الفاتنة لا تطغى على الحالة الروحية عنده بل تستحيل المادة الى رؤى روحية . يقول :

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٧٨ .

(٢) المصدر السابق : ٨٢ ــ ٨٣ .

هو مشهد ما كان اجملـــه　　　واحب ذكراه الى فكـــرى
اشركت روحك فـي سمـــاه فلا　　　تسأل عن الباقي من الامـــر

فهل هذه الروحانية نتيجة لمفهوم روحي للجمال ؟ وهل رأى في جمال جسد هذه الحواء فنا سما به الى عوالم روحانية كما يسمو الفن بروح النحات والرسام لدى نحت تمثال او رسم صورة ؟

الحنين فـي الحـــب :

ويلعب الحنين دورا هاما في شعر الحب عند فوزى • وفي الحنين عذاب ممتـــع لان مثاره ذكريات الامس، والروى الفاتنة ، وفيه راحة للنفس وتلذذ هادئ • ففي قصيـــدة " يا ليتني "(١) يبدأ فوزى المعلوف بنجوى شوق وطلب فيه لون من التوسل :

اعيدوا على مسمعي ذكرهـــا　　　فاني بذكر اسمها اسكـــــر
فتعرف طعم المنام جفونـــــي　　　ويكفي جفوني ما تسهــــــر
عسى طيفها ان يزور فراشـــي　　　فأكرم مثواه ما اقـــــــدر
وا حجزه في نطاق الضلـــوع　　　على عرش قلبـــي فلا يدبـــر

وهذا التشوق وليد بحث مستمر عن قلب ضال ، عن ينبوع حب دافق ظمئ قلبه اليه ، وتاقت نفسه الى منهله • فخيال الحبيب ضل عن مضجع الشاعر وطار بقلبه ولم يرجع ، وهو يريـد ان يلتقي بنفسه مرة اخرى وينصت الى نداء قلبه ومعزوفة الحب العذبة :

اضلّ خيالك عن مضجعـــــي　　　فطار بقلبي ولم يرجـــــع
المّ فلم يرو لـي غلـــــة　　　وراح فلم يبـــق من مطمـــع
تحملت وقع النوى والصـــدود　　　لو ان فوادى باق معـــــي
ولكنه نام في مقلتيــــــك　　　على مضجع بلّ بالادمـــــع(٢)

وهذه حالة تمزق اوتار قلبه وتسبب له عذابا ،فيصرخ متأوها طالبا اليها ان تـــرد اليه قلبه وبالتالي ترتد هي اليه مع قلبه ، ويكون لقاء بين ذاتين : ذات الشاعر ، وذات الحب المتجسد في قلبه •

وفي حنينه الى تذكارات الماضي يزفر آهة حرّى تمزق نياط القلـــب :

---

(١) الملحق : ١٨ •
(٢) الملحق : ١١ •

واها على الماضي وايامـــه ما كان اسعدها واقصرهـــا
فرّت فرار لذيـذ احلامـه لم تبق لـي الا تذكـــرها
ايام انس ما احيـلاهـــا واحب صورتها الى فكـــرى
قلبي يذوب جوى لذكراهـا في اضلعي ، ومدامعي تجرى[1]

وهذا حنين عميق الى الذات التي تخلفت مع الماضي ، الى صرخة الحب اللاهبة التي لم يبق منها الا صدى ذكرى ، وهذا الصدى بالرغم من خفوت جرسه وخفائه ، ما زال يناديه، فيحن شوقا اليه . لهذا يذوب قلب الشاعر جوى لذكراها ، فتجرى دموعه ودماؤه ، ويضج صدره بالشـــكوى :

فبالله ردى عليّ فؤادى فقد اوحشت بعده اضلعـي

ويتمنى الشاعر ان يكون زهرة لتقبلها او طائرا هازجا او نسما خاطرا او قطرة نـــدى لا تقطر الّا على خد من يحب[2] ، لان منى النفس ان يذوب بها ذوبان الروح في الجسد :

لعمرك هذى مناى وهـــذا غرامي وهذا الذى اشـــعر
وهل تشعرين ببعض الذى بي وهل تذكرين كما اذكـــر[3]

ان ما يذكره الشاعر يحرك كوامن مشاعره ويشده الى الامس فيحاول ان يجوس خلاله عبر احداث تتراكم في درب الزمن السحيق ، فيرى ان عنصر الحلم خير دواء يعالج به آلام الذكـــرى . ولكن ماذا يحدث للشاعر حين يستفيق على الواقع القاسي ؟ وكيف يكون موقفه من الحياة وقد رأى احلامه تتبدد ؟

تظل الاحلام هي الملاذ الوحيد لتفريج الكربة عن النفس . والدافع الاعمق للاحلام هو الحنين الى الذكرى ، لان الواقع الحاضر يبعث على الاسى . فاسمعه يقول عن نفسه التـــي تهوى الظلام وهو مرتع الاحلام :

تهوى الظلام تهيم فيـــه وكم يلذ لها السـهر
والحب اجمل ما يكون اذا تخلله الكـــدر[4]

اما الكدر فهو ناجم عن المقارنة ما بين الحلم والواقع ، واللجوء الى الحلم الممـــزوج بالحنين يجمّل الحب بالرغم من الشوائب . وهذه بحد ذاتها رومنطيقية حالمة .

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٩٤ ـ ٩٥ .
(٢) الملحق : ١٨ .
(٣) الملحق : ١٨ .
(٤) الملحق : ١٧ .

التمرد في الحب :

ولفوزي قصيدة تحتد فيها عواطفه وتتمرد على الوجود والكون والحياة والله ، وفيها تأليه جلي للمعبودة التي ينبذ من اجلها كل التقاليد وكل المعتقدات ويكفيه حبها وجوارها حتى ولو كان هذا الجوار في الجحيم :

اني عبدتك جاحـــدا	ربي وما امر الكتـــاب
فاقضي عليّ ولا تبالـــي	بالاله وبالعقـــاب
سيحين يوم فيه يرجعنـــا	لعنصره التـــراب
فعسى يكون نصيب روحينـــا	جهنم والعـــذاب
كي نلتقي فيها هنـــاك	سوية بعد الحســاب
ونتوب عما قد مضـــى	منا اذا قبل المتـــاب
أو لا نجدد يا منـــاي	هناك ايام الشبـــاب[1]

فهذه صرخة رومنطيقي ثائر مفعم بالشباب والاشواق ، ولا يرى الدنيا سوى حب لاهب اقوى من الدين واعظم من التقاليد ، وفيه كل الشباب لان الحب في تجديد مستمر . اما لماذا يرجو ان يكون نصيب روحيهما جهنم والعذاب فذلك لانه عبدها من دون الاله ، وهناك يتطهران ويتوبان ويجددان شباب الحب . بل لعله يرى في عذاب الحب المرير عذابا يشبه عذاب جهنم ، وفي هذا العذاب انصهار وتطهير.

وهذا الحب الذي يدفعه الى التأليه واللامبالاة بكل تقليد وشريعة يوقد في نفسه عزما اشد هولا من عزم قطار الشؤم الذي يقل محبوبته في " ساعة البين "[2] ويتهدده بالدمار اذا خطا بها خطوة واحدة :

رويدك قطار الشؤم حتام تلتـوى	وتنجد في عرض البلاد وتتهـم
مكانك لا تنقل عن (الخط) قطعة	ولا تتحرك ان ذلك اســلم
سلبت التي كانت لقلبي نعمـــة	ونورا لعيني تجتليه فتنعـــم

وكأنما صورة فراق الحبيبة تستبد بنفسه فيلوّح بيديه متوعدا القطار الذي هم بالمسير:

فدعها فما لي غيرها وهي ما لها	سواى على ارض بها الحب يحكـم
والا تصادمنا ومثلي في الهـوى	على كل انواع المخاطر يقـــدم

---

(١) الملحق : ٢ .
(٢) الملحق : ٣ .

وتبلغ به الحدة والسخط مبلغا ينقلب معه الى التهديد الصارم :

منعتك عن سير فأن تخط خطـوة تجدني ليثا في الهوى ليس يقحـم

له في لقا الاخطار عزم وهمـة ولكن لدى الالحاظ قلب مسـلم

فالحب يولد فيه قوة عارمة بحيث يجابه القطار ويتحداه ، وكأنما فوزى بداعي انفعاله وثورته يرى في القطار خصماً شديدً البأس يحاول ان يسلبه من يحب ، ولكن الحب يفجر في اعماقه روح البطولة ، وما كان المحرك الاول لهذه الثورة غير هذا الحب الذى في وسعه فقط ان يرقق من شعوره فيستأنس عند سحر الالحاظ(١) .

ولكن الى اى شيء يرمز قطار الشوم ؟ ان في الرومنطيقية ثورة على التقاليد والعادات والعقائد الدينية وكل ما يقف عائقا في طريق الحب ، فهل يكون قطار الشوم رمزا لكل هذه العوائق التي يتمرد عليها ويثور ، " لان للحب حق التقديم في حقوقه على كل مزاعم المجتمع "(٢) . والشاعر يستعين بالسلاح الوحيد الذى يملكه وهو سلاح الحب لكي يقهر العدو الكامن له في منعرجات الطريق . وما من شك في ان قطار الشوم وهو رمز الآلة في هذه القصيدة ضد الانسان بل قل ضد القلب ، انما يمثل قصة الصراع بين المدنية التي راحت تجتاح الحياة الاجتماعية بكل ما فيها من زيف وبين العودة الى الطفولة الاولى والحياة البريئة الساذجة .

لذة الالم في الحب :

بيد ان هذا الحب كان مبعث الم لذيذ يختلج في وجدان الشاعر ، بل كان يتوق اليه اذ يتولد عنه ابداع فيتفاعل مع وجوده بحيث يصبح الالم صفة لازبة ترافق الحب الرومنطيقي في تطوره وانتقاله من مرحلة الى اخرى . ويلوح لي ان فوزى كان يتلذذ بالالم ، اذ ان طابع الالم يشوب قصائده العاطفية . وتجلى عنصر الالم في شعره منذ بواكير انتاجه ، فيتصل ههنا بالرومنطيقية التي جعلت من الالم سبيلا الى الطهر ، ومن الدمع نار النقاء . يقول :

غسلت عينه بما سكبتـه من ندى الدمع كل ادران نفسه

والتظى قلبه فطهر بالالام ما دنسته شهوة حسـه (٣)

ففكرة الالم فكرة بارزة في الشعر الرومنطيقي ، والصبغة الغالبة عليه . ولم يشذ فوزى عن هذه القاعدة بل لعل مظاهر الالم في شعره كانت ابرز منها عند غيره من شعراء العصر ،

---

(١) الطمق : ٣ .

(٢) هلال ، محمد غنيمي ـ الرومنطيقية : ١٤٥ .

(٣) على بساط الريح : ١٢٧ .

وذلك يرجع لاسباب نكاد نجهلها ٠

ومما يدعو الى الاسى اننا لم نحظ بمذكرات فوزى ، والذين عنوا بدراسة انتاجه وحياته اعياهم ان يلقوا ضوءا على هذا الجانب الغامض من حياته ، وان يربطوا شعره بالاعراض والاحداث التي تكونت بها تجربته ٠ وجل ما يمكن قوله ان الشاعر تعذب في جحيم الحب ، لا تنتقع له غلة ، او اعاشه لونا من الوان التمني ما يرشف رشفة حتى يعاوده الظمأ فلا يرتوى ٠ ولعل هذا الاخفاق مهما كان مصدره حرّك في اعماقه شجو الاسى ، وعزف على وتر وجيع في قلبه فانبعثت منه انغام مشحونة بالاشواق والقلق والالم ، سكبت في نبضات شعره فيضا من اللواعج ، فتململت سمفونية حزينة رجعها الف صدى ٠

وهذا الاسى العميق اتسم به شعر فوزى منذ بواكير انتاجه ، بفعل حساسية مرهفة :

حب كتمت عن العيون وجوده	ولو انها علمت به لم تهجع
ما زلت اخفيه ويفضحه الضنى	ابدا فاطفيه بماء الادمع
والقلب مشتعل الجوانب خافق	يحيا الحياة بأنة المتوجع(١)

اطلق فوزى هذه الصرخة المتوجعة وهو لم يجاوز الخامسة عشرة من عمره ٠ ويبدو لنا من عنوان القصيدة " قلب موجع " طبيعة الموقف الذى عبر عنه فوزى في هذه الابيات٠ وهو يرحب بالالم ، ولكن اى الم ؟ الم ينهش القلب ويمزق النفس، الم نهم الى الدم :

مرحبا بالعذاب يلتهم العيـ	ـش التهاما وينهش القلب نهشا
مشبعا نهمة الى الدم حرّى	ناقعا غلّة الى الدمع عطشى (٢)

وكان من شأن هذا الالم النابض به شعر فوزى ان شاعرا هو محمود ابو الوفا راى ان فوزى لم يمت الا " بضربة غدر اصابت قلبه في مأمنه " (٣) ، ولجأ الى شعره يستقرئه

---

(١) الملحق : ١ ٠
(٢) ديوان فوزى المعلوف : ١٣٣ ٠
(٣) المقتطف ـ على بساط الريح ـ للشاعر محمود ابو الوفا ، المجلد ٧٨ (١٩٣١) ع آذار: ٧٤ ٠
ان الشواهد التي استعان بها ابو الوفا هي ما يلي :
١ ـ في مقطع قرب النجوم من على بساط الريح (٧٨) يقول الشاعر :

ايه يا نجمتي الم تعرفيني	شاعرا ينصت الدجى لنواحه

ولفظة يا نجمتي التي اضيفت اليها ياء المتكلم تلفت الانتباه ولا سيما ان الشاعر يتحرى الصدق في الالفاظ والدقة ٠٠٠ " وحينئذ لا بد من القول بأن الاضافة هنا مقصودة ،واى شيء يقصد خلاف هذا الذى اردناه " ٠
٢ ـ ان فوزى حين ختم نشيد قرب النجوم بالصورة التي بيناها اسرع فالتفت لنفسه لفتة تقطع نياط =

ويستمد منه الشاهد تلو الشاهد • وهي ان عرضت على مجهر التقصي والبحث لا تزيد ان تكون ظنونا واوهاما غالى فيها صاحب المقال دون مسوغ • وكأنه غفل عن طبيعة الشاعر الرومنطيقية وتلذذه بالالم ، ولو كان موته نتيجة لضربة غدر اصابت قلبه لما رأينا هذا النغم الاليم ينبجس من شعره منذ ان رفّ طير الحب فوقه بجناحين من الم • ولست اشك لحظة ان فوزي عانى من الحب ، ولعله اصيب بخيبة امل ، ولكن نغم الالم الذى لم يبرح شعره لم يكن نابعا عن موت ينخر فيه بفعل حب فاشل • ولا شك في ان الحب فجّر ينابيع مشاعره فامتزجت بالعذاب الحلو والالم اللذيذ والكآبة الوادعة • بل انه يتوق الى اليأس لما في هذا اليأس من تأثير عميق على نفسية الشاعر :

الف اليأس قلبه ، فهو واليأس — يحاكي بثينة وجميلا

واذا اليأس صدّ عنه قليلا — راح يبكي على نواه طويلا [(١)]

ان الالم هو رمز حياة لانه دليل الاحساس بالوجود والحياة • والشاعر حي يتأثر وينفعل ويتألم ولعل شعوره بالحياة الممزوجة بالالم عمّق في وجدانه طبيعة الشعور ، فزاده قوة وانفعالا •

ولعل قصيدة " انين " تتضمن تلك اللوحة الدامية المعذبة التي كانت ثورتها تضطرم في صدر فوزى ، فهو يقف امام جوهر العذاب وقفة تحد وينعت ذاته بنعوت الالم والثورة والتمرد والتعبد في الهوى والتلذذ بالعذاب • يقول [(٢)] :

الا ، فاكشفي عني الرداء وحدّقي — بصدرى ترى ما لا ترى اعين الناس

ضلوع ولكن لاويات من الجوى — وقلب ولكن كالمدامة في الكاس

تحملها الايام ما لا تطيقه — وتسكبه الاشواق للشغف الحاسي

ويردف فوزى هذه الابيات بشكوى مريرة يصور فيها حالة الشجن التي اصبح عليها :

بلغت الى اقصى التعاسة في الجوى — فحتام هذا الدهر يطلب اتعاسي

فيالي من روح تعذّب ما جنى — عليها سوى قلبي ورقة احساسي

وتالله لولا قوة لم تزل بها — لارديتها خنقا بكفي من ياسي

= القلب • وان كان في اثناء ذلك يرسل نغما شعريا حارا جدا حتى لنكاد نشم في الفاظه روائح الاكباد المحترقة والافئدة الممزقة •

٣ـ ثم لا ننسى اطلاقه على هذه الانغام ـ اى النشيد السابع(٨٥) ـ اسم "اوراق متناثرة" لان هذه التسمية وحدها لا يقع عليها الا المحب المخفق •••

(١) على بساط الريح : ٧٨ •

(٢) الملحق : ٣ •

ولا يلبث هذا النغم ان يتحول الى زمجرة هادرة تعصف في صدره وتتجلى فيها الذاتية المطلقة :

انا الليل مسوّد الجوانح مرعب — وانت على بعد المزارة نبراسي
انا الحزن مرسوم انا السقم ظاهر — انا الحب مصدود انا الالم الراسي
انا العابد العاني ،انا هيكل الهوى — الم تسمعي من اضلعي صوت اجراسي
صلاتي اشعاري وانجيلي الهوى — ودمعي قرباني وذكراك قداسي (١)

ان لفظة "انا " تتجلى فيها كل الغنائية الرومنطيقية وتؤكد على الذاتية المتوجعة التي هي الليل المسود والحزن المرسوم والسقم والحب المصدود والالم الراسي . وهذه الصور يضفي عليها المتعبد في هيكل الهوى خشوعه فيستحيل شعره الى صلاة متوجعة ، يتلو فيها اناجيل الهوى ويقدم على مذابحها قربان ذكراها . وفي ذلك خروج من واقع وجوده الى حالة شعورية غنائية يتحد بها حتى التلاشي . ولكن عنصر الالم هو العنصر الطاغي عليه حتى وهو في معبد حبّه لانه بلغ من التعاسة اقصى الجوى ، ولولا بقية امل ، ولعلها الشعور بوجوده ، بل لعلها التلذذ بالالم لخنق روحه المعذّبة .

وحين يجيب على السؤال الصامت الطائف في عيني ربة شعره : " من انت " ، يقول :

ان تسألي عني فها — عني الصحيح من الخبر
روح معذبة يقلبها — الغرام على صقر
. . . .
فتطير في جو الخيال — وتهيم فيه بلا ضجر (٢)

---

(١) لا شك في ان فوزى متأثر في هذه القصيدة بخليل مطران في قصيدته الاسد الباكي ، فهذه الصرخات شبيهة بصرخات مطران حين يقول :

انا الالم الساجي لبعدى مزافرى — انا الامل الداجي ولم يخب نبراسي
انا الاسد الباكي ،انا جبل الاسى — انا الرمس يمشي دا ميا فوق ارماسي

غير ان عنصر الالم في قصيدة فوزى اكثر وضوحا منه عند مطران في حين ان الم مطران اكثر كبرياء واشد تماسكا وتحفظا ورواقية . (انظر ديوان خليل : ١٧ مج ٢ ، طبعة ١٩٤٨) .

(٢) الملحق : ١٧ .

يبدو ان العذاب كان حافزا على الانطلاق الى عالم الخيال يستشرف منه على افاق جديدة ويهيم فيه بلا ضجر . وكأنما الشاعر كان يميل الى هذا اللون من العذاب لانه يبدع له افقا ارحب تحلق فيه روحه ، هو عالم الرومنطيقي المثالي .

وهكذا نرى ان الم الحب كان ينبض باللذة وترفرف فيه اجنحة تحمله الى البعيد الابعد وتوقظ في وجدانه اطياف الاحلام . وسنرى في بحثنا في شعره التأملي عنصر الالم يمتزج في فلسفته في الحياة ويتخذ معنى جوهريا في نتاجه .

ثالثا — الطبيعة في شعر فوزى المعلوف

اهتم فوزى المعلوف في بواكير انتاجه بمظاهر الطبيعة . ولعل ابرز قصيدة استوحى فيها الطبيعة هي قصيدته " الطبيعة " وفيها يصور لنا اثر الطبيعة في حياة الانسان:

طبيعة كأنها دمية	صنع يدى مصور ماهر
لولا هواها ما عرفنا الهوى	ولا ابتسمنا للغد الحائر
ولا نظمنا الشعر لولا ندى	منتظم في سلكها الناضر
ولا اجدنا النثر لولا هوا	ينثره بحكمة الناثر
ولا عرفنا الحب يجرى دما	في جسمنا بالجوهر الطاهر
لولا اعتناق البان في ايكها	وقبلة الطائر للطائر (١)

وهذا حديث عن الطبيعة يفيض بالسذاجة ويرتبط عنده بفكرة الحب في بداءة تكوينها اذ انه ، وهو ما يزأل غرا في صناعة الشعر ، يلجأ الى الطبيعة من حيث هي جمال ، واغاريد طيور ، ومثار حب . ونلاحظ انه لم يخرج في وصفه للطبيعة عن حد الاعتقاد بأن الطبيعة هي مصدر الهام الشاعر ووحيه ، ويكتفي بذلك .

غير اننا نحس فيما بعد ان فوزى المعلوف قد تحرر من اسر الطبيعة الساذج ومفهومه البدائي لها ، واخذ يخوض في معترك الاحداث وجدانية كانت ام سياسية ام اجتماعية . ويرجع ذلك الى ان الاحداث التي ألمّت بالبلاد واعلان الحرب ، والظلم والجوع والجراد ، وغيرها من الخطوب الناجمة عن الحرب تركت اثرا بليغا في حياته . اذ ان البؤس الذى كان يعم الوطن كان يسخر من جمال الطبيعة ، بل كان يبعث على السخرية في نفس الشاعر . وحين ينادى روح " هيكو " لتحمل نسمة الى الاحياء ، يصف هؤلاء الاحياء بأنهم (٢)

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٧٩ . وجاء عنوانها في الذكرى : ٢٣ " كتاب الطبيعة " .

(٢) انظر الملحق : ٢ .

هم موتى النفوس، موتى الامانـــي رغم ما في جسومهم من رواء

. . . .

نبذتهم اهل الدنى فعساهـــا لبلاءهم ترق اهل السـماء

فالاحداث بحد ذاتها واحكام الظروف ، والكشف الجديد للحياة ، جعلت فوزى ينظر الى الوجود نظرة اشد عمقا واكثر غورا . وراحت هذه النظرة تنمو وتتطور حتى تم نضجها في قصيدتيه : "على بساط الريح " و " شعلة العذاب " .

ولعل احساس فوزى بلامبالاته بالطبيعة تولد عن شعوره بأن الطبيعة لا تعبأ به ولا تأبه لاحزانه ، ففي قصيدة " لـــو " وهي ايضا من بواكير انتاجه ، يقول :

لو يعلم الزهر الحبيب الهـــوا ما في فؤادى من جراح الهوى

لذوّب البلسم من عطـــــره فيــــه ليشـــــفيني

. . .

ولو رأى البلبل بين الغصـــون نار ضلوعي في مياه الجفـــون

لحوّل المحزن من شـــعره شــــدوا يسلّينـــــي

. . .

ولو درى البدر عشيق النجـــوم بما الاقي من فنون الهمـــوم

لاهمل الشهب ومن قصـــره اهـــوى يؤاســـيني

. . .

ولو درى الفجر بأني ارق من نسمة الفجر لطول الارق

لبلّ الاضلع من قطـــره وراح يبكينـــــــــي (١)

ولكن الطبيعة لا تأبه له ولا تريد . ولو كانت تعنى بشأنه لسارعت اليه تحنو عليه ، وتسكب على نفسه بلسم العزاء . ففي قصيدته " الطبيعـــة " كانت الطبيعة مصـــدر كل الهام . اما في " لـــو " فأن الطبيعة فقدت سر سحرها عليه لانه اكتشف انها لا تبالي به وبالتالي لم يعد هو يبالي بها .

غير ان هذا لا يعني ان الطبيعة امّحت من شعر فوزى انما اتخذت في وجدانه مفهوما آخر واصبحت مصدرا من مصادر الذكرى والحنين . فهو فيما بعد ، كما سنرى، يستسلم

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٩٣ .

لدغدغة الذكريات ، وتأخذ صور الماضي تثير في اعماقه رؤى مفعمة بالحنين . فالقمر لم يعد غاية بذاته وانما غدا عنصر اثارة يرتبط في ذهنه بتذكارات قديمة ، بل ان هذه التذكارات تستحيل في وجدانه الى شعر غنائي LYRIQUE كما في " قبل القمر "(١) . فاسمع هذا النغم الشعرى الذائب في غمرة لحن فرح :

فهنا ترين على الاكـــم　　　　فجرا كأحلام الشـــباب

غض الاهـــاب

ملئت نواظره ضـــرم

اما النســـم

فيه ، فباردة عـــذاب

وعلى انامله خضـــاب　　　　من مسح دمع ذوى العذاب

فالطبيعة لم تعد غاية ، انها مثار انغام وحياة . ومع هذا كله ، فأننا كلما تأملنا في شعره المتأخر يتضح لنا ان فوزى ينعتق يوما بعد يوم من سحر اشراك الطبيعة الا بمقدار ما تتفاعل مع مفهومه للحياة . واخذت الحياة ذاتها تطغى على تفكيره بكل ما فيها من مآس وافراح ، واحزان ومباهج .

ولعل امتزاج الحنين في اغاريد الطبيعة هو من ابرز المظاهر الوجدانية في الشعر المهجرى عامة وهو وتر ضرب عليه معظم الشعراء من المهجرين الشمالي والجنوبي (٢) .

ونجد في قصيدة " حنيـــن "(٣) خير مثال يسعفنا على سبر غور هذا المظهر من مظاهر الحنين المتجسد في وصف الطبيعة عند فوزى :

هذى سفوح التـــلال　　　　هذى اعاليهـــا

هذى عيون الجبـــال　　　　تجرى مآقيهـــا

هذى ربوع الظبـــا　　　　هذى مآويهـــا

هذى ديار الصـــبا　　　　يا ليتني فيهـــا

. . .

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٩٦ .

(٢) للتوسع انظر " الطبيعة في الشعر المهجرى" لانس داود . والشعر العربي في المهجر لمحمد عبد الغني حسن : ٥٥ ـ ٦٠ .

(٣) قصيدة حنين في الملحق : ٨ .

اهل الحمى والحمى ... في ذمة اللـــه
والصب يشكو الظمـا ... والمرتجى لاه
كم ذا المحب اشتكى ... للكوكب الزاهـي
يتلو البكا بالبكا ... والآه بالآه

وفي احدى قصائد اغاني الاندلس يتغنى فوزي بسماء لبنان وهو في طريقه الى المهجر ، وكأنما الدنيا كلها اصبحت سماء لبنان فيناجي ربة شعره ان تقف معه ليتمليا الجمال من ربى لبنان وسمائه وشاطئه لان التنائي حان :

انظريها والليل مد عليها ... من نسيج الحلى وشاحا ثمينا
فتخالي الاديم فيها غديرا ... وتخالي النجوم فيها عيونا
واخشعي للظلام فهو الـه ... كم عبدنا في بردتيه السكونا
واسمعيه يدعو الشفاه الى الصمت ويدعو الى الهدوء الجفونا (١)

فالطبيعة في شعر فوزي استحالت الى مثار للذكرى ، الى مبعث للاشواق والحنين ، والاماني . ولم تعد غاية بذاتها ، وهو كما رأينا لا يختلف عن سائر شعر المهجر الا على تفاوت في العمق من حيث رقة الشعور وانفعاله . فمن قصائده التي اختصر فيها كل معاني اشواقه قصيدة " حنين المهاجر " (٢) :

واطول اشواقي الى الــوادى ... وادى الهوى والحسن والشعر
ملهى صباى ومهد ميــلادى ... وعسى يكون بحضنه قبــرى

فهو كما ترى قول ينبض بكل انفعال ذاتي ، يتطلع بالشوق وكأنه يندب الماضي ، ويتشوق اليه . وهو يحن الى وادى زحلة ، الى الكرم الذى يكسوه سنى الشفق بالوانه ويشع بالعنب متألقا كالذهب :

فترى به في صفرة الورق ... عسلا بلؤلؤة على ذهـب

اما الليل ففيه تمشي مواكب الاحلام والشعر :

والى الربى والليل كللهـا ... بسكونه المملوء بالسحر
ومشى الهوى فيها فظللهـا ... بمواكب الاحلام والشعـر

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٨٧ .
(٢) المصدر السابق : ٩٣ .

ان هذه الخيالات تثير في اعماقه الحنين الى الماضي فيند به مرة ثانية بنداء " وا " (١) :

واها على الماضي وايّامــه	ما كان اسعدها واقصرها
فرّت فرار لذيذ احلامـــه	لم تبق لي الا تذكرهـــا
ايام انس ما احيلاهـــا	واحب صورتها الى فكـــرى
قلبي يذوب جوى لذكراهـا	في اضلعي ، ومدامعي تجرى

ارأيت الى هذه الرومنطيقية الرقيقة المفعمة بالاحساس العميق وهذا الامتزاج بالطبيعة والانفعال معها ، وكيف ان الطبيعة تحولت الى وشائج انسانية تربط فوزى الـــى بلده .

وفي موشح اندلسي رقيق يستغل فوزى الطبيعة استغلالا فنيا يفيض بالغنائيــة والقوالب البديعية والبيانية التي ترتاح اليها النفس . يقول(٢):

ايا هزار الغدير — حييت بين الطيــور — من نائح مستثير

بالنوح عطف الزهــور

حيا الاله صباحـــك

اخذت عني نواحك — خذه وهات جناحــك

اطر به في الاثيـــر

لا غلّ قيد ســــراحك

وهو يريد ان يحلق الى اقصى رحب الفضاء ، الى السديم ، بل الى ما فوق متن النسيم ، حيث يتحرر من الاثقال فيبدع ويصوغ الجمال :

اطر به في السديم — ما فوق متن النسيم — بين السما والغيوم

اصوغ نثر النجـــوم

اصوغ دمع الغمامــه

عقدا اجيد نظامـــه — لجيد خير حمامـــه

تحوز دون الريـــم

من البيان زمامـــه

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٠ .

ان فوزي ، كشاعر رومانسي ، لا يرى في الطبيعة الا تعبيرا عن هذا الانفعال ، بل ان الطبيعة تغدو رفيقا وعزاء يخفف من تباريح آلامه . وفي شعره المجرد للطبيعة كقصيدة " نحن في نيسان "(١) نتلمس ملامح الوجدانية ، ويسخرها للتعبير عن الذات بقالب شعري جميل ، لان شهر نيسان هو شهر الهوى ، يستثير عواطف الشاعر وغرامه . فقيمته تتعاظم بمقدار ما يولد في الشاعر انفعالا ، ولعل مطلع القصيدة يوحي بهذا المضمون :

نحن في شهر الهوى ، شهر الامل نحن في شهر نيسان

. . .

كل ما في الارض ، ما في الجلد يستثير الوجد . يستدعي الهوا

حرقة النجم . انين الزبد نفحة الزهر وانفاس الهوا

ولكن هذا المناخ الشعوري المتفتح يتألق في نفس الشاعر فيرى في الوجود ، وفي حركة الاغصان تنامي الحياة لم فيها من اشواق وحب :

وانظري الغصن على الغصن التوى هكذا خصرك تلويه يدى

والهوا في مبسم الزهر هوى راشفا مثلي لمى الثغر الندى

والجدول النائح يحمل الى العشب انة القلب الواله المتفطر ، وهو قلب الشاعر الشاكي من العناء والصبوة :

واسمعي الجدول للعشب نقل انة الولهان

. . .

شاكيا مثلي تباريح العنا حاويا مثلك كل الرونق

ولنظري الليل تردى الشجنا ماسحا مدمعه بالورق

فالطبيعة استحالت لديه الى " حالات " عاطفية شعورية فاستكان اليها ورأى فيها ذاته ، واقبل عليها يخلو اليها ويناجيها ويبث الى قدسها آهة الجوارح وخفقة الجوانح . وهذا المفهوم للطبيعة لا بد ان يُهيأ له جو رومانسي حالم ، بلغة حانية هامسة لتكون اقرب الى النفس واكثر تجاوبا مع الروح والقلب . فصور الاحلام ، ونأمة النسيم ، ورقة الجدول ، وحفيف الاوراق ، وبسمة الزهور ، وسجو الليل ، وخفقات النجوم ، والطرف الساهي :

وانظري النجم على الروض اطل ناعس الاجفان

. . .

---

(١) ديوان فوزي المعلوف : ١٠٣ .

ساكبا فوق صدور الزنبـــق   قبلات الوجد • قبلاتي انـــا
ساهي الطرف اليف القلـــق   خافق الاضلاع حبا مثلنـــا (١)

وفي هذا المناخ الرومانسي انين وحنين ينسجمان مع سكون الليل :

كلانا هنا يا ظلـــوم   دجى فـــي دجـــى
على ان فيك نجـــوم   وما لي رجـــا
وليلك اما يـــدوم   ومهمـــا دجـــا

يلاقي اخيرا صباح
ندى الهوى والجناح
ومالي صباح يـــرام (٢)

ان هذا الحنين من خلال الطبيعة يمثل الهروب النفسي من معاناة الشاعـــر للشقاء ، وهي حاجة ملحة في النفس ، بغض النظر ان كان هذا الشقاء ناجما عن مقاساة من المصاعب والاتعاب او بفعل الوان من العذاب النفسي والاشواق الروحية • ويتميز هذا اللون الشعـــورى بالصدق في العاطفة ويتولد عنه ابداع في الاخيلة والصور التي هي مزيج من الصور الحسية والرؤى الوجدانية • فالطبيعة عند الرومنطيقيين كما هي عند فوزى ، تحيا وتتمجد وتصادق الانسان وتأسو جراحة وترعى احلامه • والرجوع فيها الى السهل والجبل والقرية ، والوادى ، والزهـــور هو ردة فعل بوجه الحضارة ، لان في الطبيعة كما فهمها الرومنطيقيون وفهمها فوزى ايضا عودة الى البساطة والنبل والى الاحساس العميق بوحدة الكائنات • ولعل قصيدة " هنـــاك تحظى بمي " تكشف لنا عن سمو الخيال فوق الجزئيات اذ يقدمها لنا الشاعر من خلال حلم شعرى امتزجت فيـــه الحقيقة بالخيال ، وتجسدت فيه الطبيعة الحية ، وانجلت مشاهدها على اختلافها مظاهر متعددة لجوهر واحد •

وفي قصيدة " طاقة الزهر " (٣) يتحدث اليها فوزى حديث الرفيق للرفيق يحمله اعطر التحيات لفتاة القلب ، ويحدثها حاسدا لانها ستنعم بلذة لقائها والتمتع بالنوم على صدرها ، ومن النهل من ثغرها :

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٠٤ •
(٢) المصدر السابق : ٩٩ •
(٣) المصدر السابق : ١١٤ •

سيرى الى معبودتي الزاهـــرة   يا طاقـــة الزهــــر
عاطرة تهدى الى عاطـــــره   عطرا الى عطــــر

. . .

سوف تنامين على صدرهـــا   يهنيك هذا الحظ لوكان لي
وتنهلين الشهد من ثغرهـــا   يا نعم ذاك الثغر من منهـل
وتحملين العطر من شعرهـــا   وغير عبء الهم لم احمـــل
يهنيك هذا الحظ لوكان لـــي   في حبهـــا المعضـــل

وفوزى اذ يقارن حالته بحالة طاقة الورد يبث جمود الزهرة حياة ويحولها الى كائـن نظيره ، يغار منه لانه سيحظى بلقاء محبوبته . ومع ذلك لا يعثر على غير تلك الوسيلة يلجأ اليها ليحملها اعطر تحياته . وهنا تلوح لنا علائق انسانية تربط الانسان بالطبيعة . ويؤكد فوزى على هذا الموقف حين يقول :

يا باقتي كوني لها من يـــدى   رسالة صامتة ناطقـــــة
يروى الندى في جيدك الاغيـد   عن ادمعي السابقة اللاحقة
وترمز الوردة عن موقــــــد   في اضلعي نيرانه عالقـــه
رسالة صامتة ناطقـــــــة   عن صبوتي الصادقـــــة
تقرأ في اوراقها الناضـــــرة   عن املي النضـــــــر
تنبئها الزنبقة الطاهـــــرة   عن حبي العـــــذرى (١)

هل هي باقة زهر ما تزال ؟ ام ان الباقة استحالت الى ذات الشاعر تنطق بمشاعـره وتعبر عن اشواقه ؟ وهو في لجوئه الى الزهرة انما يلجأ الى الطبيعة كمنقذ للترويح عن النفس، ومجتلى للاحزان .

غير ان الطبيعة عند فوزى لم تكن مشكلة فلسفية قط ، ولم تكن مدار تساؤل وحيـــرة ، بل رضي بها كما هي ، وبكل بساطة استعان بها على تفريج همومه . يلوذ باحضانها ويسعى الى احيائها في وجدانه . وكانما رأى في تشريح الطبيعة انتهاكا لحرمتها وتدنيسا لقداســتها ، واستباحة لمعبدها .

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٦٥ .

رابعا — فوزي في شعره الوطني :

يقول شفيق المعلوف في " ذكـــــرى " ان فوزي " تقلب في اطوار ثلاثة منذ ايام الترك حتى الاحتلال فالهجرة "(١) . ومن خلال سيرة الشاعر يلوح لنا ان الطور الاول وهو طور الحكم العثماني واستبداده لم يتجسد احداثا في شعره نظرا لانه كان لا يزال غرا ولم يفق على الواقع الاليم الا على نار الحرب العالمية الاولى . ويمكن القول بشيء من الاحتراز ان فوزي قـــد شهد اولى الفواجع ذات الاهمية في حياته في اثار الحرب . فبسبب الحرب اغلقت المدارس وحمل على العودة الى زحلة بعد انقضاء سنة واحدة من دراسته في مدرسة الفرير الكبرى ، وحلـــت المصائب في بلده فمنيت بالجوع والفقر والجراد والمرض . وانعكس اثر هذه الويلات في القصيدة الوحيدة التي بلغتنا " من اشعار الحرب الكبرى " . ولا ريب ان هذه القصيدة لم تكن يتيمة دهرها في شعره الوطني لتلك الحقبة ، الا اننا نعلم ، كما اوردنا سابقا ، ان فوزي احرق بعض قصائده .

ومن ناحية اخرى فأنه يبدو من سيرة حياة الاسرة المعلوفية انها كانت على صلة طيبـــة بالباب العالي في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين ، فلم تعان من ظلم الاتراك وجورهـم كما عانى سواها وبالتالي ، كان من الطبيعي ان يكون موقف هذه الاسرة موقفا محايدا ، بـل ان عيسى اسكندر المعلوف يذكر لنا قصيدة من نظمه في مدح السلطان والدعاء له لانه انعم علـــى والد زوجته برتبة مير لواء(٢) . ويذكر ايضا ان ابراهيم نعمان باشا " رفع من فوره عريضة برقيـة الى الاعتاب العلية السلطانية يظهر فيها عبوديته للعرش الحميدي الانور شاكرا بلسانه ولسـان اسرته هذه النعمة السنية "(٣) .

من هذا ، نرجح ان فوزي المعلوف لم يكن حتى بداية الحرب ناقما على الدولة العلية اذ لا نستشف حتى في قصائده المتأخرة ما ينم عن هذه النقمة والروح الساخط الثائر في العصـر . ولكن المجازر التي انتشرت في البلاد ، والاحكام العرفية ، وما وقع على الرعية من ظلم ولد ثورة صامتة في قلب الشاعر فنقرأ له من آثار عهده الاول :

تجافيت في شعر السياسة مـدة	لعلمي بما يرمى به قائل الصـدق
وعندي شؤون لو اردت بيانهـــا	لكان نصيبي ان اساق الى الشنق (٤)

---

(١) ذكرى فوزي المعلوف : ٣٨ .

(٢) المعلوف ، عيسى اسكندر — دواني القطوف : ٢٩٤ .

(٣) المصدر السابق : ٢٩٤ .

(٤) ذكرى فوزي المعلوف : ٢٨ — ٢٩ .

ولسنا نعلم شيئا عن اصل هذه القصيدة واذا قيلت بعيد الحرب عن عهود الحكم التركي او انها نظمت في ابانه . وما يهمنا ان هذه القصيدة ، حسب ما ذكر شفيق المعلوف ، هي من آثار العهد الاول ، وهي تعبر عن تلك النقمة التي اعتلجت في صدره على الوضع السائد حينذاك .

اما الطور الثاني الذى رافقه فوزى ، فهو العهد الفيصلي في سوريا والذى لم يكتب له الحياة اكثر من بضعة اشهر انتهت بمعركة ميسلون (١٩٢٠) . وليس بين ايدينا اى نص من شعر فوزى عن هذه الحقبة من التاريخ ، ولا ندرى لذلك سببا او تعليلا معقولا سوى ان يكون بعض ما نظم قد فقد ولم يعثر عليه بعد .

في هذه الفترة فتح فوزى عينيه على الحركة العربية الاستقلالية في الشام ، وراودته الاحلام كما راودت سواه . بيد ان تلك الامال العذاب لم تلبث ان خمدت في الصدور امام هجمات الاستعمار الاجنبي . وفي هذا الطور الثالث ، طور الانتداب ، اطلق فوزى زفرات غاضبة ، وتأوهات نائحة . الا ان هذه الزفرات لم يصعد معظمها في ارض الوطن ، ولم يبد منها الا النزر اليسير ولكننا نحس انها كانت تتململ في صدره ، اذ ما كادت قدماه تطآن متن الباخرة حتى ارسل زفرة حرى في قصيدته " المأسدة الخالية " ، وهي زفرة نفس حرة لم تعد تطيق صبرا على الضيم .

يذكر البدوى الملثم لفوزى مقطعا من " خطبة مستفيضة ارتجلها في حفل ضم رعيلا لجبا من شباب العرب بدمشق ، وقد استهلها بقوله : اننا امة تجمعنا ثلاث حلقات : حلقة من نار وهي امجاد جدودنا العرب ، وحلقة من حديد وهي قيودنا التي نعانيها ، وحلقة من ورد وهي آمالنا في المستقبل الذي نريده عهدا جديدا للعرب " (١) .

الا ان مفاهيم فوزى المعلوف الوطنية مرت في مرحلتين :

المرحلة الاولى وهي المرحلة التي عطف فيها على الحركة العربية الاستقلالية وكان واحدا من الذين حاولوا ان يساهموا فيها شعرا ونثرا .

والمرحلة الثانية هي مرحلة الانفصال عن الاحداث والانطواء على الذات فيما بعد عام ١٩٢٥ (٢) . وفي هذه الفترة تبدلت مفاهيم الشاعر وراح يسعى نحو شعر يكتب له الخلود (٣) . وتجسد المفهوم الوطني في حنين الى ارض الوطن وهو حنين المغترب ، وتحول نحو التأمل الذاتي في الكون والوجود والمصير الانساني .

---

(١) البدوى الملثم ـ شاعر في طيارة : ٣٢ .
(٢) مجلة الرسالة المخلصية ، زيتون ، نظير ـ اضواء على فوزى المعلوف ـ س٣ ، ع١١ : ٨٢ .
(٣) المصدر السابق : ٧٩ .

شعر فوزى الوطني في المرحلة الاولى :

لم يكن فوزى في مواقفه الوطنية متهورا ، وانما كان يحاول ان يكتنه سر الداء الذى ينخر جسم الامة ، ويحكم ببصيرة وترو على الاوضاع العامة . ولقد احب فوزى وطنه حبا جما ولكن هذا الحب لم يتركه غافلا عن مسؤولية امته في المصير الذى آلت اليه ، ذلك ان الملامة لا تقع على كاهل المستعمر الاجنبي وحده وانما يشاركه في ذلك ابناء الوطن :

اری امتي تمشي بكل غباوة ... الى حيث لا تلقى سوى البؤس والسحق

لقد قيل ان الشرق اتعس امة ... ونحن لسوء الحظ اشقى بني الشرق (١)

بل ان مصدر هذا الشقاء هو ابناء امته الذين استكانوا للغريب ، وقنعوا بحكم الاجنبي . فمن موشحة له بهذا المعنى :

فكرت في امرنا المعيب ... وقست امسي بحال يومي

فقلت ما الذنب للغريب ... وانما الذنب ذنب قومي (٢)

وهو اذ يقر بالواقع الراهن لا يرجو من ذلك غير يقظة ابناء امته ، وتوعيتهم على ما تردى فيه الوطن ويستفزهم عسى ان ينهضوا باصلاح حاله فيواكبوا قافلة الحضارة والتقدم . وبهذه النغمة تتميز قصيدة له اخرى من قصائده الوطنية " المأسدة الخالية " حيث يقول :

تالله اني قد وقفت عليهم ... روحي وافكارى وكل جهادى

واذا انتقدتهم فما لي غاية ... الا قيادتهم لنهج سداد

خبطوا بظلمات الضلال ولم يقم ... فيهم الى السبل القويمة هادى

واستعذبوا ذل القيود فأصبحوا ... يتفاخرون بنير الاستعباد (٣)

فموقف فوزى هو موقف الناقد الساعي الى هدي قومه الى الحرية والكرامة بعد ان استعذبوا ذل القيود حتى غدا به لبنان مأسدة بلا اساد (٤) . وتتفاقم نقمته لانه يرى ان ابناء وطنه هم الذين ضيعوا ارث الجدود :

هم ضيعوا ارث الجدود ... فنالهم غضب الجدود ولعنة الاحفاد (٥)

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٢٩ .
(٢) المصدر السابق : ٢٩ .
(٣) ديوان فوزى المعلوف : ٢٧ .
(٤) المصدر السابق : ٢٨ .
(٥) المصدر السابق : ٢٨ .

ولعل ذكرى سقوط غرناطة العربية على يد الاسبان ، وخروج السلطان ابي عبد الله منها ذليلا مقهورا كانت تلوح له وهو يضرب في عرض الامواج مبتعدا عن الشاطىء الرملي على اعتبار ان هذه القصيدة نظمت وهو على الباخرة في طريقه الى المهجر [١] . وانها لتوبيخة قاسية رهيبة يقذفها الشاعر الابي في وجه ضعاف النفوس الذين اضاعوا ارث الجدود واذعنوا للذل والعبودية ، ومالوا الى الخنوع والاستسلام فنالهم غضب الجدود ولعنة الاحفاد . وان مشاعر مختلفة تنتاب المهاجر وهو يفارق اهله ووطنه : من شوق وحنين ودموع فراق وذكريات ممتعة وحب واحلام . وهذه جميعها تفجرت في وجدان فوزى ، الا ان فكرة المصير العربي كانت تستحوذ على جل اهتمامه فيما يبدو ، لانه كان يدرك ان الداء كامن في ابناء الامة بالذات . وما عساها تكون العلة ؟ واين تراه يكون مكمن الداء ؟

في قصيدة اماني المهاجر (١٩٢٤) يطلق فوزى صرخة متوجعة اختصرت كل صنوف الادواء التي ابتلي بها العالم العربي . قال :

صرنا وصارت حمانا منزلا خربا	يدب في ساحه من دائنا العطب
والجهل والدين والاهمال علته	وليس علته غاز ومنتدب
فينا الدواء وفينا الداء واعجبي	ونحن يأخذنا من حالنا العجب [٢]

فأذا الجهل والتناحر والدين والاهمال هي العلل التي تمزق جسم الامة وتنخر به لترديه صريعا تحت اقدام الغازى والمنتدب . وهذه العلل مصدرها المجتمع ذاته ، فلا ندحة للمجتمع العربي اذا شاء ان يتحرر وينمو في روضة الحضارة من ان يثور على الجهل والطائفية والاهمال ويهدم هذا المنزل الخرب [٣] .

وثورة فوزى ونقمته على هذه الاوضاع كانت بدافع حبه للوطن . وهذا الحب يتجلى في الحنين العميق الذى كان يحسه تجاه وطنه وامته ، فهو يقول :

يا حنيني الى مغانيك لولا	صارم فيك سل للتهديد
والى الافق صافيا فيك لولا	ما به اليوم من غمائم سود
والى الماء طيب الورد لولا	ما جرى فيه من سموم الوعيد
والى الريح من صرودك لولا	نفثات الفساد بين الصرود

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٢٥ .
(٢) الملحق : ٢٣ .
(٣) الملحق : ٢٣ .

والى البحر في شواطيك لــولا | انه نم بالعـــداء الشـديد
والى الارز شامخ الرأس لــولا | انهم حطوه ذل السـجود
وضعوه طيّ المثلث ، تحـت | البيض ، بين الدما وبين الحديد[(١)]

فالحنين والاشواق تعتلج في قلبه تجاه وطنه وهو لا يستطيع ان يتخلى عنه ولو فكرا ، لان صورته ماثلة لعينيه حتى لو كان عنه مغتربا . ولكن هذا الشوق وهذا الحنين ممزوجان بنقمة الشاعر لوطنه السليب الذى تجنى عليه الانتداب الفرنسي وشوه محاسنه في البر والبحر والفضاء . والارزة رمز القوة والمجد والخلود قد اصبحت عبدا يسير في ركاب العلم الاجنبي .

ونتلمس هذا الحب العميق للوطن واهله في قصيدة المأسدة الخالية حيث يقول :

اواه من ذكرى القديم وحبـذا | عود القديم وان عدته عـوادى
اشتاقه شوق المحب الى الهوى | مهما ارى فيه من استبـداد
واحبه بالرغم عما نالنـي | منه وامحضه صحيح ودادى
ومهما يجر وطني عليّ واهلـه | فالاهل اهلي والبلاد بـلادى[(٢)]

وفوزى في اشارته للجور يقصد به الجور السياسي الذى رضي به ابناء الوطن ، وجاروا عليه بما ارتضوا به . اما ذكرى القديم الذى يتشوق اليه فهو عهد المتصرفية الذى يؤثره على عهد الانتداب بالرغم مما كان فيه من جور[(٣)] .

والتأسي على القديم والعهود السالفة يتردد في شعر فوزى اكثر من مرة ففي قصيدة اللبنانية يقول :

ايه لبنان كم بكيت وتبكـي | بين عهد مضى ، وعهد جديـد
كيف تبكي منه وها انت تبكيه | على رغم بؤسه المعهـود[(٤)]

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) اقتبس فوزى هذا البيت من قول الشاعر :

بلادى وان جارت عليّ عزيـزة | واهلي وان ضنوا عليّ كـرام

(٣) نسمع مثل هذا النغم عند ابي الفضل ابن الوليد حين يقول :

احب بلادى فوق كل محبـة | واشتاق منها شاطئا وبقاعـا
ارى شرف الانسان في حب ارضه | فأن امرته الواجبات اطـاعا

(الانفاس الملتهبة : ٥١ ، ط٢).

(٤) ديوان فوزى المعلوف : ٢٠ . البيت الثاني يذكرنا بما قاله حكيم المعرة :

رب يوم بكيت منه فلمـا | صرت في غيره بكيت عليـه

ان فوزى لفرط حبه لوطنه يتألم لمصيره ، ويعذبه ان يراه على هذه الحال من البؤس، وهو يريد له الخير العميم . فالتفجع هو تفجع المحب حين يرى من يحبه منكوبا ومصابا تنزف منه الجراح . وقصيدته " المأسدة الخالية " تذكرنا " بمراثي ارميا لاوروشليم فيها قلب يشهق ويتوجع وعين تئن وتدمع وحنجرة تغص وتسجع وكبرياء تنتفض وتتصدع وامل يائس ينهار ويتفجع "(١) . يقول :

اطلق لمدمعك العنان وخلـه ... يهمي الى ان ينتهي بنفـاد

ودع الضلوع تذيبها نيرانهـا ... حتى تجللها بثوب رمـاد

واترك جواك وشأنه يقضي علـى ... ما فيك باق من حطام فؤاد (٢)

وهذا الرثاء والبكاء لفراق ارض الوطن من ناحية ولمصيره من ناحية اخرى يثير اشجانه ، فهو يرثي لبؤسهم ويندب حالهم :

ارثي لبؤسهم فاندب حالهـم ... بفمي ، وارثي حظهم بمدادى

هذا لساني لا يجيء يذكرهـم ... حتى يلعثمه انين فـؤادى

ويراعتي ما ان تمر بأبيـض ... الا وتلبسه ثياب حـداد (٣)

رثاء المحب الصادق المتفجع ، وهو رثاء يحمله الامواج الساحبة اذيالها الى الشاطيء الرملي وقد امتزجت فيها دموعه واساه . وهذه الانات هي زفرات حزينة في شعره الوطني، فنراه يستهل قصيدته اللبنانية برثاء نادب (٤) :

عاد عهد الشقا اليه فعـودى ... واندبيه يا طير فوق العـود

حولت شدوك الليالي نواحـا ... فارجعي فارجعي عن التغريـد

كان روض المنى فبات واهلـوه ... لحود تسير بين لحـود

يرهق الدهر كل حر عليـه ... فهو فيه المسيح بين اليهـود

الوطن الحر حين يستعبد يشبه المسيح المعذب بين اليهود ، وانها صورة تعمق فكرة العذاب الذى يعانيه الوطن التائق الى الحرية والعزة والكرامة . ولعل مشهد الخراب

---

(١) مجلة الرسالة المخلصية ـ نظير زيتون ـ اضواء على فوزى المعلوف ـ س٣ ، ع١١ ، ٨٠ .
(٢) ديوان فوزى المعلوف : ٢٥ .
(٣) المصدر السابق : ٢٧ .
(٤) المصدر السابق : ٢٠ .

والموت والبين في الابيات الثلاثة الاولى يوغل بنا الى مجاهل الفناء المتخلف عن معركة ضارية نشبت في بقعة آهلة بالسكان ٠ فالناس باتوا لحودا تسير بين لحود ، موتاً ممتزجاً بموت ٠ يا للنبي يقف على اطلال اوروشليم يرثيها ويتحرق شوقا الى امجادها الداثرة وتذكارات الامس.

غير ان الشاعر لا يطول به القنوط واليأس، فهو اذ يرثي وينتقد ويتألم انما ليوقظ مشاعر الناس، وينبه فيهم الشعور بالكرامة ، ويذكي في نفوسهم جمرة التمرد على واقع الحال ٠ ونلمح تباشير هذا التبدل منذ ان نقرأ الابيات الاولى من قصيدة " اماني مهاجر " ، وهي احدى قصائده المهجرية التي نظمها قبل عام ١٩٢٥ ٠ وفي هذه القصيدة يقف فوزى وقفة تحد ، وعدم الرضى بكل ما في الدنيا من حسب ونسب اذا لم يكن في بلاده المجد والنسب :

لا المجد في الارض يرضيني ولا النشب ان لم يكن في بلادى المجد والنسب

ولا السعادة بين الناس تقنعني ان كان من حظ قومي الضيم والنصب[1]

ولكن كيف يمكن ان يتمتعوا بالسعادة ويرفلوا بنعيم العز ؟ ولاول مرة نجد فوزى المعلوف يخطط الطريق الى حياة الحرية والكرامة ٠ وهذا التخطيط لا يلجأ به الى الماضي او الحسب او النسب او التاريخ :

ما لي وللفخر بالماضي وقد درست اثاره ومحت اياته الحقب

فليس يكسبني بين الورى نسبي فخرا اذا لم يزنه مني الحسب

ما الفضل اني لا فضل ولا ادب وان زينة اهلي الفضل والادب[2]

فالماضي ، والاصل الرفيع ، والنسب التليد ، لا يمكنها ان تكون مدعاة للفخر والزهو ان كان صاحبها راسفا في قيود الذل والهوان ، يمزقه داء دفين اشد هولا من حكم الاجنبي ٠ والمرء اذا اراد ان يفخر فما له الا ان تسمو به الرتب والفعال :

والفخر ما سمت بي للعلى رتب لا ان سمت بجدودى للعلى رتب

كم بين قولك : كنا سادة نجبا وبين قولك : نحن السادة النجب؟[3]

وهذه صرخة الانسان الذى يدرك المصير المنتظر ، وهو مصير رهيب ان ظل متعلقا باحلام الماضي ، يلوذ بها هربا من واقعه المرير ٠ والشاعر هنا يريد لابناء الوطن ان يواجهوا

---

(١) الملحق : ٢٢ ٠
(٢) الملحق : ٢٢ ٠
(٣) الملحق : ٢٢ ٠

هذا الواقع ليعملوا على اصلاحه . ويثور على كلمة "كنـــا" لانها اصبحت افيونا يخدر الاعصاب ، يفر اليه الفرد العربي ليوارى خزيه وعاره ، ويتعلق باذيال الجدود ومفاخرهم . ويحز في نفس الشاعر هذا الاستسلام للماضي والاعتصام باوهامه :

كنا ، وكنا ، فهل بعد الجدود لنا   الا مفاخر حالت حالما ذهبـوا
الناس نحو الترقي مشيها خبــب   ونحن نحو التلاشي مشينا خبب (١)

وهذه مقارنة مولمة ، فالشاعر وقد رأى تقدم الغرب ونمو حضارته ، وقارن بينه وبين العالم العربي ، رأى الهوة سحيقة ، وادرك ان عجلة التطور لن تتوقف ليلحق بها ركب المجتمع العربي بل ستظل تدور عبر التاريخ . وعلى العالم العربي ان يسرع بخطوه كي لا يفوته قطار الحضارة . ومع ان هذه حقيقة ظاهرة الا ان العالم العربي ما زال في غفلة ومشيه خبــب . وفي جدل منطقي يواجه المتبجحين بامجاد الجدود بسؤال عاصف لا جواب له :

ابقت لنا كتب مجد الجدود فمــا   تبقى لاحفادنا من بعدنا كتب؟ (٢)

سؤال وجيه ، فبماذا سيفخر احفادنا ؟ وما هي المآثر التي نخلفها لهم ؟ خزى ، وعار . ولكن الشاعر لا يتوقف عند هذه الناحية السلبية ، فبعد ان يحتدم غيظا للواقع الاليـم ، وبعد ان يصب جام غضبه على قومه لفرط محبته ونقمته على تخاذلهم يدعوهم للعزة والرقي . والخطة التي يرسمها لتحقيق الطموح العربي تعتمد على ركائز اربع ، هي : العزم، والعمـل ، ونبذ التنافس الديني ، والعلم :

هبوا الى المجد ولننشيء لنا وطنــا   قوامه العلم لا الخطية القضــب
وليرفع العزم والاعمال سدتــــه   فوق السماكين لا الاقوال والخطب
ديني لنفسي ولكن قبله وطنـــــي   ودينه الوفق والاخلاص لا الشغب
تالله لا نرتقي الا متى اتحــدت   تلك المآذن في الاوطان والقبــب (٣)

وهذه الركائز تطالب ابناء الوطن ان ينبذوا كل تنافس طائفي وسياسي ويتوســلوا بالاعمال في سبيل بعث المجد الدارس على اسس علمية بناءة . ولقد تبوأ العلم مكانته اللائقة في قصيدته ، لان العلم لا دين له ، بل هو فوق الدين وفوق الطائفية ، هو للانسانية جمعاء .

---

(١) الملحق : ٢٢ .
(٢) الملحق : ٢٣ .
(٣) الملحق : ٢٣ .

والعلم في رأيه يقضي على التنابذ والتنافس والخلافات :

ولنكرم العلم ايا كان مصدره — فأنه للتآخي والعلى سبب

لا دين للعلم في الدنيا ولا وطن — فالعلم كالنور لم تحصر به ترب (١)

والدعوة الى الاتحاد والالتفاف حول راية واحدة هي راية الوطن كانت دعوة شبه عامة عند شعراء المهجر الجنوبي (٢) اذ ادرك المهاجرون ان الخلافات شر وبيل يجب القضاء عليها لبناء مجتمع افضل وحياة امثل .

ويصر فوزى في هذه القصيدة "على قومية ينتسب اليها ، فلا يجهد نفسه كثيرا بالبحث عنها اذ يلقاها فورا في كل ما يحسه وكل ما يغمر كيانه .... يلقاها في قلبه وروحه ولسانه "(٣) فيقول :

فلتحي قومية كانت لنا نسبا — يضم اشتاتنا ما فاتنا النسب

ومن يكون بلا قوم يدل بهم — فلا يشرفه دين ولا لقب

....

ولتستعد لغة الضاد التي بعثت — ام اللغات شبابا برده قشب

ان لم نكن كلنا في اصلنا عربا — فنحن تحت لواها كلنا عرب (٤)

ونحن نرى مما تقدم ان فوزى كغيره من شعراء ذلك الدور يفصل بين الدين والوطن ، ويجعل من اللغة العربية ركنا من اركان العروبة والقومية نفسها تصبح نسبا للعرب اجمعين ، واعتقد ان الدين لله فلا يجدر بابناء الوطن الواحد ان يمزجوا بين الدين والقومية . ورأى ان يتحد المسيحيون والمسلمون في ظلال لغة الضاد والقومية ويتسلحوا بالعلم ليجددوا شباب لغتهم التي وحدت اصولهم وجمعتهم تحت لوائها .

ولكن ان كانت هذه المشاعر الوطنية تهز فوزى فيغلي صدره بالثورة والحماس ، فلماذا هاجر وطنه وارتحل عنه ؟ ولا نحتاج الى كثير عناء لكي نعثر على جواب ضمنه فوزى ابيات شعره :

قسما بأهلي لم افارق عن رضى — اهلي وهم ذخرى وكل عمادى

لكن انفت بأن اعيش بموطني — عبدا وكنت به من الاسياد (٥)

---

(١) الملحق : ٢٣ .

(٢) من ابرز شعراء المهجر الذين اطلقوا مثل هذه الصرخات الشاعر القروى في ديوانه الاعاصير بخاصة .

(٣) مجلة الرسالة المخلصية — اضواء على فوزى المعلوف — س٣ ، ع١١ : ٨٢ .

(٤) الملحق : ٢٣ . وفي البيتين الاخيرين لفتة صريحة الى الحديث النبوى القائل " ليست العربية لاحدكم بأب وام وانما هو اللسان . من تكلم العربية فهو عربي " .

(٥) ديوان فوزى المعلوف : ٢٨ .

وهذه روح ثائرة تأبى الضيم وتتوق الى الحرية حتى ولو كانت في ارض الاغتـــراب ٠ ولكن يخيل لي ان فوزى لم يجد ما كان يطمح اليه بعيدا عن وطنه اذ نحس بنبرة الالـــم ترتعش في صدره من خلال قصيدته اماني مهاجر ، وهي نبرة من غرّه الوهم فانساق وراء بريقه الخداع حتى اذا اكتشف الحقيقة كان الاوان قد فات :

لولا طموح الى العلياء غرّ بـني ... ما كنت عن ربعهم والله اغتـرب

انا الغريب فلا اهل ولا وطـــن ... اذا انتسبت امام الناس وانتسبوا

ولا لواء اذا دق النفير مشـــى ... يحميه من صيد قومي العسكر اللجب

ومن يكون غريبا في مواطنـــه ... لا بد وان انكرته الارض والشهب[١]

وفوزى كما ترى ينتقل من غربة الى غربة ، من غربة في ارض الوطن بعد ان استبد بـــه المستعمر الى غربة في المهجر بعيدا عن الاهل ومرتع الصبا ٠ وهو يكشف لنا عن سبب آخــر غير العامل السياسي وهو العامل الاقتصادى [٢] الذى حفزه على الهجرة ٠ يقول :

اطوى وقومي بلاد الله لا فشـل ... يفت من عزمنا فيها ولا تعـــب

كأننا شعب اسرائيل نضرب فـــي ... تيه ونشرب بالكأس التي شربوا

ضاقت بنا ارضنا وهي التي رحبت ... قدما وسال عليها الدرّ والذهب[٣]

---

(١) الملحق : ٢٢ ٠

(٢) من رسالة لفوزى المعلوف ـ مجلة المعارف ـ س٤ (١٩٢٠) ، ع٤ : ٢٥٨ ، جاء فيها مانصه : " ٠٠٠٠ هذه الاماكن المقفرة كانت من قبل آهلة بعدد كبير من الاحياء ، تسير في طرقاتها وتحيا في محيطها ٠ وهذه الاطلال الماثلة اليوم كانت امس قصورا فخمة شاهقة ، ومدنا عظيمة زاهرة تتماوج فيها الجلبة والضوضاء ، وقد خلفتها الان وحشة الموت وصمت المقابر ٠ فأصبحت قصور الملوك وكنا للضواري ومدانه للحشرات، والبراري الغاصـــة بالقرى والمزارع والحقول المحروثة والطرق المزدحمة والمنازل الاهلة اصبحت كلها بلقعا قفرا ينعق عليه البوم ٠ انها كانت تقوم بأود عشرين مليونا من السكان وهي اليوم تكاد لا تكفي اقل من مليونين ٠ فماذا اصابها ؟ واى انقلاب طرأ عليها ؟ لهفي عليك يا سورية ، يـــا بلادى المحبوبة ٠ وداعا والى اللقاء القريب اذا قدر لي ان اجني ثمرة عزمي وقوتي وشبابي فارجع لادفنها فيك مفضلا قراك الموحشة على المدن العظيمة ، ومناظرك الطبيعية على كـل ما في العالم من بدائع اصطنعتها يد الانسان " ٠

(٣) الملحق : ٢٢ ٠

فهذان العاملان السياسي والاقتصادى ، كانا من اهم الدوافع التي حفزت فئة من ابناء البلاد الى الهجرة وبالاخص شاعرنا • ومن هناك ، عبر المهجر ، اطلق هذه الصرخات الداوية في الفترة الاولى • والصورة التي يرسمها لنا عن المهاجرين وكأنهم بنو اسرائيل في التيه هي صورة حية للمصاعب التي لاقاها المهاجرون وشظف العيش الذى قاسوه • ومع ان فوزى — كما بينا — لم يشق او يتعذب الا انه رأى نفسه في كل المهاجرين ممن حملوا مصيرهم على اكفهم وانطلقوا يجوبون ارض الله الواسعة طلبا للرزق •

ان الشواهد الآنفة تعكس لنا الروح الوطنية الحرة الابيّة التي سرت في شعر فوزى المعلوف " وما ران عليها من نزعة قومية عربية متمردة على كل سيطرة اجنبية ، وعلى كل ما يقوض بناء الوطن الجديد • وكان عنيفا في حملته على التخاذل والاستخذاء للاجنبي ، ولا سيما حين استلّ اللعنة من افواه الاحفاد ليقذفها في وجوه الاذلاء الخانعين الذين رضوا لوطنهم ما يستنكره ذلك التاريخ المجيد المرصع بالبطولات • كما نلمس ما يفتك بجسم الوطن من امراض الطائفية والجهل والاهمال — وكما عالج بعض المشكلات الاجتماعية "[١]• وكان صريحا جريئا متحديا كأنما شعره انه يحمل رسالة القومية والحرية • فهل ادى فوزى المعلوف في مهجره هذه الرسالة العظيمة ؟[٢]

المرحلة الثانيـــة :

اننا نقع على الاجابة عن السؤال الخطير الذى وجهه نظير زيتون في المرحلة الثانية من عمر هجرة فوزى القصيرة • والحقيقة ان نظير زيتون يحاول ان يجيب على هذا السؤال بشيء من الصراحة ، ولكنه يؤكد على الناحية السلبية فحسب • يقول زيتون عن فوزى المعلوف ما نصه [٣] :

" •••• ولكنه لم يلبث ان انفصل عن هذه الجماهير التي احبت فيه شاعرها ونغم امانيها وانتفاضاتها ، وانطوى على نفسه في ما يشبه البرج العاجي منصرفا الى ميدان جديد يطلق فيه خياله ووجدانيته الذاتية ، وكأنه يبحث عن الشعر الذى يكتب له الخلود ••• ثم يستطرد قائلا :

---

(١) مجلة الرسالة المخلصية : ٨٢ •
(٢) المصدر السابق : ٨٢ •
(٣) المصدر السابق : ٨٢ •

" قد نلتمس له عذرا اذا رأيناه ساكتا ، واذا لم توّجج له هذه الثورة المحررة قافية ، (المقصود بها الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥) . ولا هزت له نغما .... ولكننا نحار اشد الحيرة في تفسير هذه الدعوة الانهزامية (يستشهد زيتون بقصيدة على شواطىء ريو ١٩٢٧) التي كان الناظم في طليعة خصومها ، وفي تعليل هذه النصائح المنتكسة المنتكصة التي تقود الى التقهقر والخمول والهوان . ترى لماذا تنكر فوزى المعلوف في هذه القصيدة الانهزامية ، لفوزى الثائر الحر الابي ؟ وما هي العوامل التي دفعته الى مناقشة الشعراء الوطنيين في بث الروح القومية والتعبير عن ارادة الامة التي تدفع الذل والخنوع بالدم والارواح ؟ "(١)

يبدو لي ان فوزى المعلوف قد تبدلت بعض مفاهيمه الفكرية والسياسية في هذه المرحلة . ولعل ذلك يرجع الى لون من القنوط تملكه من ناحية والى وعي اعمق من ناحية اخرى . ومن يقرأ قصيدته " على شواطىء ريو " يدرك في يسر ان فوزى المعلوف لم يكن متخاذلا بقدر ما اصبح واقعيا . فاسمعه يقول :

ودع السياسة حربها وسلامها ... واحفظ لنفسك في الحياة سلامها

شط المزار فما صياحك نافع ... شيئا وقد الوت بلادك هامها(٢)

لا ريب انه يلوح لنا للوهلة الاولى ان فوزى قد استولى عليه القنوط وفقد كل امل في خلق مجتمع كريم حر . ولكن المتأمل للبيت الثاني ولا سيما الشطر الاخير منه يتبين ان يأس فوزى نجم عن تخاذل بلاده لانها هي التي الوت هامها ، وهي التي اذعنت للاجنبي ، وذهبت كل صيحات القومية والدعوة الى الاصلاح ادراج الرياح :

هذى بلادك ما نفعت قيامها ... في ما نظمت ولا بعثت نيامها

هي لم تزل هي رغم كل شكية ... ابدا تسوس ذئابها اغنامها

ومتى رأيت كما ترى حكامها ... فاحكم بفوضى ضعضعت احكامها(٣)

ومع ان هذه شكوى يأس مريع الا ان فيها كل تأنيب وتقريع لابناء الوطن النائم على الضيم . اهم اموات لا يستفيقون على هذا الدوى ؟ وما جدوى الصراخ وصوت النذير ان اصمّ

---

(١) مجلة الرسالة المخلصية : ٨٣ .

(٢) ديوان فوزى المعلوف : ٤٠ .

(٣) المصدر السابق : ٤١ .

السامع اذنيه واغمض عينيه عن الواقع ؟ فوزى يتهم امته ، وفي هذه التهمة التي يصم بها وطنه يود لو يثير فيهم الشعور بالكرامة لعلهم يتمردون . ولا يقتصر الموقف على ابناء امته ، بل يلتفت الى الداعين الى الثورة على المستعمر من ابناء المهجر ويخاطبهم بشيء من القسوة :

اتكون فارسها وتحجم دونهـا | مستنجدا حورانها وشآمهـا
والبحر بينك في الجهاد وبينها | وقاك نيران الوغى وسهامهـا
لله من حرب تثير ضرامهـا | لترى سواك وقيدها وطعامها
ان الالى استلوا هنا اقلامهـا | غير الالى استلوا هناك حسامها
والحاملون على الصدور كلامهـا | غير الرواة عن الصدور كلامهـا (١)

يخيل الينا ونحن نقرأ هذه الابيات اننا نلمح فيها طابع السخرية المبطنة بالاضافة الى النقمة العارمة التي تشتعل في صدره على الداعين الى الحروب ، وهم بعيدون عنها يفصل بينهم وبينها محيط يقيهم شر ضرامها . وكأنما يقول فوزى لتلك الفئة الداعية للثورة ، ان اردتم لبلادكم الحرية وكنتم من فرسانها فهبوا الى ساحة الوغى ، ولا تتستروا وراء الالفاظ والاقوال . ولو كنتم ممن نزلت بكم ويلات الحرب لما ملأتم الدنيا صياحا وضجيجا . والحقيقة ان بـذور هذا الموقف لم تكن وليدة اللحظة ، بل اننا نتأثرها في قصيدة اماني مهاجر حيث كانت دعوته تقوم على الهمة والعمل والعلم والمحبة دون الاقوال والقضب . ففوزى يسعى وراء عمل فاعل في نهضة الامة ، ويتنكر للخطب والدعوات التي لا تقترن بالعمل الخلاق . ولا مشاحة ، فأن فوزى في هذه القصيدة ينعطف عن خط سيره الاول اذ ادرك عدم جدوى الكلام امام واقع لا يبشـر بخير ، ولا سيما ان الذين يدعون للثورة من شعراء مهجره يتقاعسون عن خوض غمارها ويتركون لسواهم يبتلون بويلاتها .

وفي قصيدة " مقتل السردار " (٢) (١٩٢٥) ، نرى لفوزى عودة الى النغم القديم الثائر على خفوت في الجرس الصاخب :

وضج من السخط وادى الملـوك | وزمجر فرعون من لحـده
وكاد الصعيد بأهرامـه | يثور على الظلم من وجده
ويمشي ابو الهول في موكـب | فراعنة المجد من حشده

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ٤١ .
(٢) الملحق : ٢٥ .

جرى النيل يزبد في سلكـــه　　وسار المقطم في عقـــده
ليحتج للارض وللسمـــاء　　عليكم وهذا مدى جهـــده
ايا امة النيل صبرا (وخلّـي　　عدوك يسرف في كيـــده)
فلم ار كالظلم يبعث عـــزم　　الضعيف (ويقدح في زنده)

اولا نجد في هذه القصيدة " فوزى المعلوف " كما رأيناه في قصيدة اماني مهاجر ، والمأسدة الخالية ؟ وهل هو حقا منفصل عن الشعب يعيش في برجه العاجي ؟ ان هذه الابيات تتضمن الاتهام الشديد للمستعمر الذى ينكل بافراد الشعب مما ادى الى مقتل السردار . وهناك دليل آخر على هذا الرأى نعثر عليه في قصيدة فرعون وقبره (١٩٢٦) حين يهتف ببني التاميز قائلا :

مهلا بني التاميز في غلوائكـم　　فالظلم كم يجني على اربابـه
اقلقتم في البحر حوت عبابـه　　وذعرتم في البر قسور غابـه
وثللتم في الارض عرش ملوكهـا　　ونزعتم في الجو حكم عقابـه
وسحقتم الشعب الضعيف بجوركم　　ووضعتم الاغلال فوق رقابـه
قدعوا المكفن آمنا تحت الثرى　　بعد الجهاد وبعد طول عذابه (١)

وانها لصرخة حانقة يتميز بها صدر الشاعر حين يعدد مظالم المستعمر الذى لم يكتف بما يسوم به الاحياء من شر بل اوغل في طغيانه حتى راح يقلق الاموات ويجني عليهم . فالذين اتهموا الشاعر بالانهزامية والنكوص اساءوا فهم قصيدته ، وتوهموا انه تنكر لمواقفه الثورية السابقة ولجأ الى عوالمه البرج عاجية وحدها ، على انفصال تام عن المجتمع . وهذا رأى يصعب قبوله لتوفر الشاهد والدليل .

ولكن الملاحظ ان فوزى في هذه الفترة بالذات ، اى في عام ١٩٢٦ نشر ملحمته على بساط الريح . وهذا يعني ان الشاعر كان يبحث عن منافذ جديدة يطل منها على العالم ويسبر غور الوجود ان استطاع . والحقيقة ، انه بالاضافة الى قصائد فوزى في المرأة والحب والطبيعة والوطنية فهناك الجانب الاهم والاعمق والاشمل من شعره ، عنيت الجانب التأملي الفلسفي . ولعل فوزى قد استغرقه هذا الاتجاه بحيث تغلب على موضوعات شعره الاخرى ،

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٥ .

وان لم يفصله عنها فصلا تاما . ولعل هذا الاستغراق المتولد عن احداث الحياة وتناقضاتها ومظاهر اخفاقها وعجزها عن تحقيق اشواق النفس، طغى على الحوافز الوطنية الحارة التي كانت تتأجج في صدره كلما هبت رياح الثورة في بقاع العالم العربي . ولاذ بنفسه يغوص على الذات، على ما هو اعمق وثابت ، ومن هنا ، بفعل القنوط من الواقع العربي ، وبتأثير التناقضات ، ومزاج فوزى ، اشرف على عالم ارحب هو عالم النفس والكون والوجود .

خامسا ــ شعر فوزى التأملـــي :

اتسم شعر فوزى المعلوف التأملي بطابع التشاؤم .

والحقيقة ان لفظة " التشاؤم " هي مفتاح هذا الشعر التأملي ، والنافذة التي يمكن ان ندخل منها الى طبيعة حسه بالوجود ، ونظرته الى الحياة . ومن الصعوبة بمكان عظيم ان نتبين علة هذه النظرة الكئيبة للحياة عند فوزى الا اذا نظرنا اليها من خلال نفسية شاعر مرهفة ، تتوق الى عالم متسام لم تعثر عليه على الارض، فعذبها التناقض ما بين الخير والشر ، ما بيـــن النفس والجسد ، وبين اشواق الاولى ورغائب الثاني . اضف ، ان الحياة بكل ما فيها من شـــرور وآلام اسدلت على نفس الشاعر ظلا قاتما ، ولم تساعد الاحداث ، فيما بعد ، على تبديل هــذه النظرة او محوها .

يقول شفيق المعلوف ان التشاؤم " اصل في روح فوزى لم يكن للطوارئ يد في تكييفـــه فهو ماشاه منذ الطفولة ، ففتح عينيه في المهد واغلقهما في اللحد "(١) .

ولا يعدو شفيق الحقيقة اذ ان خطبة فوزى عن فقير يموت في قارعة الطريق تنم عن اســى عميق يختلج في النفس ولا سيما حين يردد قائلا :

" الموت ، الموت ، كلمة رهيبة مكتوبة في كل مكان ، على اديم الغمام ، على صفحـــة الارض، على متن الرياح ، على كم الزهرة ، على جذع الارزة ، على جبهة الانسان " (٢) . ففكرة الموت بكل ما تشحن خيال صبي لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره تغلف نظرته الى الحياة بلـــون اسود وتصب في رؤاه صنوف الشقاوة والمرارة .

وهذه المرارة ليست شخصية " وجذورها لا تقوم في حب خاب ولا في صفقة خسرت ولا في حاجة الى مادة ، ولا في موقف اجتماعي خاص يتسم بالضيق والحرج ، وانما هي في هذه التعاســة الروحية التي يعانيها المجتمع من حوله وتلقي على الناس في دنياه ، في بلاده ، ظلا كثيفا مــن الهموم والاوجاع "(٣) .

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ١٢ .
(٢) المصدر السابق : ٩ .
(٣) مجلة الرسالة المخلصية ــ مزاج كئيب وشاعرية اصيلة ــ شرارة ، عبد اللطيف ــ س٣ : ٦٩٦ .

ويرى البعض ان تشاؤم فوزى يعود الى باعثين [١] :

اولهما باعث وطني وانساني عام ٠

والثاني باعث اجتماعي ٠

والباعث الاول هو الحقبة المظلمة التي سادت عالم فوزى المراهق ، حقبة الحرب الكونية الكبرى بما فيها من مآسي الطفولة المشردة ، والجوع الفتاك ، والموت الذى ينشر ظله الرهيب ٠ والباعث الثاني هو التناقض بين الواقع والمثالية وعلاقة الانسان بمجتمعه ٠

ويرى نظير زيتون ان تشاؤم فوزى قد يكون بداعي " ازمة حادة من بؤس روحي عميق تجلى في تشاؤمه وتمرده على الحياة ودعوته الى العدمية ، بعدما يئس من ان تقتلع له الحياة جذور هذا البؤس الروحي الضارى الذى كان يعانيه باطنيا ويتجسد حروفا متمردة متحقدة "[٢] ٠

وفي رأى الاب جبرائيل ابو سعدى ان تشاؤم فوزى ناجم عن فساد الناس وشر المجتمع وطغيان المستعمر " فتحول حزنه الى تشاؤم والتشاؤم عنده عقيدة يقيس بها الحياة وشؤونها ، وهذا التشاؤم قاد فوزى الى النظر الى الحياة والاجتماع نظرات غير التي نألفها ٠٠٠٠ " [٣] ٠

ويقول الدكتور زكي المحاسني : " وقد وجدته مريضا كغيره من العباقرة ٠ وكان مرضه نفسيا ، فانطوى على الم دفين قد ينشأ مثله من الخيبة في حب عظيم ، او لوجود داء عضال يوقن المرء بحتفه ٠ وقد كانت هذه البواعث مجدية في شعر فوزى المعلوف ٠٠٠٠ "[٤] ٠

او قد يكون ارهاصه الباكر بالموت ، على غير ما وعي منه ، على حد ما رأى بعضهم في قوله : " ولا ارى وراء هذه الظلمات التي تغمر جو فوزى النفسي غير شعور صادق بالموت ، تسلل الى سريرته خفية ، ودون وعي منه ، ثم اقام فيها لا يبرح ولا يزول ٠ وجاءت الاحداث الخارجية من بعد ، بما تنطوى عليه من خطوب ورزايا ، ان في حياة الوطن ، وان في سيرة الامم والشعوب ، جاءت تؤيد ميله الى الكآبة وتشد نزعته الى التبرم ٠ واسترسل هو مع احاسيسه الخافية ، ونزعاته الدفينة ، ولم يحاول قط ان يقاوم جرثومة التشاؤم ، ولا فكر بالوقوف في وجهها ، وايقافها عند حد من تغلغلها فانتهى آخر الامر الى حالة مرضية واضحة الاعراض ، وانتقل المرض النفسي مع الزمن الى داء جسمي لم تؤخذ دونه وقاية ولا سبق ان وقفت في طريقة مناعة ٠٠٠ "[٥] ٠

---

(١) مجلة الرسالة المخلصية ـ س٣ ـ بين فوزى المعلوف وحكيم المعرة ـ هاشم ، جوزيف : ٧٠٩ ـ ٧١٠ ٠
(٢) المصدر السابق ـ اضواء على فوزى المعلوف : ٧٢٠ ٠
(٣) ابو سعدى ، جبرائيل ـ فوزى المعلوف : ٢٠ ـ ٢١ ٠
(٤) مجلة الرسالة المخلصية ـ شاعر قبلت فمه الالهة : ٧ ٠
(٥) المصدر السابق ـ مزاج كئيب وشاعرية اصيلة ـ شرارة ، عبد اللطيف : ٦٠ ٠

وهذا المزاج الكئيب ، انما كان يوغل في الكآبة لان صاحبه شاعر ، " وشاعريته كانت تسد على الفكر طريقه الى درس ما يجرى داخل النفس وتصرفه عن التأمل والعمل على التخلص الجدى من الآلام ، والآلام النفسية خاصة . اى ان فوزى كان يستجيب فورا لاحاسيسه الحزينة المنبثقة عن مزاجه ، ويصبح همه واهتمامه في التعبير عنها ، في بيانها ، في وصفها ، دون اى تفكير فيها او اى تعقيب ذاتي عليها "[١] . بل انه في حكم المؤكد ان فوزى كان يستعذب الالم ، ويتلذذ باناته ، كما اشرنا اعلاه . وهذا شعور لازم العصر حتى غدا " داء العصـــر " .

يتبين لنا مما تقدم في هذه الدراسة ، ان آلام فوزى ونظرته التشاؤمية تولدت عـــن عوامل عدة اهمهـــا :

١ ــ الاوضاع السياسية الفاسدة ، وقد بحثناها في شعره الوطني .

٢ ــ الاوضاع الاجتماعية التي اصطدمت بمثالية فوزى فتولد عن هذا الاصطدام ذلك الذوب الشعورى الاسود الذى انبثق من حشاشته تشاؤما دفاقا .

٣ ــ شرور الانسان وغدره وخيانته .

٤ ــ الصدع الناشيء في وحدة الكيان او الذات بداعي المتناقضات والثنائية ، فتولد عنها الالم الفاجع ، اضف الى عجزه عن ادراك مصيره ومآله .

وحين نلجأ الى شعر فوزى نستقرئه مراميه التأملية ، ونغوص على كنه اسراره ، نرى ان مظاهر التشاؤم هي الصبغة العامة التي تصبغ شعره التأملي بالوانها ، وتضفي عليه كآبة قاتمة مثارها احزان النفس الممزقة .

أ ــ الالـــم :

ان المصدر الاكبر للالم في شعر فوزى هو التناقض والفجوة السحيقة بين اشواق النفـس المتسامية ورغائب الجسد الفانية . وهو في سعيه الدائب نحو تحقيق اشواق النفس والتعالـــي بها لا يجد مفرا من ان ينصهر في بوتقة المعاناة ، ويقاسي آلاما براحا . والانكى من هذا كلـه ، انه يرجع الى واقعه الرهيب ، وقلبه ينز الما لانه عجز عن الانعتاق من قيود الجسد :

عشت بين المنى يراود نفســـي	خلّب من طيوفها وعقـــام
اقتفيها وفي يديّ فـــــؤادى	ثم الوى وفي يدىّ حطـــام[٢]

---

(١) مجلة الرسالة المخلصية ــ س٣ ، ع١١ ــ مقال مزاج كئيب وشاعرية اصيلة ، شرارة ، عبد اللطيف : ٦٠ .

(٢) على بساط الريح : ٩٣ ــ ٩٤ .

وهي مأساة فاجعة لان القلب التواق الى الرؤيا المتحررة من شوائب المادة قد اخفق في التسامي نحو الذات العليا التي راودت احلامه ، فعاد الى الارض حطاما . والشاعر يدرك ان ما يتوق اليه هو حلم ذهبي ، بيد ان النفس بطبيعتها ، تلجأ الى الاحلام هربا من عالم الواقع الرهيب :

اى حلم سبكته ذهبيـــا	لم تذبه بنارها الايـــام ؟
ورجاء حبكته من خيـــوط	النور ، لم ينسدل عليه الظلام ؟
اى عود حملته للتلهـــي	لم تقطع اوتاره ا لآ لا م ؟
ونشيد وقعته للتأســـي	لم يعكره بالانين الغـــرام ؟
اى كأس قربته من شفاهـي	لم تحل حنظلا عليه المـدام ؟
وفؤاد ذوّبت فيه فـــؤادى	لم يضع عنده لعهدى ذمـام ؟
اى طيف عانقته في منامـي	لم يكلله دمع عيني السجام ؟
وهناء زرعته في ضلـــوعي	لم يكن منه للذبول طعـــام ؟
ليت شعرى ، والليل يعقبه	الفجر ، متى يعقب البكاء ابتسام ؟(١)

اسئلة قلقة معذبة يلج منها الشاعر الى تلك الظلمة المتكاثفة في اعماقه . وهي اسئلة لا يجد لها جوابا ، بل تلوّن الحياة في عينيه بظل قاتم يبعث على الاسى والشقاء . وهو من خلال هذا الشعور القانط الفاجع ، يحس بالتناقض العجيب بين ما يريد وبين الواقع الاليم الذى يحياه . وماذا كان يريد الشاعر ؟ :

ضاع عمرى سعيا وراء رســوم	خططتها في الشاطئ الاقـدام
عشت ابني على الرمال وهل يثبت	ركن له الرمال دعـــــام (٢)

اهي الاحلام المتنامية في وجدان الشاعر لعالم مثالي مسحور ، يصبوا اليه لعله ينجو من الوقوع في قبضة المجتمع الفاسد ويتحرر من عبوديته وشقائه ؟ وما هذه الرسوم التي خطها على رمال الشاطئ ، فبلغتها الامواج في مدها ومحت أثارها ؟ وما هذه الصرخة التي يطلقها بعد ان درست معالم احلامه فيقول :

لم يبق لي في الارض من بغيـــة	ما الارض الا جنة الاحمـــق (٣)

---

(١) على بساط الريح : ٩٥ .
(٢) المصدر السابق : ٩٥ .
(٣) الملحق : ٦ .

ان الشاعر يتعذب لانه يدرك بأن عالمه هو عالم آخر لا يستطيع الوصول اليه . وكلما حاول ان يحلق الى اجوائه على اجنحة من خيال عبقري يصطدم بالواقع المرير . وهو اذ يكتشف هذا الواقع يتألم ، وفي قرارة علمه ان موطن الشاعر هو ليس في هذه الدنيا وانما هو فيها غريب :

في عباب الفضـــاء فوق غيومـــه

فـــوق نســـره

ونجمتـــــه

حيث بث الهـــــوى بثغـــر نسيمـــــه

كـــل عطـــره

ورقتــــــه

موطن الشاعر المحلـق ـ منـذ البدء ـ لكن بروحه لا بجسمه

انزلته فيه عروس قوافيـ/ـــه بعيدا عن الوجود وظلمـــه (١)

فهذا هو موطن الشاعر . وحين يمشي فوق تراب الارض فهو يمشي على ارض غريبة بعيدة كل البعد عن مرتع احلامه وموئل حبه واشواق نفسه ، وكأنما هو سقط من جنة الفردوس كسقوط آدم وعـــاش في ارض لم يخلق لها منذ البدء . وما الجسد الذى اصبح اسيره الا الخطيئة التي افضت الـــى طرده . وحين يتطلع من بعيد الى " ارض الوطن " ، ويستشف روعة الاحلام الاولى ، يـــدرك الخسارة الجسيمة التي مني بها حين وقع اسيرا في قبضة الجسد . ومن المؤلم حقا ان يتوق الشاعر الى عالمه ويرغمه الجسد على العبودية والقبول بالواقع قسرا :

ليت شعرى ما الشاعر ابن لهـــذى الارض الا بلحمه وبعظمـــه

فاذا اختار هجرها برضـــاه افما جاءها مقودا برغمـــــه ؟

هو منها وليس منها فمـــا زال غريبا ما بيـــن ابناء امـــه (٢)

فنفس الشاعر هي ليست من هذه الارض . ولانها ليست من هذه الارض هي غريبة عـن ابناء امه . وما زالت هذه النفس غريبة فأنها تتعذب لانها في شوق دائم الى الموطن السـعيد . فالقصور عن تحقيق هذه الرغبة الجياشة ولّد في نفسه الما مفعما بالكآبة والاسى . وقد استمر هذا الالم الى حد الالفة . يقول الشاعر عن روحه :

---

(١) على بساط الريح : ٣٧ .

(٢) المصدر السابق : ٣٩ . وهذا يذكرنا بقول الخيام :

ان روحا من عالم الطهر جاءت لك ضيفا ما التاثها بالغبـــراء

(رباعيات عمر الخيام ـ ترجمة السيد احمد الصافي النجفي : ١٩) . بيـــروت .

لست من عالم التراب وان كنـــت تقمصت بالتـــراب عليــــه
انت من عالم بعيد عن الارض يفيض الجلال عن جانبيـــه [١]

فقد طرد من هذا العالم ، او اضطر مرغما على هجرانه ، وسكن الارض التي يفضل عليها رمس القبور :

هو بالرغم عنه من عالم الا رض وان قد تزيا بشكل ابناء جنسه
سكن الارض مرغما وهو لـــو خيّر ما اختار غير ظلمـــة رمســـه [٢]

ومن حيث ان هذه النفس قد حرمت نعمة الحياة في عالمها النوراني ، ولم تتوسد الثرى بعد ، فأنها تقاسي من العذاب الوانا ، وتئن بعد ان ضاقت بها الآمال العذاب ، وحطمهـــا الواقع . ومما زاد في سعير آلامها ان تلك الاشواق لم تمت بل تفاقمت ضراوتها وازدادت حـــدة واشتعالا ، فجاءت النفس من الارض تبحث عن ذاتها :

جاء من ارضه يفتـــشعنـــــي يائسا فاخشـــعوا ليأســـه [٣]

ان الشعور بالغربة شعور رهيب حين يساور الانسان . والشاعر غريب ، ويظل غريبا حتى يلتقي روحه [٤] . ولا شك في ان فكرة الغربة تمسح شعر فوزى بمسحتها الحزينة اذ امتزجت بغربتين : غربة الهجرة ، وغربة النفس التي راحت تطلب ذاتها في الملاء الاعلى .

والشاعر اذ يخفق في الانعتاق الكلي ، ويدرك ان القوى التي تشده الى الارض هـــي قوى قاهرة ، يفيض قلبه اسى وكآبة . ولفرط هذا الحزن والواقع الاليم :

الف اليأس قلبه وهو واليـــأس يحاكي بثينة وجميـــــــــلا
واذا اليأس صدّ عنه قليـــــلا راح يبكي على نـــواه طويـــلا [٥]

وانها لصورة تبعث على الرعب ان يصبح الانسان اليف اليأس ، وخدين الشقاء ، يتشوق اليه على رغبة ، وينشده كلما نأى عنه ، لا يريد من اليأس هربا ولا يبغي منه نجاة .

---

(١) على بساط الريح : ٤٦ .
(٢) المصدر السابق : ١٢٦ . وهذا يذكرنا بأبي العلاء المعرى حين يقول :
دعا لي بالحياة اخو وداد رويدك انما تدعو علـــيّ
وما كان البقا لي اختيـــارا لو ان الامر مردود الـــيّ
(اللزوميات ـــ ج ٤ : ٤١٥ . تحقيق ابراهيم الاعرابي ، بيروت ١٩٥٢
(٣) على بساط الريح : ١٢٧ .
(٤) المصدر السابق : ١٣٣ .
(٥) المصدر السابق : ٧٨ .

ان العجزعن الانعتاق من قيود الجسد واطلاق سراح النفس التائقة الى عالمها العلوى التي هي منه ، يولد في الشاعر الما فيصبح شارد الفكر ، حائر الطرف هائما في المجهول :

تاه في عالم الخيال فضاعت نفسه وهي تنشد المستحيلا (١)

ولعل طلب المستحيل هو الحافز الاعظم على الالم ، لان طلب المستحيل اكبر ممزق للنفس • وما ذنبه في هذا الشوق وروحه هي من عالم الالوهة ؟ فجوهر نفس الشاعر من مادة تختلف عن مادة الجسد ، تتوثب في ذاتها اشواق ومنى ، ابعد ما تكون عن عالم الارض • ولكن ما تصبو اليه هو المستحيل ما زالت اسيرة هذا الجسد ورغائبه • فأى الم يعترى النفس ما بين طموحها وعجزها ؟

اما المصدر الثاني من مصادر الالم فهو الشر •

والشر يغمر الارض ويملأها فسادا فتشقى ويشقى معها الناس • وليس في الوسع الخلاص من هذا الشر ما زال الانسان عبدا للمادة :

هو في الارض حفنة من تراب

فأبوه

طين وماء

....

وكما كان اصله من تراب الارض يغدو مصيره لترابه (٢)

اذا يلج هنا عنصر التراب ليخنق بذور الخير التي تحملها النفس • وفي هذا صراع اليم ما بين الخير والشر ، وعنصر الشر هو الاقوى اذ يستمد طغيانه من طبيعة المجتمع الذى فيه ينمو • اما الخير فهو غريب عن الارض ، وعن المجتمع ، موطنه عالم الروح ، وبالتالي يتغلب الشر على الخير ويشعر الشاعر بغربته ، ولا ترى النجوم في الشاعر غير الشر :

هو يحيا للشر ، فالشر يحيا ابدا حيث حلّ شؤم ركابه (٣)

---

(١) على بساط الريح : ٧٩ •

(٢) المصدر السابق : ١٠٩ •

(٣) المصدر السابق : ١١٠ • وهنا نلمح نفسا علائيا اذ نسمع صوت المعرى يقول :

الشر في الجد القديم غريزة في كل نفس منه عرق ضارب
(اللزوميات ج ١ : ١١٤) •

او حين يقول :

حوتنا شرور لا صلاح لمثلها فأن شذ منا صالح فهو نادر
(اللزوميات ج ٢ : ١١٧) •

ويقول فوزي :

انا عن وصف شره عاجز والله مهما افضت في تبيانه (١)

فالروح المثالية تكره الشر وتنبذه ، وبالتالي حين تجد نفسها محاطة بالشر تتعذب .

وفوزي ، كما تقدم ، يأخذ بفكرة روسو القائلة بأن الانسان خير بطبعه والمجتمع يفسده :

ليته عاد للثرى مثلما جاء نقيا بنفسه واهابه

جاء والحسن والرواء رفيقاه وثوب العفاف كل ثيابه (٢)

ومن هنا ، يتأتى لنا ان ندرك بأن وجود الشاعر في عالم الشر هو عذاب مرير بحد ذاته .

ولقد نسي الانسان الخير حين اوغل في الشر فداس ضميره ، ووعث في حمأة الاثم :

نسي الخير حين اوغل في الشر فداس الضمير في عصيانه (٣)

ومتى مات الضمير الانساني ، مات الخير .

وللشر مظاهر في حياة الناس ، يراها الشاعر في احداث حياته اليومية ، فتنطبع في ذهنه . وفي رأى الشاعر انها من صنع المدنية الزائفة والرقي الكاذب :

ملأت قلبه الافاعي فلا يسمع غير الفحيح في خفقانه

حسد ناهش بقية ما في نفسه من ابائه وحنانه

طمع يقذف اللهيب حواليه فيعمي عيونه بدخانه

وانانية تحل له القتل لتحقيق غاية في كيانه (٤)

ان الانسان المستعبد للشر اصبح قلبه وكرا للافاعي التي تفحّ في جحور نفسه ، وتأكل من جسده بفعل الحسد الناهش . فهو لا يؤذى الاخرين فحسب وانما ، عن وعي او غير وعي ، يؤذى نفسه ايضا . وكلمة ناهش في هذا المقطع تلون لنا لوحة مرعبة لاعماق انسان نشبت به انياب حادة تقرض وجوده قرضا ، مقرونة بطمع متحد وانانية تحل له اقتراف كل انواع الشرور في سبيل تحقيق رغبة اثيمة دون رادع او وازع .

---

(١) على بساط الريح : ١١٧ .
(٢) المصدر السابق : ١١٠ .
(٣) المصدر السابق : ١١٨ .
(٤) المصدر السابق : ١١٨ .

هذا ما يجترحه الناس استئثارا وانانية ، وهذا هو الشر بعينه لانه يفتقر الى الحب والاخاء . وقد استغل العقل والعلم استغلالا شنيعا في سبيل الخراب والدمار ، فحوّل الانسان الارض التي شاءها الله جنة خلد الى جحيم موت وقتل وخراب . فالطائرة ما بناها الا لسفك دماء الاخرين :

ما بناها الا لهدم المباني	ولسفك الدماء في طيرانه
ليته لم يكن ذكيا فكل	الويل في الكون من نهى انسانه (١)

فهو في نقمته على الذكاء البشرى والرقي ينقم على الغاية التي اخضع لها الانسان ذكاءه ورقيه ، اذ ان مدى القتل قد اتسع ، ونتائج العلم والاختراع ادت الى الدمار والموت على نطاق اشمل . فمثل هذا الرقي هو رقي كاذب لان المدنية الاصيلة تدعو الى السلم والبناء والتفاهم بين افراد الجنس البشرى . لهذا يهتف متألما :

قالوا تقدمت الشعوب فقل لهم	هذا التقدم للهلاك رواح
ما زال قتل الناس شرعا جائزا	لا امن نؤمله ولا اصلاح
فيم التنازع والحياة قصيرة	وجميعنا في ساحها سياح
اين التمدن يا دعاة وجوده	والارض يخضبها الدم السحاح
لم تندمل فيها جراح شعوبها	الا لتخلفها هناك جراح
ان كان هذا في الحياة تمدنا	فليهنأ القروى والفلاح (٢)

فألم الشاعر يتفجر عن واقع رهيب يخضب العالم بدماء سحاح بأسم المدنية والتقدم والرقي . وهو ينقم على هذا التمدن لانه كان سببا لويلات جسام واخطار مرعبة ، وقتل وموت . فالعودة الى البداءة ، الى الطبيعة الصريحة التي لم تدنسها آثام المدنية خير الف مرة من التمرغ باوحال الحضارة ، ان كانت هذه الكوارث ناجمة عنها . ومهما حاول الانسان ان ينجو من اثارها فأن مظاهر وجودها تطل عليه انّى التفت ، لانها دمغت الوجود البشرى بطابعها الدموى . ومن هنا ، يهتف الشاعر متمنيا لو ان عمر التمدن قد تأخر اجيالا فلم يكن في عهده :

ليت عمرانه قد تأخر اجيالا	فكل الخراب من عمرانه (٣)

---

(١) على بساط الريح : ١١٩ .
(٢) ديوان فوزى المعلوف : ٥٤ ـ ٥٥ .
(٣) على بساط الريح : ١١٩ .

فويل للانسان من هذه الحضارة الكاذبة لانها ستؤدى به الى كارثة فاجعة ٠

ومظاهر الشر لا تقتصر على هذه النوازع لان هذه النوازع تسعى الى غايات استعبدت الانسان هي : عبودية القوة ، والشهرة ، والغريزة ، والحب ، والمال [١] ٠ وهي عبوديات عمياء ينقاد لها الانسان فتطوح به الى مهاوى الهلاك ، ويعجز عن التحرر من استبدادها :

كل ما في الكون اعمى ومنقاد على رغمه لاعمى نظيره [٢]

وكأنما يرى الشاعر ان الانسان مسيّر ، بل انه يقول بالحتمية والقضاء الذى لا بد منه ٠ فهو اعمى ، يخبط خبط عشواء ، ومنقاد لاعمى يقتاده في متاهات مجهولة ٠ فما هو المصير ؟ وماذا يحمل اليه الغد ؟ انه لا يدرى ٠ ولكنه يحس احساسا حادا بأنه عبد للقضاء ، بل ان الكون باسره مستعبد لهذه الحتمية ولا فرار ٠

وليس هناك آلم للنفس الحرة من ان تصبح مستعبدة لشرور الحياة ٠ فنفس الشاعر هي حرة تتحرق الى عالمها المثالي ، وهي اذ ترى الشر يتفاقم تود لو تنعتق ٠ وفي انعتاقها تزداد اشواق الشاعر للحاق بها ، لان الالم الناجم عن المتناقضات الم مأساوى ، اذ ان هذه المتناقضات تولد صدعا في الذات ما بين الروح والجسد ، ما بين المثال والمادة :

بيـــن روحـــي ، وبين جسمي الاسير

كـان بعـد

ذقت مـــره

انا في الارض وهي فوق الاثيـــر

انا عبـــد

وهي حـــره [٣]

فالنوازع الخيّرة التي فيه ، التائقة الى المثل العليا تتعذب لانها مستعبدة بل اسيرة في قبضة العبودية العمياء ٠ عبودية كلية سيطرت على جسمه وعقله وقلبه وشعوره وحسه [٤] ٠ اما روحه فهي حرة وهو يتوق الى هذه الروح كما يتوق الظامىء الى قطرة ماء لان في اللقاء انعدام الثنائية ، وفناء للشر وتحرر من العبودية ، وتلاشيا للصدع ٠ ولكنه كان يطلب المستحيل ٠

---

(١) على بساط الريح : ٥٣ ـ ٥٤ ٠
(٢) المصدر السابق : ٥٤ ٠
(٣) المصدر السابق : ٥٥ ٠
(٤) المصدر السابق : ٥٥ ٠

والمجتمع الانساني مرتع الشر • والانسان هو صانع هذا الشر ، والدنيا مفعمة بالخداع والنفاق والمراوغة • فلا صديق وفيا يركن اليه ، اذ ان الغدر اصبح ديدن الناس، والمصلحة الذاتية والطمع يحرضان الانسان على ارتكاب الفظائع والويلات :

الناس، ما فيهم سوى غادر   مراوغ او مفسد مقلق (١)

وهؤلاء الغادرون لوثوا الحياة بادرانهم ، ودنسوا كرامة الانسان • وفوزي يؤلمه الغدر وعدم الوفاء ، ويعذبه ان يرى مجازاة الوفاء بالخيانة ، فهو حين يصعد الى مراقي النجوم ، وتتجاهل احداها الشاعر القادم اليها من الارض قائلة :

" .... وقاك البعد   اختي ، شر انطلاق جناحه (٢)

يتألم الشاعر ، ويناجي النجمة بكآبة وعتاب حزين :

ايه يا نجمتي الم تعرفيني   شاعرا ينصت الدجى لنواحه
كم ليال في الروض احييتها   ابكي واشكو اليك بين اقاحه
ساكبا في الفؤاد من طرفك   السيال بالنور بلسما لجراحه
وسواد الظلام في قلمي حبر   اوشي به بياض صباحه
سامح الله فيك قلبا نسيا   وهو في الكون مثل قلب ملاحه (٣)

فهو على الرغم من نغم العتاب الرقيق فأنه يتألم لهذا القلب الذى ينسى الذكرى ، والنجوى ، والحب ، ويجازيه بالجفاء ، والتناسي ، وسوء الظن • ولعل في هذه الابيات انعكاسا عميقا لصدى فشل قد انتاب قلب الشاعر فزاد من ألمه وشقائه •

ان اشد ما يحز في النفس الرقيقة الوفية هي الخيانة التي لا تتكافأ بأى حال من الأحوال مع الاخلاص والتضحية والوفاء التي تكنها للآخرين ، فيتملكها يأس جارف ، يعذبها ويعمق جراحها •

ومصدر ثالث من مصادر الم الشاعر هو عدمية الحياة :

وعدمية الحياة تتجلى في عدد من الابيات التي بلغ فيها يأس الشاعر منتهاه • فهو لا يرى في الوجود الا الشقاء ، كأنما الانسان ما خلق الا ليشقى ويمنى بمأساة الموت :

---

(١) الملحق : ٦ •
(٢) على بساط الريح : ٨٦ •
(٣) المصدر السابق : ٨٧ •

برعم الزهر ما وجدت لتبقــــى ... بل ليمضي بك الخريــــف
هذه حالنا ، خلقنا لنبقــــى ... ولتقضي ، بنا الحتــــوف(١)

وهي عدمية تستحيل معها كل الوان العزاء لان الشاعر ادرك عبثية الحياة وعدم قدرتها على اضفاء اى رجاء على النفس المظلمة . ولا يساور الشاعر اى شك في ان هذا الوجود لا يشبع رغباته ولا يحقق آماله . فلا المال ولا الشعر ولا السيف ولا العلم ولا الحب في وسعها جميعا ان تمنحه السعادة وتعطي لحياته معنى ، وان كان يرجوان يلمح محبوبته قبل الردى فلانه يقف على اطلال يدرك انها لن تدوم :

المال ؟ ليس المال عندى سوى ... جرادة العيار والزئبــــق
الشعر ؟ بحر كامل وافــــر ... وليس يروى غلة المستقـــي
السيف ؟ (والفرد) بطيــارة ... اقوى من الفرقة والفيلــق
العلم ؟ والكاسب من معــول ... خير من الكاسب من مهــرق
الحب ؟ قف يا موت واشفق على ... قلبي ودعه لحظة يخفـــق(٢)

ان الوجود لاعجز من ان يحقق رغبات هذه النفس لانه وجود شقي . وكل ما يصنعه الانسان مصيره الى الفناء :

ايها السائرون في الارض كبرا ... انتم للردى بها سائرونـــا
خففوا الوطء فالتعجل يدنيكم ... من القبر ، آه ، لو تعلمونا
ان كل الذى عليها ظلام ... في ظلام عليه تختبطونـــا
والقصور التي بنيتم على رمـــل ... فحتام فوقه تبنونـــــا(٣)

ثم ان هذا العيش مزروع بالشقاء فأنى تلفتّ لا ترى فيه غير النكد والعبرات والانات:

كل ما يحويه هم فهــــم ... ينقضي بين ليله ونهــــاره(٤)

ويتخذ الشاعر من الورد مثلا ، فبعد ان يكون نضرا فاتحا للندى جفونا تذريــــه الرياح وتذويه ارجل العابرين :

ثم ابصرتموه تحت تـــراب ... الارض يختال فوقه السائرونـــا
الم كلها الحياة فلا تضحـــك ... ثغرا الا لتبكي عيونـــــا(٥)

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٢١ .
(٢) الملحق : ٦ .
(٣) الملحق : ٧ .
(٤) الملحق : ٢٥ .
(٥) الملحق : ٧ . وهنا نعود فنلتقي بالروح المعرية وهي تطلب من الناس ان يخففوا =

ويقول فوزي ايضا :

تلك القبور وهل وطئت ترابهـــا … الا على قوم هنالك نـــوّم (١)

اذن ، فالحياة ، قد استحالت في ناظريه الى عدم ، وان من سخرية الاقدار ان تكون الارض التي يطأ عليها الانسان بقسوة ولا مبالاة مكونة من اجساد الناس المتحللة .

وعدمية الحياة وعبثها يتجليان بصورة خاصة في قصيدة " نصيبـك " اذ يعصف فيها ذلك النغم المتشائم الرهيب ، فلا تكاد ترى في الدنيا طيف ابتسامة ترف على ثغـر الحياة . وتتسرب الى النفس كآبة غامرة ، هي كآبة قلب الشاعر ، وقد انقضى عمره في شقـاء دائم . فما هو نصيب الانسان من هذا الوجود ؟ يقول الشاعر :

نصيبك من هذا الوجود مصائـب … وداء تقاسيه وموت تحاربـه
تسر بمولود وتاسى لراحـل … وطالعه رهن الفناء وغاربـه
لعمرك ان العيش صفقة خاسـر … اذا وزنت لذاته ومتاعبـه
وتقضي سني العمر سعيا لمطلـب … فتقضي ولا يقضى الذى انت طالبه
فما احقر الدنيا واشقى نزيلهـا … ومرجعه هذا الثرى وغياهبـه (٢)

فأن كان هذا هو نصيب الانسان من الوجود ، وكان الشقاء حليفه عبر مراحل حياته ، والعيش ليس سوى صفقة خاسر ، فلم الحياة ولم لا يلجأ الى الموت ؟ بل لماذا يولد اصـلا ؟ ان نظرة فوزي التشاؤمية تقوده حتما الى مثل هذا التساؤل . فهو يصور لنا قبح الحياة ، فيرجع بنا الى يوم المولد ليثبت بطلان محاولة الوجود اصلا ، فيقول :

ليت شعرى ، لمن بسمتم ؟ اللآتـي … الى الكون مستهلا بعبـره (٣)

= الوطء عن الارض لانها من هذه الاجساد التي تحللت فيها :

خفف الوطء ما اظن اديم الارض ــــــ … الا من هذه الاجسـاد
سر ان اسطعت في الهواء رويدا … لا اختيالا على رفات العباد
تعب كلها الحياة وما اعجـب … الا من راغب في ازديـاد

(١) الملحق : ١٩ . (المعرى ـ سقط الزند : ٧ ، ط دار بيروت وصادر ، ١٩٥٧).
(٢) ديوان فوزي المعلوف : ٣٧ .
(٣) المصدر السابق : ١٢٥ .

ان الطفل حين يولد يطلق صرخة عويل وكأنه ادرك انه يقتحم عالما غريبا عنه بالرغم عن ارادته ، فيستهل وجوده بعبرة يذرفها اسى وحسرة ، فما يولد الطفل الا للعذاب :

يولد الطفل للعذاب ، وهذى سّنة الدهر وقي الطفل شره
بين اوجاع امه دخل المهد وبين الاوجاع يدخل قبره

. . .

من يمت الف مرة كل يوم وهو حي يستهون الموت مره
" تعب كلها الحياة " وهذا كل ما قاله فيلسوف المعره (١)

فالمرء من مهده الى لحده يشقى ويتعذب ، وهذه هي سنة الدهر ولا مفر من قضائه .
ويقنع فوزى برأى المعرى ويرى فلسفته تتلخص بأن الحياة كلها تعب ، وليست هناك بارقة امل تضيء ركنا قصيا من نفسه المظلمة ، ويرسم الشاعر لوحة معتمة ليوم مولده ويتمنى لو انها لم تكن :

ايه يا يوم مولدى هجت فينا خير عبره ــ وشر ذكرى
لجنين رأى الوجود فخبا فيك فجره ــ لا كان فجرا (٢)

لقد بلغت الالام بفوزى المعلوف مبلغا راح معه ينعى يوم مولده الذى استنزف خير عبره لاسوأ ذكرى . فهو يبكي اسفا لانه ولد تكتنفه سويداء مكثفة ، واسود فيه فجره .
ويزداد شعوره بتفاهة الحياة وعدم قدرتها على اثارة نفسه حين تمر به الايام رتيبة مملة خالية من كل ما هو مثير وجديد :

غده مثل يومه تلعب الاقدار فيه ويومه مثل امسه (٣)

وهذه الرتابة " تفرّغ الحياة من معناها ، ولا سيما حين يدرك المرء انه لا يستطيع ان يغير من طابعها لانه مسوق بارادة القدر المتلاعبة بمصيره . وهذا مما يولد قنوطا اعمق تلوب به النفس .

فأن كان الشقاء سنة فهل هناك مفر منه ، ونجاة من قبضته ؟ ونحن نجد فوزى يرحب بالعذاب باستسلام ورضى لانه يدرك عجزه عن المقاومة ايضا . يقول :

مرحبا بالعذاب يلتهم العين التهاما ، وينهش القلب نهشا (٤)

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٢٥ .
(٢) المصدر السابق : ١٢٧ .
(٣) على بساط الريح : ١٢٦ .
(٤) ديوان فوزى المعلوف : ١٣٣ .

وفي هذا كل الاستسلام للحتمية التي لا مفر منها . وفي هذه المرحلة العلائية من حياة فوزى الشعرية تطغى عليه نبرة التشاؤم طغيانا جارفا بحيث يخفق في العثور على سبب يشده الى الحياة . فأن كانت الحياة عناء مستمرا ، يتفاقم فيها الشقاء والقنوط فغر من يطلب دوام العذاب في تمنيه البقاء في هذا العالم . وكم هو خير له لو فارق هذا الوجود لينعم بالراحة الابدية(١) .

ومما يزيد الامر سوءا ان الطفل برئ لا ذنب له في وجوده في هذه الحياة . ومن هنا يخرج الشاعر الى موقف آخر يرتبط بفكرة اخلاقية ارتباطا وثيقا ، وهو موقف الابوّة والامومة من الطفل .

من حيث ان نهاية المطاف هو يأس مرير في هذه الدنيا الفانيه ، فأولى بالوجود ان تنعدم منه الولادة واختصار الحياة . ولربما كان تصوير هذا اليأس وطلب نعمة العدم ابرز ما يلتقي فيه المعرى والمعلوف بحيث يتعذر ان نعتبر آراءهما من قبيل توارد الخواطر ، ونلمح فيه ان فوزى تلميذ بار لاستاذ التشاؤم الاكبر في ادبنا العربي (٢) .

فمن حيث ان وجود الانسان عند فوزى ، ليس رهنا باختياره فلم لا يتوقف النسل عن التكاثر اذ ان الطفل لا يرغب في المجئ الى دنيا الناس . وحين يولد بالرغم عنه فانه يكون اصبع اتهام في وجه الحياة ووالديه . فاذا اخير ان تنعدم الحياة فتتوقف دورة التولد ويوضع بالفناء حد الشقاء بعد العناء . وعلى هذا الاساس فأن الشاعر يوجه التهمة الى الوالدين اللذين يظلمان الوليد حين ينجباه :

لا تكوني اصل البلاء لهذا الطفل يا ام وارحميه جنينا
انت ادرى بحسرة العيش اذ لاقيت من شقوة الحياة فنونا (٣)

---

(١) يقول عمر الخيام في هذا المعنى :

ان لم يكن حظ الفتى في دهره الا الردى ومرارة العيش الردى
سعد الذى لم يحي فيه لحظة حقا واسعد منه من لم يولد

(رباعيات عمر الخيام : ٤٩)

(٢) يقول المعرى :

ما باختيارى ميلادى ولا هرمي ولا حياتي فهل لي بعد تخيير

(اللزوميات – ج ٢ : ١٣٥)

(٣) الملحق : ٧ . يقول المعرى في هذا المعنى :

على الولد يجنى والد ، ولو انهم ولاة على امصارهم خطباء

(اللزوميات – ج ١ : ٥٠)

ولهذا صدف ابو العلاء عن الزواج والنسل فلم يشارك اباه في هذه الجناية .

الهذا لم يتزوج فوزى ؟ ام كان موقفه هذا موقفا فنيا ؟ ام تراه مزج ما بين الحياة والفن ولم يتزوج فجاء امتناعه عن الزواج تعبيرا عن موقفه من الحياة ؟ انني اشك بذلك من حيث المبدأ لان عنصر الحب ، وان كان الشاعر يحاول ان يضفي عليه مفهوما روحانيا مثاليا يحمله على التفكير بالزواج ، لا سيما ان فوزى ممن يقدسون الامومة والمرأة كما بينا آنفا . يبدو ان الشاعر كان يخفي سرا مكنونا في صدره . ولكن من حيث نظرته الى الوجود ، بصرف النظر عن دواعيها ، نرى فوزى يشارك المعرى (١) في هذا الموقف العدمي . وفي قصيدة "الشبح الهائم " الضال في هذا الوجود ، يصف لنا نقمته على الزواج والولادة ، بل يلعن الام ويتمنى نقض الزواج لان الام لم ترحم طفلها ولم تتركه في عالم الغيب يسعد بدنياه السديمية وينعم بالهناء :

يتمنى نقض الزواج من الناس	فلا يحبلون او يلدونا
يلعن الام تكثر النسل للرغبة	في النسل ثم تشقي البنينا
تحمل الطفل في حشاها شهورا	ثم تلقيه للعذاب سنينا (٢)

ذلك لان في استمرار الحياة تفاقما في الشر ، وبالتالي تفاقم الالم . ويلوح لنا ان الشاعر ، او الشبح الهائم ، يدرك عن وعي حقيقة الشقاء اذ يقول :

ينظر الناس يكثرون على الارض	فيبكي لانهم يكثرونا (٣)

لاعتقاد الشاعر ان بتكاثر الناس يتكاثر الشر ، وبتكاثر الشر تزداد سلبية الحياة ويتوالد الالم . وهذا موقف تشاؤمي مطلق جسّده الشاعر في هذا البيت .

ومصدر رابع من مصادر الالم هو جهل الشاعر لمصيره :

والمصير مشكلة من حق الشاعر ان يجد لها حلا لانه يتوق الى المعرفة ، غير ان الحل الذى يرغب فيه لا يمكن ادراكه ، فهو يتساءل :

كيف جئنا الى الدنيا ومن اين جئنا ؟	والى اى عالم سوف نقضي ؟
هل حيينا قبل الوجود ؟ وهل نبعث	بعد الردى ؟ وفي اى ارض ؟
هو كنه الحياة ، ما زال سرا	كل حكم فيه يؤول لنقض (٤)

---

(١) يقول المعرى :

ارى النسل دنيا للفتى لا يقاله	فلا تنكحن الدهر غير عقيم

(اللزوميات ــ ج ٤ : ٢٠٠) .

(٢) الملحق : ٧ .

(٣) الملحق : ٧ .

(٤) ديوان فوزى المعلوف : ١٢١ .

ان الحديث عن المصير افضى به الى الحديث عن بدء التكوين ، عن الوجود الغيبي السابق للوجود المادى • وهي تساؤلات فلسفية حاول الشاعر ان يغوص على ابعادها ، على غير نجح كبير وان اورثته الحيرة والقلق • ولكنه يعود ويتغافل عن التفكير بالماضي والمستقبل ، لانه لا يستطيع ان يكتنه سر حاضره فكيف يكتشف ما هو غيبي :

كيف اجلو غدى ؟ وادرك امسي ؟ وانا حرت كيف يومي سيمضي(١)

والتساؤل الذى اقلق فوزى عن اصل وجوده ومصيره ، اثار ايضا حيرة الخيام وان كان موقفه منه موقف اللامبالاة الذى همه من دنياه كأس خمر وقينة وغناء •(٢) وفي هذا ، عودة الى فكرة وجود الانسان بالرغم عنه ، والتساؤل عن اصله ومآله مع انه لم يكن له يد في مجيئه اوغيابه • لم يحاول فوزى ان يغوص على اعماق الفكر الفلسفي في بحثه عن الاصل والمصير ، لانه كان ينظر الى المشكلة من وجهة نظر وجدانية وليس على غرار المعرى الذى كانت مشكلته مشكلة عقلانية ، نتيجة لازمة فكرية ومعاناة • ومن هنا كان موقف فوزى من هذه التساؤلات موقفا سطحيا دون استقصاء •

ولكن ما هو طريق الخلاص من شقاء الحياة وآلامها ؟

ان فوزى وقد خاب فأله من هذا الوجود ، ورأى فيه العدمية ، يبحث عن طريق النجاة في العالم الاخر عبر الموت •

ب — <u>المـــوت :</u>

يرى فوزى في الموت نجوة وانعتاقا لانه يحرر نفسه من قيود الجسد التي تشده رغائبها الى الارض ، ولانه ينعتق ايضا من حدود المكان والالم • لذلك نراه يرحب بالموت لان هــــذا

---

(١) ديوان فوزى المعلوف : ١٢١ • وهو في هذا لا يبتعد عن المعرى حين قال :

ارواحنا معنا وليس لنا بهـــا علم فكيف اذا حوتها الاقبر

(اللزوميات — ج ٢ : ١١٤) •

وهذا يشبه قول الخيام :

سر الحياة لو انه يبدو لنـــا لبدا لنا سر الممات المبهـــم

لم تعلمن وانت حي سرّهـــا فغدا اذا ما مت ماذا تعلـــم

(رباعيات الخيام : ٩) •

(٢) ويقول الخيام ايضا :

لا تحسبني جئت من نفسي ولا قطعت وحدى ذا الطريق المعنتا

ان يك منه جوهرى ومنشئـــي فمن انا واين كنت ومتـــى

(رباعيات الخيام : ٤٠) •

الانعتاق الفلسفي من حدود المكان ينقذه من قبضة الاسى :

والان يا موت اليّ اقتـــرب   يا مرحبا بالموثق المعتـــق
معتق نفسي من قيود الاسى   موثق جسمي في المدى الضيق [١]

فهو اذ يسعى الى الحرية لا يجد ذلك الا عن طريق الموت • كان عزاء فوزى الاسبق في لحظات من العمران الشعر كان يفك جناحي روحه من العبودية ، او بمعنى آخر هو اللجوء الى الفن من حيث هو حرية ، وعالم سحرى ترتاده النفس وتحقق ذاتها :

غير روحي فالشعر فك جناحيها   فطارت في الجو فوق نسـوره [٢]

فعالم الفن هو العالم الذى تنعدم فيه المتناقضات ، هو عالم الحرية حيث تفنى الثنائية وتولد الوحدة • ولكن هذا الانعتاق لم يكن ليدوم طويلا اذ ان هذه الروح كانت تعود دائما الى عالم الواقع والشرور • لذا لا يرى هناك انعتاقا كليا قط الا في الموت الذى يحرر من ربقة العبودية • يقول الشاعر :

ما وليد الالام غير اسـير   والردى وحده يحرر اسـره
ضاقت الارض في الحياة عليه   وكفته في الموت اضيق حفـره
وهو ان مات ليس يخسر الا   عيش بؤس فكيف يرهب خسـره [٣]

فالردى اذا يحرر الانسان من الاسى حيث تنطلق الروح في فردوس الحرية تتغنى هانئة • فسر الانعتاق اذن يكون في الموت ، وبهذا يعتبر الموت سبيلا للحرية • ويصور لنا الشاعر ان النفس تتوق الى الموت لانها تجد فيه تعبيرا عن اشواقها التي ستتمتع بها حالما تنتقل الى الضفة الاخرى الحقيقية من الوجود • ففي قصيدة الشاعر المنتحر يقول عن الموت :

كيف احببته ؟ ومـاذا تصـباك فأسرعت في اختيار جواره
باسما لاعتناقه ومشـوقا   للقاه وموجسا لفـراره
اهي الروح فيك جازت الى   حد تكل العقول عن اظهـاره ؟
ام هو الجسم ضاق عن ضم نفس   حرة حملته فوق اقتـداره [٤]

فهذا الشوق للموت هو بدافع الخلاص والتحرر ، لان الانسان ينجو اولا من عيش محتقر :

---

(١) الملحق : ٦ •
(٢) على بساط الريح : ٥٥ •
(٣) ديوان فوزى المعلوف : ١٢٦ •
(٤) الملحق : ٢٤ •

هجر العيش باحتقـــــــار فهـــل في العيش شيء يدعو لغير احتقاره[١]

لذا ، فأن الشاعر يذهب الى القبر بملء اختياره بعد ان عجم عود الحياة فلم ير فيها الا كل شيء يدعو الى الاحتقار والازدراء ، فأن كان الناس يذهبون الى القبر مرغمين فأن الشاعر يسرع اليه الخطو عن رضى :

يذهب الناس مرغمين الى القبـــر   وقد جاء بملء اختيـــاره [٢]

لان في القبر راحة وهدوءا وطمأنينة تنشدها النفس :

انما القبـــر راحـة الجســـم من آلامه   والفؤاد مـــن اكـداره [٣]

فخير له اذا ان يختصر العمر لان عمر الشقاء طويل :

ان عمر الشقاء عمر طويـــل   ومصيب من يعتني باختصاره [٤]



ومن خلال هذا المفهوم نرى الشاعر يشجع على الانتحار ما زال هذا الانتحار هو درب خلاص ابدى ، ولا سيما اذا كان الموت خيرا من عار البقاء الملوث بالشرور :

ليس عار في الانتحار مشـــين   فهو خير من البقاء وعـــاره [٥]

وليس الموت والقبر طريقا الى التحرر من العبودية ، ووسيلة من وسائل الراحة والخلاص من الالام فحسب ، وانما في الموت خير عميم للبشرية ، ذلك ان الانسان الشرير افسد الارض وبذر فيها الشقاء ، ولكن حين يموت يتحول الى قوة مغذية لا تضن بخيرها على النبات وبالتالي علـــى الكون :

وهو لا ينفع البسيطة الا   حين يثوى في القبر بين رحابـــه

حين يمتصه الثرى فيغذى   منه ما في الاديم من اعشـــابه

يا لعمرى كل النبات الذى في   الكون من زهره الى لبلابـــه

ليس الا عصير اجســـام مـــن   ماتوا فزانوا الثرى باجمل ما به

تلك حال الانسان حيـــا وميتا   رب خير الشر من اســـبابه [٦]

---

(١) الملحق : ٢٥ .
(٢) الملحق : ٢٤ .
(٣) الملحق : ٢٤ .
(٤) الملحق : ٢٥ .
(٥) الملحق : ٢٥ .
(٦) على بساط الريح : ١١٠ ـ ١١١ .

فالموت بذاته تحول من صيغة وجود الى صيغة وجود اخرى ٠ فهو يضحي غذاء للنبات وتحولا من شر الى خير ٠ فالانسان اذ كان حيا كان يدوس على الازهار ويطأ اوراقها باقدامه مع انه يغذيها بلحمه ودمه وعظامه ، فخيره اذا ينجم عن موته ، وفي ذلك تحقيق لاحدى فكر الخير اذ ان الانسان الذى سبب الدمار في حياته اصبح الان مصدرا للجمال وغذاء للزهور ٠(١)

وفي الموت يمزول التمايز ما بين غني وفقير ، وفي الموت تجتمع الاضداد وتلتقي غصص السعيد وراحة المتألم :

حالوا ترابا في التراب فاصبحت عظم الحياة بهم هياكل اعظم

وتكافؤا بعد الممات ، الا ترى رب القصور مع الضعيف المعدم

يا للقبور وعندها اجتمعت معا غصص السعيد وراحة المتألم (٢)

ولعل فوزى رأى في عالم الموت رمزا لتحقيق عالمه المثالي حيث يتساوى الكل وحيث لا طبقية ، ولا فقر ولا غنى ، مرتع واحد لجميع القادمين من عالم الشر المنعتقين من اغلاله ٠ فأن كانت نفسه تتشوق الى مثل هذا العالم فلأنه عالم يسوده العدل والمساواة ٠ فأمام الموت وفي القبر يتساوى الكل ، لا فرق في ذلك بين شيخ وشاب وامرأة وصبية ٠ في الموت يتم معنى المساواة ٠

---

(١) وهذا يشبه الى حد بعيد ما قاله الخيام :

لم ينم في الصحراء روض شقائق الا وكان دما جرى لامير

وكذاك كل وريقة ببنفسج خال بدا زمنا بخد غرير

(رباعيات الخيام : ٨٣) ٠

ويقول ايضا في مكان آخر :

كل عشب يبدو بضفة نهر قد نما من شفاه ظبي اغر

لا تطأ ويحك النبات احتقارا فهو نام من مزهر الخد نضر

(رباعيات الخيام : ٦٩) ٠

(٢) الملحق : ١٩ ٠ وبمثل هذا المعنى نقرأ ابيات للمعرى ، ولعل فوزى كان قد تأثر بها :

رب لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزاحم الاضداد

ودفين على بقايا دفين في طويل الازمان والآباد

(سقط الزند : ٧ ـ ٨) ٠

وهكذا نرى الموت سبيلا الى الانعتاق ، ووسيلة الى الخلاص من شرور المجتمع ، وفيه خير عميم له ، وفيه مساواة وتكافؤ . وهذا ما كان يتوق اليه الشاعر ويسعى لتحقيقه .

ج — الخلـــــود :

وماذا وراء الموت ؟

وكيف يخلد الانسان عند فوزى ؟ لا نرى عند الشاعر اى مبدأ فكرى للخلود الاخروى كما هو مفهوم في الاديان السماوية ، وانما فكرة الخلود عنده مرهونة بما يترك الانسان من ذكر حسن من بعد موته من ناحية ، وما يخلفه من اثر ابداعي من ناحية اخرى . يقول فوزى :

انما المرء خالد بالـــــــذى يبقيه في العالمين من آثـــاره

كم توارى القبور حيـــا وكـــــم يمشي على الارض ميت لم تـــواره (١)

فالانسان خالد بآثاره ، وبما يترك من ذكر وعمل . فأذا الخلود في الاثر هو بداية خلود ابعد مدى اذ يظل الاثر مرتبطا باذهان الناس بالذين اجترحوه عبر العصور ، في سلسلة حلقات التاريخ البشرى . ومن حيث ان الاثر يخلد الانسان فأن ذلك واضح لدى عدد من الادبـــاء الذين خلدوا بعد موتهم ويجلهم الناس ويكبرون اثارهم :

هو خالد بعد الممات مكـــرم   وقضى الحياة وكان غير مكـــرم (٢)

وفي مكان آخر يقول :

حيّ لعمرك من يموت وذكـــره   ملء الحياة مرافقا اجيالهـــا

سر الخلود مآثر تبقيـــى اذا   شدت سنوك الرحيل رحالهـــا (٣)

ولقد رأى الشاعر ابان حياته ان العظيم هو من ترك اثرا في الحياة يفيض خيرا ، وساهم في تقدم الحضارة عن اى سبيل ، فكريا كان ام ماديا ام اجتماعيا ام صناعيا . المهم ان يكون قد ترك اثرا صالحا يرويه الاباء للابناء والاحفاد ، ويكون مثلا يحتذى به :

وابسم وحيّ مكرميك وقل لهـــم   " هذى حياتي فاقتفوا اعمالها " (٤)

اما الخلود الحقيقي في مفهوم فوزى فهو خلود الشاعر عبر فنه :

ايه يا موت ، لن تمسّ خلودى   فاقض ما شئت لست وحدك تقضـي

---

(١) الملحق : ٢٤ .
(٢) الملحق : ٢٥ .
(٣) الملحق : ٢١ .
(٤) الملحق : ٢١ .

واذا كنت مالكا امر روحي مثلما انت مالك امر نبضي
فانا خالد بشعري على رغم زمان عن قيمة الشعر يغضي (١)

فالشعر هو الخلود ، لانه تجسيد لذات الشاعر . اولم يكن الفن سبيل الانعتاق والحرية ؟ فقيمة هذا الشعر تصبح في تحقيقه لذاته ، وفي تحريره ، وفي هذا التحقيق خلود . فشعره هو ذاته .

اما الخلود الروحي ، فذلك ظاهر في ملحمته على بساط الريح ، ولا سيما في نشيد عالم الارواح . فالنفس خالدة ، وتلك ترتقب نظائرها المتحررة حيث ترجع الى جوهرها . يقول فوزي :

ذاك شأني بالجسم في الارض لكن جوهري في مصيره غير عرضي (٢)

فالنفس جوهر ، ومن هنا خلودها الابدي . ولكنه خلود " يختلف اختلافا كليا عن الذي يفهمه الكهنة المسيحيون وينادي به اللاهوتيون الكاثوليكيون . فأن هؤلاء يسكنون النفس دار النعيم ، اي محيط الرب الاوحد ..... اما المعلوف فيعطي ذاته مرتعا عالم الارواح ، مستقلة عن نفوذ الالوهة . وهذا العالم الذي يتغنى به الشعراء وتؤمن به مخيلاتهم ، ..... لا يحاكم النفس بجريرة المادة التي كانت متلبسة بها بل يطلق لها عنانها بعد الانفلات ، ويريدها تنعم بكل ما يروق لطبيعتها الطاهرة " (٣) .

وهذه نتيجة حتمية لمفهوم فوزي بأن الانسان لم يأت الى العالم باختياره ، فما ذنبه اذا دنست المادة طهارة النفس ؟ .

وهناك مظهر اخير من مظاهر الخلود عند فوزي يتعلق بمفهوم وحدة الحياة . يقول فوزي :

قد حيينا قبل الولادة لكن . بجدود قضوا كما سوف نقضي
وسنحيا بعد الردى ببنينا في كيان نعطيه بعضا لبعض (٤)

وهذا موقف رومنطيقي اذ ان الرومنطيقية ، كما بينا ، تؤمن بوحدة الحياة ، بل بالحلولية ايضا . ولعل في مفهوم فوزي هذا شيئا من الميل الى فكرة التقمص ، اذ اننا نقرأ في موضع آخر ،

---

(١) ديوان فوزي المعلوف : ١٢٢ .
(٢) المصدر السابق : ١٢٢ .
(٣) المكشوف — هل كان فوزي المعلوف يؤمن بالتقمص ؟ مقال لخليل بركات — س٣ ، ع١١٥ ، ٢٩ ايلول ١٩٣٧ : ٧ .
(٤) ديوان فوزي المعلوف : ١٢٢ .

في مقال كتبه عن الاديب البرتغالي ملبا طحان ما نصّه :

" ومن يدرى فقد يكون ولد بدويا صحيحا ولكن في حياة سابقة ، وكم في هذا الكون من اسرار لا ندركها . وهكذا يكون قد زار بغداد فاستنزل الحكمة من قصورها .... "(١)

لهذا لا عجب اذا تولد في نفوسنا بعض الميل الى الاعتقاد بأن في شعر فوزى ملمحاً لهذا الاتجاه ، وان لم يكن على عمق كما نراه عند نعيمة وجبران . على كل ، فأن هذا الاتجاه يدخل في باب الخلود لان فيه استمرارا للحياة في العالمين الارضي والروحي .

* * *

---

(١) مجلة الشرق البرازيلية ، س٢ (١٩٣٠) ، ع٤٢ : ١ ـ ٢ .

الخلاصـــــــــــة

ينتمي فوزى المعلوف الى جيل الشعراء الناشئين في الحرب العالمية الاولى الذين شهدوا ويلاتها ، فتركت اثارها في نفوسهم ، واحسوا بمأساة الانسان الذى قاسى من الواقع المفعم بالاحزان والاوجاع ، وخيبة الامل المريرة ، والشعور بالضياع ، في عالم يحس فيه الشاعر انه غريب . ولم يكن فوزى منعزلا عن احداث امتــه او منطويا على ذاته ، بل كان يتأثر بها فتبدوا مظاهر هذا التأثر في نتاجه .

فعلى صعيد النثر ، ألف فوزى مسرحية " ابن حامد " في وقت كانت الهزات السياسية والحـــروب تعصف بالبلاد . وكان العالم العربي بمختلف اتجاهاته وتياراته يسعى للتحرر من استبداد الحكم التركـــي . وكأنما اراد فوزى في مسرحيته التاريخية هذه ، التي تقوم على الصراع بين العرب والاسبان ، ان يرسم انعكـــاس هذا الصراع بين العرب والاتراك باعتقاد ، موضوع المسرحية . وكأن فوزى حين كشف عن مواطن الضعف في شخصية السلطان ابي عبد الله يحاول ان يشير الى ادواء العالم العربي التي تنخر في كيانه من اهمال ، وجهل ، وانسياق وراء المصلحة الفردية ، وتعصب . ولعل احساس فوزى بالواقع المرير ، والحالة التي تردى اليها المجتمع العربـي ، وشعوره القومي ، وحبه لوطنه ، حفزته جميعا على انتاج هذا الاثر الادبي ، مستمدا من التاريخ العربي احداثــه وشخصياته . فكانت شخصية ابن حامد التي هي تجسيد لشخصية موسى بن ابي غسان التاريخية الواردة فـــي تذييل رواية آخر بني سراج ، المثال الذى كان يتراءى في ذهن المؤلف ، اذ كانت شخصية ابن حامد امتـــدادا وجدانيا لشخصية الشاعر الساعية نحو المثالية .

وكأنما كان فوزى " مغلولا " في تصوير شخصياته التاريخية فلم يستطع ان تطورها ، بل ظلت شخصيات افقية عبر فصول المسرحية ، على عكس ما تبدى لنا في شخصية علي التي ابتدعها خيال الشاعر لتكون رمزا للشر . فكانـت شخصية علي غنية بانفعالاتها ومشاعرها وتقلباتها ، بل كانت المحرك الاول لاحداث المسرحية ، بينما نلمح في دريـد صورة الفتاة المثالية التي كان الشاعر يتوق اليها . وهكذا نرى ان التاريخ فرض على فوزى نماذج معينة من الشخصيات لاقت صدى في نفسه فكان جهده ، محدودا في تطويرها ، في حين ان فوزى كان اكثر ابداعا وحرية في تطوير شخصياته اللاتاريخية التي ابتدعها .

والحقيقة ان فوزى حاول ان يجعل كلا من شخصياته تمثل ناحية معينة من الخير والشر ، فنجح في ذلك .

ولقد عرض علينا المؤلف عقدة القصة منذ بداية الفصل الاول . وهي عقدة الصراع بين الحب والواجـــب . وطور هذه العقدة ، ومن خلالها كشف لنا عن شخصيات مسرحيته ، حتى اذا ما بلغنا الفصل الثالث نرى ان العقدة قد وصلت ذروتها في حبك المؤامرة على ابن حامد وتنفيذها ، ثم اتهامه بالخيانة . وكان الحل في موت ابن حامـد وجنون دريد وموتها واعتراف علي بما جنت يداه ، وسقوط غرناطة تحت حكم الاسبان .

اما بنية المسرحية فقد كانت متماسكة اجمالا الا ما لمسناه من تطويل في بعض المواقف كما في الفصل الاول والمشهد الثاني والثالث ، ومقدمة المشهد الثالث والرابع من الفصل الثالث ، وندب دريد في الفصل الاخير . الا

ان هذه الاستطرادات لم تخل في بنية المسرحية اخلالا خطيرا ، وان كانت تعيق نمو الحركة وتطورهـا بعض الشيء .

ان قيمة هذه المسرحية من بواكير انتاجه هي في تبيان مدى اهتمام فوزى باحداث العصر ووعيه لاهمية البناء الداخلي لكيان الامة ، كما انها تكشف عن موهبة اصيلة في الشاعر بالرغم من صغر سنه ، وعدم تمرسه في صناعة التأليف المسرحي .

ولكن مما لا شك فيه ان فوزى كان شاعرا اكثر منه مسرحيا ، اذ انه لم يخلف في المسرح غير هـذا الاثر ، وكان معظم جهده منصبا على الشعر . وقد ظهر لنا ان بعض شعره لم يكن في معزل عن واقـع مجتمعه ، وان ما عرضنا له من شعر وطني كان تعبيرا ، على الاغلب ، عن احتفاله بالاحداث التي تـدور حوله ، وعن مدى اهتمامه بتقدم وطنه وازدهاره ، دون ان يكون شديد الهوى الى منزع قومي بعينه ، ودون ان يتعامى عن اخطاء ابناء امته . ولعله في هذا يمثل موقف الطليعة الواعية من ابناء الوطن الذين لـم يتغافلوا عن حقيقة الادواء التي كانت تدب في جسم الامة . فكان فوزى مع امثاله من الشعراء يدعو الـى استئصال جرثومة الداء قبل ان يستفحل الشر ، وطلبا لانقاذ مصير وطنه .

ويستفاد ايضا ان موشور الرومنطيقية قد برز بمعظم صيغه في شعر فوزى ، على تفاوت في العمـق وغلبة العاطفة على الفكر . وذلك لان ثقافته الفلسفية ، على ما يستشف ، لم تتجاوز حدود تجربة الـذات والمواقف الفكرية العامة . وقد تسنى لنا ان نعرض لبعض الجوانب الفكرية على نحو ما تجلت في التفاتاتـه الشعرية . واعتبرنا ان هذا النمط الادبي قد غلب عليه الدفق الشعورى ، واللوحة الوصفية ، وان الغـور الفلسفي التأملي ليس المزية الملازمة له . فبرزت نظراته في موضوعاته ، كالحب والمرأة والطبيعة ، والانسان والمجتمع والموت من خلال مفاهيمه الرومنطيقية .

ولقد تبين لنا ايضا ان فوزى قد مرّ بمرحلتين : المرحلة الاولى هي المرحلة التي كان يلمح الوجود فيها من خلال نظرة ضيقة نزعت به منزعا قوميا محدودا . ونرى ذلك في شعره القومي او في مسرحية ابن حامد ، او نزعة وجدانية سطحية كما نرى في قصائده الغنائية في الحب والطبيعة . ولكن الشاعر عاد فانفتح علـى الحقل الانساني وتخطى الاعتبارات الجزئية الى حدود التأمل الانساني ، اذ وجد فيه اغوارا ابعد مـدى فاتجه نحو بعض التأملات الفكرية العامة . وقد اخذت البذور الفكرية الاولى في شعره صيغها التأمليـة الاخيرة في كتابه على بساط الريح .

غير ان الفكر عند فوزى قد انحصر اغلبه في بديهيات عقلية اولية ، اذ لم يتولد عن ازمة فكرية عقليـة كما هي الحال عند ابي العلاء المعرى ، وانما نتج عن ازمة شعورية مشربة بالمرارة . فاخضع انتاجه للتعبيـر عن شكاته واكتفى باللجوء الى عبراته واحلامه ، اذ ادرك ان الانسان عاجز عن الانعتاق من شر الجسـد وليس امامه الا الموت او الفن ، وهما مفازتان للنجاة . والحق يقال ان اللحظات التي انعتق فيها الشـاعر هي لحظات الانخطاف الفني حيث هي السبيل الاوحد للحرية ، خطفا ولماما ، من ربقة المادة . وهـذه

الهنيهات الشعرية المشرقة كانت بمثابة نوافذ يطل منها اطلالا خاطفا على الوجود الجديد وقد انطلق الشاعر من قيود المتناقضات المتولدة عن ثنائية بارزة في شعره ، مصدرها صدع عميق في الذات اثاره الفاجع الاليم ، ليجد ذاته الضائعة في المطلق .

ولقد اذكى الواقع توقه الى عالم روحي مثالي ، فاصطدم بالوجود المأساوى نظرا لوجود هذه المتناقضات وعدم قدرته على تذويبها في احدية منسجمة . ومن هنا جاء الالم ليكون ابرز مظاهر شعره التأملي المبنية على بديهيات فكرية .

ولقد كان اكمل تعبير عن هذه الحالة ملحمته على بساط الريح المتدرجة الصعود من واقع تعس الى طبقات عالم يرتقي فيه مدارج الذات حتى يبلغ عالم الروح فتفنى الثنائية ، وتسترجع الذات وحدتها بعد انعتاق النفس من سجن المادة .

ان الوحدة ظاهرة بارزة في هذه الملحمة وتطورها من الواقع المحسوس ، من عالم الحس والمادة ، الى عالم الروح ، وتدرجها طبقة اثر اخرى حيث تتحرر الذات بارتقائها شيئا فشيئا ، من اثقال الدنيا يتجاوب مع طبيعة الاشواق التي كانت تتأجج في وجدان الشاعر ، وفي سعيه نحو استرجاع وحدته بالتسامي نحو ذاته . فتتدرج تدرجا طبيعيا يتخطى القيود والعقبات ويعرض في كل مرحلة لقضايا متعلقة بواقع الانسان ، ينظر اليه من عل ، حتى اذا ما تخطى عقباته ارتفع الى عالم النجوم . وهذه مرحلة اخرى نحو تحقيق الذات . وهنا يلقي عنه بعض اثقاله وينطلق شبه حر متصاعدا حتى يبلغ عالم الارواح حيث يلتقي روحه ويحقق ذاته .

ان في هذا التدرج وحدة متكاملة بنى عليها ملحمته ، ترتقي بارتقاء خيال الشاعر وتألقه . ويستوقفنا بالاخص المنشيد السابع " قرب النجوم " الذى يقوم على مشهد النجوم حيث يدور بينها سمر وتقف من الشاعر موقف العداء لاعتقادها انه قد جاء عالمها مقتحما ومستعمرا بداعي مطامعه وكأنما الارض لا تكفيه ، وان نزعة الشر الكامنة فيه ، والتي سببت الويلات للجنس البشرى حتى استغل العقل في سبيل الدمار داعبت احلامه لاستعمار السماء . والحقيقة ان النجوم كانت تعبر عن موقف الشاعر من شر الانسان . وهنا يطلق الشاعر صرخة حزينة يبوح فيها للنجوم باحزانه وآلامه وسخطه على الوجود المادى ، وان مطلبه عالم مثالي خال من المتناقضات . ويرتقي خيال الشاعر خطوة اخيرة حيث تنضم اليه روحه الطاهرة فيذوبان معا في نشوة مطلقة تفنى فيها الثنائية ويتحرر من كل ما يشده الى المادة . وهذا الموقف الذى يتلاشى فيه كل صراع يخلو من الصور ويبلغ ذروة الفناء في جو ضبابي حالم تغمره السكينة . ولكن هذه الثنائية لا تلبث ان تبرز من جديد وهي اكثر عمقا واشد عنفا لدى عودة الشاعر الى عالم الارض ، على اعتبار ان الشعر او الفن كان سبيلا لخلاص مؤقت .

فاتضح اذا ان الشاعر في تدرجه المتصاعد كان يسعى الى الوحدة تتضافر فيها اشواقه لتستقر على غاية اخيرة : العودة الى وحدة الذات بعد خلاصه من عبودياته الارضية ومعانقة روحه الاثيرية . وفي هذا التدرج المتماسك تتكامل الاناشيد بتكامل المشاهد المفضية الى الغاية باعتبار ان كل مشهد منها يعرب عن موقف فكرى يقفه الشاعر من واقع المجتمع الانساني ومن نفسه الغريبة في هذا المجتمع .

اما من حيث الاداء الفني في الملحمة فنرى قوافي الدور تختلف عن قوافي بقية النشيد ، ونرجح ان فوزى قد اعتمد في هذه الاناشيد من حيث عدد ابياتها صيغة فن " السونيت " الفرنسي ، واضاف اليها دور . كما ان صياغة فوزى الفنية قد اكتملت فيها لما اولاها من عناية واهتمام .

ومع ان فوزى كان من قافلة المنادين بتحرير الشعر العربي من الجمود والتقليد لكي ينفتح على افاق جديدة ، ويواكب الحياة المتطورة ابدا ، فأنه لم يقطع صلته بالقديم وتراثه . فنرى ملامح من نفس ابي العلاء المعرى في شعره التأملي ، ونفثات من خواطر عمر الخيام في رباعياته . كما نتقرى تأثر فوزى بمطران وشوقي في بعض قصائده . اما المناخ المهجرى في نتاجه فابينه ما جاء في شعر الحنين والطبيعة والتأمل والحب .

وقصاراه ، فقد توفرت لفوزى ثقافات اربع هي : العربية والافرنسية والاسبانية والبرتغالية ، اطلع من خلالها على المفاهيم الادبية الجديدة وتأثر بها ، فكان احد ممثلي الحركة الرومنطيقية من شعراء ما بعد الحرب الكونية . كما ان مطولته هي احدى المطولات الشعرية البارزة التي ظهرت في الشعر العربي الحديث ، وحظيت بشهرة واسعة في الاوساط الادبية الاجنبية فترجمت الى عدة لغات .

وفي المهجر تبوأ فوزى مكانة مرموقة بين شعراء المهجر وادبائه ، وتسابقت الصحف على نشر نتاجه ، واحتفت به المحافل الادبية والنوادى فلقي من التشجيع ما لم يحظ به الا قلة من الشعراء هناك ، ولا سيما بين الفئة الداعية الى التجديد في الشعر . فكان من حيث هو حضور شعرى محط تقدير واعجاب لدى ابناء الجالية العربية وواحد من ممثليها في احتفالاتها الرسمية والادبية .

* * * *

فهـــرس المحتويـــات

ب ـ الدراسة التحليلية لشعر فوزى المعلوف .

١ ـ المـرأة .

٢ ـ الحـب .

٣ ـ الطبيعـة .

٤ ـ فوزى في شعره الوطني .

٥ ـ شعر فوزى التأملـي .

الخلاصـة :

فهـرس المحتويـات :

الملـحق :

المراجع والمصـادر :

* * * *

الملحـــــــــــــــــــــق

* هدية البرتقال * (١)

١٩١٤

كنت خضراء قبل ان صرت صفراء
وخلاً من قبل ان صرت خمرا

اتراه الغرام انحل عطفيك
وقطر الندى يهزك سكرا

ام رأيت اصفرار وجهي فأصباك
نحول بجانبيه استقرا

ليت شعري ذقت الغرام الذي بين
ضلوعي حتى تحولت صفرا

لم ينل منك ذا النحول قديما
يوم لم يجرح الهوى لك صدرا

عبثا تنكرين ذاك ففي قلبك
شاهدت" قرنة"هي " حمرا "

اتراها تكون حبة قلب
هي في قلبك المحب احرى

في سبيل الهوى مسيرك يا بنت
الندى ،وابسمي يسعدك بشرا

ليت حظا القاك بين يديها
يتولى قلبي فيفتر ثغرا

ان تكوني قميص يوسف عندي
فهي يعقوب قد اتته البشرى

* * * *

* قلب موجع * (٢)

١٩١٤

عجبا عيونك وهي تحت البرقع
جرحت فؤادي وهو بين الاضلع

وجمال وجهك بعد اول نظرة
لم يبق لي لهوى السوي من موضع

حب كتمت عن العيون وجوده
ولو انها علمت به لم تهجع

ما زلت اخفيه ويفضحه الضنى
ابدا فأطفيه بماء الادمع

والقلب مشتعل الجوانب خافق
يحيا الحياة بأنة المتوجع

* * * *

---

(١) مجلة الرسالة المخلصية ـ السنة الثالثة (١٩٥٧) ـ العدد ١١ : ٣٨
وهي في وصف هدية من البرتقال ارسلها اهل فتاة من قرنة الحمراء الى قريب له .

(٢) مجلة الادب وهي مجلة مخطوطة اصدرها فوزي المعلوف سنة ١٩١٤ ؛ صفحة ١٤ .

* من اشعار الحرب الكبرى * (١)

روح (هيكو) من السماء اطلي ... واحملي نسمة الى الاحياء
هم موتى النفوس ، موتى الاماني ... رغم ما في جسومهم من رواء
شارفي حالهم وقولي عزاء ... فعسى بالكلام بعض العزاء
وصفيهم يا روحه فلقد كنت ... على الارض حصّة البؤساء
نبذتهم اهل الدنى فعساها ... لبلاءهم ترق اهل السماء

. . .

كم فتاة كان الحياء حلاها ... قبل ان راودته كف الشقاء
تبذل العرض وهو جوهرة النفس ... — رخيصا حتى بجرعة ماء
وتنادي في ساحة الفحش والفسق ... — على ما بقي لها من حياء

* * * *

* الشباب * (٢)

اني عبدتك جاحدا ... ربي وما امر الكتاب
فاقضي عليّ ولا تبالي ... بالاله وبالعقاب
سيحين يوم فيه يرجعنا ... لعنصره التراب
فعسى يكون نصيب روحينا ... جهنم والعذاب
كي نلتقي فيها هناك ... سوية بعد الحساب
ونتوب عما قد مضى ... منا اذا قبل المتاب
اولا نجدد يا مناي ... هناك ايام الشباب

* * * *

---

(١) مجلة الاثار ـ السنة الرابعة (١٩٢٧) الجزء السادس : ٢٥١
(٢) مجلة الشرق البرازيلية ـ السنة الثامنة (١٩٣٥) العدد ١٢ : ٣

* ساعة البين *
١٩١٦ (١)

رويدا قطار الشؤم حتام تلتوي
وتنجد في عرض البلاد وتتهم

مكانك لا تنقل عن (الخط) قطعة
ولا تتحرك ان ذلك اسلم

سلبت التي كانت لقلبي نعمة
ونورا لعيني تجتليه فتنعم

فدعها فما لي غيرها وهي ما لها
سواي على ارضيها الحب يحكم

والا تصادمنا ومثلي في الهوى
على كل انواع المخاطر يقدم

فأن تحو من جيش الحديد عرمرما
فلي من غرامي جيش عزم عرمرم

وان كانت النيران فيك كثيرة
ففي اضلعي من نار وجدي جهنم

ضعتك عن سير فأن تخط خطوة
تجدني ليثا في الهوى ليس يقحم

له في لقا الاخطار عزم وهمة
ولكن لدى الالحاظ قلب مسلم

---

* انين * (٢)

الا فاكشفي عني الرداء وحدقي
بصدري تري ما لا ترى اعين الناس

ضلوع ولكن لاويات من الجوى
وقلب ولكن كالمدامة في الكاس

تحملها الايام ما لا تطيقه
وتسكبه الاشواق للشغف الحاسي

ولا تلمسي جسمي فجسمي شعلة
من النار لا صدرى سليم ولا راسي

اخاف على ورد بخديك ناضر
من الموت ان هبت على الخد انفاسي

واخشى على آس بكفيك زاهر
يشوهه من ملمسي الشائك القاسي

. . . .

انا الليل مسود الجوانح مرعب
وانت على بعد المزارة نبراسي

انا الحزن مرسوم ، انا السقم ظاهر
انا الحب مصدود انا الالم الراسي

انا العابد العاني ، انا هيكل الهوى
الم تسمعي من اضلعي صوت اجراس ؟

صلاتي اشعاري وانجيلي الهوى
ودمعي قرباني وذكراك قداسي

---

(١) البدوى الملثم – شاعر الطيارة : ٥٢

(٢) المصدر السابق : ٥٣

بلغت الى اقصى التعاسة في الجوى ... فحتّام هذا الدهر يطلب اتعاسي ؟
فيالي من روح تعذب ، ما جنى ... عليها سوى قلبي ورقة احساسي
وتالله لولا قوة لم تزل بها ... لارديتها خنقا بكفي من ياسي

---

* القفاز المفقود * (١)

عبرت به في الارض والثلج باسط ... عليه جناحيه النقيين كالطهر
وقد بثّ فيه البرد والثلج رعشة ... "كما انتفض العصفور بلله بالقطر"
فساءلته عمن رماه، فلم يحر ... جوابا ، بلى كان الجواب شذى العطر
تضوع منه في خلال نعومة ... ونعمة نمّت على ذلك السر
فلم يبق من ريب بأن التي رمت ... به (غادة) او ضاع منها ولم تدر
فيا لك قفازا طريحا على الثرى ... يعاني عذاب البرد والذل والهجر
نعمت بيمناها وكم لك قبلة ... على الثغر منها والغدائر والصدر
وكم مرة هبّت عليك بزفرة ... وكم مسحت دمعا على خدها يجري
الى ان قضى بالبعد دهري عليكما ... فلا حيلة فيما قضت حكمة الدهر
ولكن عزاء عن بياض يمينها ... بثلج حكاها بالبياض وبالنشر
ويهنيك ثلج عذّبتك ببرده ... فكم عذبت قلب المحب على جمر
لئن صحّ حسباني وكنت لغادة ... فيا سعد حظي منك باللمس والذكر
وان كنت يا قفاز ملك فتى فيا ... ضياع الذي انشدت فيك ، من الشعر

---

(١) البدوي الملثم — شاعر الطيارة : ٧٧

* يا ليل الوحل متى غده * (١)

١٩١٩

هل سيل يهدر جارفه ؟ … او بحر يزخر مزبده
او وحل يغطس عابره … للرأس وما من ينجده
لا ينفع (كالوش) فيه … و (الكتر) وما تتزوده
لم تهمله بلديتنا … حاشا ، حاشا ، ما اسرده
لكن نصبت فيه شركا … لفتى مثلي يتصيده
فكيف عن السهر المضني … ويريح الجسم ويرقده
ما ينسى لا ينسى ليل … مقطوب الحاجب اسوده
لا نور الشارع يخرقه … او نجم الافق يبدده
اسري فيه سير الاعمى … يستهدي اللمس فيرشده
وبرجلي (كالوش) لزج … يهوي في الوحل فأسنده
(كالوش) رجلي تزرعه … في الارض وكفي تحصده
والبرد يقضقض اضلاعي … ويدب بجسمي ابرده
ويعج حيالي مصطخبا … مطر ينهل معربده
فوقفت جزوعا مضطربا … استهدي الافق وارصده
ظلم حولي ، مطر فوقي … وحل تحتي اتوسده
وشرعت اغنّي من ولهي … " يا ليل الوحل متى غده "
من لي ، من لي ، بعصا موسى … فتقيني مما اشهده
واشق البحر واعبره … واقيم الوحل واقعده

* * * *

---

(١) البدوى الملثم _ شاعر الطيارة : ١٧ – ١٩

* ١٧ كانـون الاول * (١)
١٩١٩

والان يـا مـوت الـنّي اقـترب — يـا مرحبـا بالموثـق المعتـق
معتـق نفسـي من قيـود الاسى — موثـق جسمي فـي المدى الضيق
هـاك شبابا ناضرا فاحتسـب — وهـاك قلبـا نابضـا فاخنـق
لـم يبق لـي في الارض من بغية — ما الارض الا جنـة الاحمـق

. . . .

الناس ؟ ما فيهـم سـوى غـادر — مراوغ او مفسـد مقلـق
المـال ؟ ليس المـال عندي سوى — جرادة العيّـار والزئبـق
الشـعر ؟ بحـر كامـل وافـر — وليس يروي غلـة المستقي
السـيف ؟ (والفـرد) بطيـارة — اقـوى مـن الفرقـة والفيلـق
العلـم ؟ والكاسـب مـن معـول — خيـر مـن الكاسـب من مهرق
الحـب ؟ قـف يا موت واشفق على — قلبـي ودعـه لحظـة يخفـق
دع مقلتـي تبكي قبيـل النـوى — تبكـي على الورد ، على الزنبـق
تبكي على روض غـرام ذوى — ما فيـه مـن زاه ومـن ريّـق
لـي بغيـة قبل الردى ليتهـا — تمّت فلم آسـف ولـم افـرق
وتلـك ان المـح محبـوبتـي — فنحـن بعـد اليـوم لن نلتـقي

* * * *

---

(١) ذكرى فوزى المعلـوف : ١٣ .
نظمت هذه القصيدة بمناسبة ما نقلته الصحف عن نبوءة الفلكي الانكليزى بورتر الـذى انذر بخراب العالم وبفقدان جاذبية الكون وحدوث الطوفان والزلازل في ١٧ كانـون الاول سنة ١٩١٩ .

* الشبح الهائم * (١)

شبح هائم يرى الناس اشبا ... حا على الارض كلهم هائمينا

(منهم من يرى الحياة شقاء ... منهم من يرى الحياة فتونا)

شبح يكره النهار ويهوى ... الليل فالليل ملجأ اليائسينا

هائم شارد على الارض يبكيها ... ويبكي من فوقها يسرحونا

ينظر الناس يكثرون على الارض ... فيبكي لانهم يكثرونا

يتمنى نقض الزواج من الناس ... فلا يحبلون او يلدونا

يلعن الام تكثر النسل للرغبة ... في النسل ثم تشقي البنينا

تحمل الطفل في حشاها شهورا ... ثم تلقيه للعذاب سنينا

لا تكوني اصل البلاء لذاك ... الطفل يا ام وارحميه جنينا

انت ادرى بحسرة العيش اذ ... لاقيت من شقوة الحياة فنونا

ايها السائرون في الارض كبرا ... انتم للردى بها سائرونا

خففوا السير فالتعجل يدنيكم ... من القبر آه لو تعلمونا

ان كل الذى عليها ظلام ... في ظلام عليه تختبطونا

والقصور التي بنيتم على رمل ... فحتام فوقه تبنونا

هل رأيتم ورد الرياض صباحا ... فاتحا للندى اللطيف جفونا

ثم ابصرتموه تنثره الريح ... وتذويه ارجل العابرينا

ورأيتم غصن الشباب نضيرا ... باسما زاهيا ، فما وعيونا

ثم ابصرتموه تحت تراب ... الارض يختال فوقه السائرونا

. . . .

الم كلها الحياة فلا تضحك ... ثغرا الا لتبكي عيونا

* * * *

---

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LUF : 173

* آخر الشهر * (١)

١٩٢٠

مسكن فيه طابقان انيقان — وفي كل طابق غرفتان
شاهق مطلق لكل نسيم — ساكن فارغ من السكان
هو حتى من الغبار نظيف — الارض والزوايات والجدران
ومعد بكل ما فيه للايجار — هذا بأبخس الاثمان

. . . .

ذى جيوب في آخر الشهر امست — وهي خلو الا من الخفقان
يتمشى الشقاء فيها تمشي — الجوع في فارغ الحشا بأمان
واكف الافلاس تنسج فيها — عنكبوتا مكفنا للاماني
حبذا هذه النظافة عندى — فهي في مذهبي من الايمان

* * * *

* حنين * (٢)

اني انتظرت القمر — اشكو لـه امرى
فازددت لما ظهر — جمرا على جمر
هذا خيال الوطن — في وجنة البدر
سموه محوا ومن — سماه لم يدر

. . . .

هذى سفوح التلال — هذى اعاليها
هذى عيون الجبال — تجرى مآقيها
هذى ربوع الظبا — هذى مآويها
هذى ديار الصبا — يا ليتني فيها

. . . .

اهل الحمى والحمى — في ذمة الله
والصب يشكو الظما — والمرتجى لاه
كم ذا المحب اشتكى — للكوكب الزاهي
يتلو البكا بالبكا — والاه بالاه

. . . .

يا رب ان النوى — يستنزف العينا
بنا فلّح الهوى — ما اصعب البينا
ان كنت تأبى اللقا — ما بين جسمينا
فاجمع بروح التقى — في البدر رسمينا

* * * *

---

(١) AOUN , FAIEZ - FAWZI MA'LUF : 173

(٢) مجلة الكلمة ــ السنة الثانية عشرة (١٩٣٧) ــ العدد السادس : ٢٤٠

* عظمة المرأة * (١)

٧ تموز ١٩٢٠

سيداتي ، تجلة واحترام ... بهما طاب مبدأ وختام
موقفي موقف الهزار على الروض ... فحولي الزهور والاكمام
يصطبيني عبيرها لا بهاها ... فأغني ما شاء لي الالهام
فسلام لكنه للمزايا ... فيك لا للجمال هذا السلام
لا احيي القوام فيك رشيقا ... حومت حول غصنه الاحلام
لا ولا العين تملاء النفس سكرا ... حيث لا كاس عندها او مدام
والجبين الزاهي يداعبه الشعر ... فحينا فجر وحينا ظلام
بل احيي حسنا احب واسمى ... يخشع الفكر عنده والهام
هو حسن في النفس يخلد اذ ... يذوى جبين ويستحيل قوام
هو عزم ودربة وشعور ... وحنو وعفة وغرام

. . . .

انكر الجاحدون نعماك ظلما ... وجحود النعمى لعمري حرام
زعموا انك الضعيفة بالعقل ... وقالوا ما شاءت الاوهام
وعزوا في الحياة كل بلاء ... لك ما ردهم نهي او ذمام
اى ، وربي جاروا عليك كثيرا ... ولكم برحت بك الا لام
فأذا جردت لتحقيرك الاقلام ... يوما فلتكسر الاقلام
واذا استعمل البيان لطعن ... فيك لا كان نثره والنظام
منك امي ومنك اختي وحسناء ... فؤادي بحبها مستهام
انت حصن الهناء يرتاح فيه ... الشيخ والكهل والفتى والغلام
كنت كالبلبل الذي اسكنوه ... قفصا لا يطيب فيه مقام
ثم قالوا له تغن فلم يملك ... كلاما وكيف يأتي الكلام
اترى البلبل السجين يغني ... وهو في اثقل القيود يضام ؟

. . . .

---

(١) المورد الصافي ـ المجلد الخامس عشر (١٩٣٠) ـ الجزء الثاني : ١٩٣ (عن مخطوطة القيت في المنتدى النسائي بدمشق .

كنت كالوردة التي وضعوها   في محيط ما فيه الا الظلام

ثم قالوا لها انشري العطر في الكون   ولما لم تنشر العطر لاموا

اتفوح الورود والماء ممنوع   عليها والنور والابتسام

صنما كنت فيه يعبد جسم   لا صفات وزينة لا احتشام

كان هذا ولا تزال الى اليوم   من البعض تعبد الاصنام

ليت شعري، وهكذا هم ارادوا   ان تكوني فهل عليك ملام ؟

. . . .

أطلقوها من القيود ترفرف   فيرفرف على الحياة السلام

اكرموها وقدسوا النفس فيها   فجدير بمثلها الاكرام

هذبوها على قويم المبادي   فهي فينا للمكرمات قوام

علموها العلم الصحيح فتبدي   لكم ما جهلتم الايام

افيرجى النجاح للشعب والمرأة   فيه ذل العبيد تسام ؟

واذا لم تك النساء عظيمات   فهل ينبغ البنون العظام ؟

واذا لم يكن بها كرم النفس   فهل يرتجى الرجال الكرام ؟

واذا لم تكن مزيتها الهمة   توحي بها فأين الهمام ؟

لا يكون البنفسج الغض من شوك   ولا ينبت الوشيج الخزام

كل هذا ولا نريدك تمشي   بك نحو المناصب الاقدام

. . . .

لك عرش وللسلاطين عرش   ولك المجد مثلهم والمقام

لك من هيبة الحياء جلال   لم تحزه القضاة والحكام

لك من طرفك الكحيل سلاح   دونه بندقية وحسام

ان نحب النساء مرتقيات   فاضلات يصدى لها الاعظام

لا نحب النساء مسترجلات   يخلف اللين عندها الاقدام

* * * *

* القلب الضال * (١)

* ١٩٢٠ *

اضل خيالك عن مضجعي ؟	فطار بقلبي ولم يرجع
الم فلم يرو لي غلة	وراح فلم يبق من مطمع
تحملت وقع النوى والصدود	لو ان فؤادي باق معي
ولكنه نام في مقلتيك	على مضجع بلّ بالادمع
وقد كان قبلا على شفتيك	يتمتم تمتمة المولع
تشبث بالثغر فهو عليه	كطفل تشبث بالمرضع
فماذا ترشف من مرشفيك	فأصبح من سكره لا يعي ؟
اراه هنالك بين الجفون	فلا تنكريه ولا تدعي
فرعشته داعبت ناظري	ونبضته غازلت مسمعي
فبالله ردي عليّ فؤادي	فقد اوحشت بعده اضلعي
وان ضلّ عني فنار ضلوعي	تريه مكاني من مضجعي
وسيل دموعي يقود خطاه	فأنى رأى السيل يهرع

* * * *

* الى دانونزيو * (٢)

* ١٩٢٠ * *

رب المهند والقلم	نام الجنود فقم ونم
اوت السيوف الى الغمود	فكيف سيفك انت لم
وعنا الضعيف لحكم دهر	لا مرد لما حكم
فالام يستهويك ما	تدعوه حقا مهتضم
والحق كل الحق وقف	للقوى وان ظلم
اما الضعيف فضيمه	حل وحرمته حرم
خل السياسة عنك لا	اسفا عليها او ندم
وارجع الى نظم القريض	وانت ابلغ من نظم
طال اعتناقك للحسام	وطال هجرك للقلم
اين الصليل من السرير	على التفاوت في النغم

---

(١) مجلة الشرق البرازيلية ـ السنة الرابعة (١٩٣١) العدد الخامس والسادس : ٣

* AOUN , FAIEZ - FAWZI MA'LUF : 167

(٢) الاسود ، ابراهيم ـ تنوير الاذهان ـ الجزء الثالث : ٤٠٧

** AOUN , FAIEZ - FAWZI MA'LUF : 167

اولـــيس سفك الحبـر اقـــوى ‏ ‏ نشوة من سفـــك دم
والنثر يلعب بالنفــــــوس ‏ ‏ الذ من نثر اللمـــم
واحب من تنظيم جيــــــش ‏ ‏ الحرب تنظيم الحكـــم

* * *

* شـــذرات *

كل هذى الحيـــاة وهم وهـــذا الرســـم ‏ ‏ وهم وما انا غير وهـــم
غير ان الرسوم تبقى طويـــلا ‏ ‏ وانا امحي بروحي وجسمي (1)

* *

امرى عجيـب ـ بيـن الامــم ‏ ‏ اني اميل ـ القى المحـن
انا الغريب ـ فـلا علـم ‏ ‏ ولا قبيل ـ ولا وطـن (2)

* *

وعرب فوزى قولا لبلزاك

قد يذهب القلب الخلي من النفور الى الهيام
لكن اذا رجع النفور فلا رجوع الى الغـــرام (3)

* *

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف : ٥١ .

(٢) المصدر السابق : ٣١ .

(٣) مجلة الاثار ـ المجلد الخامس (١٩٢٨) الجزء الاول : ٥٤ .

* الـــفردوس المســـتعاد * (١)

١٩٢١ *

١ ــ بعد عصيـان امنـا وابينــا	لــــــلالـــــه (٢)
٢ ــ بعد عام مضى مضيّ السنينــا	ببــــــــــــلاه
٣ ــ صرفاه يســـتنديان الجفونــا	والجبـــــــــــاه (٣)
٤ ــ هو يشــقى كذا ، وتبكي شجونــا	لشـــــــــــقاه

. . .

٥ ــ جلســا ، والمساء يسكـب سحرا	وجمـــــــــــال
٦ ــ وشعاع الاصيـل يشبه تبــرا	فــي جبـــــال (٤)
٧ ــ يريان الآمال تدرج تتـــرى	للـــــــــزوال
٨ ــ مع شمس تودع الارض ســـكرى	بالـــــــــدلال

. . .

٩ ــ جلسـا ، آدم وحواء ، يحـــزن	يبكيـــــــــان
١٠ ــ يبكيان الحياة من بعد عـدن	والجنــــــــان
١١ ــ ضيعاها ، فما الندامة تغنــي	والحنــــــــان
١٢ ــ كان ما كان ، هل يعيد التمني	فعــل كـــــان ؟

. . .

١٣ ــ ثم جاء الدجى وراح وولـــى	فـــــــــأراح (٥)
١٤ ــ واذا بالصباح يحمل طفـــلا	كالصبـــــــاح
١٥ ــ باهر الحسن ، بالبكاء استهــلا	والصيـــــــاح
١٦ ــ حوّل الحزن بهجة ، حيث حــلا	حيـــــن لاح (٦)

AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 167 . *

(١) مجلة الكتاب ــ المجلد الخامس ــ السنة الثالثة (١٩٤٨) ج ٣ : ٤٤٩ .

(٢) الابيات التالية جاءت في مناهل الادب العربي (٥٣) ــ فوزي المعلوف : ٢٦ كما يلي :

٣ ــ قضياه يستنديان العيونــا	والجبـــــــاه
٤ ــ وكأن الذي على الافق تبــرا	فــي جبــــال
٥ ــ ثم جاء الليل البهيم وولــى	فـــــــأراح
٦ ــ حوّل الحزن بهجة حين حلا	حيـــــن لاح

١٧ – يا لها ساعة على ابويـــه ... شـــاهديهـا
١٨ – حين ادنت حواء من شفتيــه ... شفتيهـــا
١٩ – ومشى آدم طروبا اليـــه ... واليهـــا
٢٠ – لاثما من فرط السرور يديــه ... ويديهـــا (١)

. . .

٢١ – نسيا ماضي العذاب بعـــام ... مـــر مـــرا
٢٢ – والصفا عاد مع ملاك ســلام ... كـــان ســـرا
٢٣ – فانحنى آدم لـرب الانـــام ... شـــم خـــرا
٢٤ – ساجدا ، قائلا بكل احتـرام : ... رب ، شـــكرا

. . .

٢٥ – ثم الوى يتلوعلـــى حـــواء ... بابتســـام : (٢)
٢٦ – كفكفي الدمع ،ابشري بالصفـاء ... والســـلام
٢٧ – لم يعد موجبلماضـي البكـاء ... والمـــلام
٢٨ – استعدنا الفردوس بالابنـاء ... بالغـــرام (٣)

. . .

٢٩ – ان تكن عدن ضيعت من يديا ... بخطـــاك
٣٠ – فلقد عوّض الالـــه عليـــا ... بهـــواك
٣١ – انت اسمى حسنا واعطر ريـــا ... يـــا ملاكـــي
٣٢ – وبهاء الفردوس،ما زال حيـــا ... فـــي بهـــاك

. . .

٣٣ – لك لون الورود في الوجنـات ... اجتليـــه
٣٤ – وعبير النسيم في الزفـــرات ... احتسيـــه
٣٥ – وغناء الطيور في الكلمـــات ... اصطفيـــه (٤)
٣٦ – لك قلب ، مجموع سرّ الحياة ... هـــو فيـــه

الأبيات التالية جاءت في المناهل كما يلي :

١ – لاثما من سروره ليديـــه ... ويديهـــا
٢ – قال ايضا لزوجه حـــواء ... بابتســـام
٣ – استعدنا الفردوس بالابناء ... بالهيـــام
٤ – وغناء الطيور في الكلمـات ... التقيـــه

٣٧ ـ فيك تنمو روحي ، وانت مقيمـــه	طـــي قلبــــــــــي (١)
٣٨ ـ ما فقدنا فرد وسنا ونعيمـــه	لا ، وربـــــــــي
٣٩ ـ هو حيّ فينا وهاك رسومـــه	عنـــه تنبـــــــي :
٤٠ ـ هو فيّ الهوى وفيك الامومـــه	وهـــي حســـــبي

• • •

٤١ ـ تحضن الحب في حشاك شهـــورا	ليكونـــــــــا (٢)
٤٢ ـ شعلة في عناقنا فبـــــذ ورا	فجنينـــــــا
٤٣ ـ فتمد ينه حياة ، شعـــــورا	وفتونـــــــا
٤٤ ـ ثم تلقينه وليدا صغيـــــرا	للسنينـــــــا

• • •

٤٥ ـ فيك يلقى الوليد اما بحبـــه	تتفانـــــــى
٤٦ ـ تسكب الروح بالحليب لشربـــه	والحنانـــــا
٤٧ ـ وتبث الصلاح د وما بقلبـــه	لا الهوانـــــا
٤٨ ـ فيرى نورها يضيء بقربـــه	حيـــث كانـــا

• • •

٤٩ ـ يا لها من امومة للخلـــود	هـــي ترمـــــي
٥٠ ـ ان فيها سرّ البقا والوجـــود	طـــيّ جســـــم
٥١ ـ وبها شاء ربنا ان تعيـــد ى	في الورى اســـمي
٥٢ ـ ايه ، طوباك عند قول الوليد :	انـــت امـــــي *

* * *

---

(١) جاء هذا البيت في المنهل كما يلي :

فيك تنمو روحي ، وانت مقيمـــه   ضمـــن قلبــــــي

(٢) الابيات من ٤١ ـ ٤٤ غير واردة في المنهل .

* يبدو من دراسة عون ان القصيدة اصلا كانت ٤٨ بيتا (١٧٥) وما طرأ عليها من تغيير كان مبعثه التنقيح الذى اجراه فوزى على الارجح .

* الشـــــاعر * (١)

١٩٢١

يا له في الرجال من رجـــل	خافق القلب ساهد المقل
يلعب الوجد في جوانحـه	لعب ريح هبت على شعل

. . . . .

رق روحا ورق عاطفـة	منهما فيه علة العلل
علم الماء ان يئن كما	لقن الطير نوحة الثكل

. . . . .

يعشق الحسن فهو خمرته	وهو منها كالشارب الثمل
يتغنى بالشعر مبتسما	ويغني للاعين النجل

. . . . .

ذاع في الكون صيته وغدا	شعره فيه مضرب المثل
مع هذا ما زال ممتهن القدر	رهن الشقاء والفشل

. . . . .

غاص في ابحر القريض فمن	كامل وافر الى رمل
ابحر رحبة العباب ولم	يغنه ما بها عن الوشل

. . . . .

كم بيوت بنت قريحته	بالمعاني تزهو وبالجمل
ظن فيها الغنى فما قدر	ان تقيه نوما على السبل

. . . . .

البس الطرس من خواطره	حللا وهو معدم الحلل
وتراه صفر اليدين وكم	نظمت كفه عقود حلي

. . . . .

اسكر الناس وهو بينهم	فاقد الزهو خائب الامل
هم يتلون آه من طرب	وهو يتلو آه من الملل

. . . . .

ان هذا — وانت تعرفه —	شاعر الامس ، شاعر الا زل
كان اشقى الورى بحالته	وسيبقى كذا ولم يزل

. . . . .

هو "اعشى" ينوح مكتئبا	" وزهير " يشدو على الجمل
هو " قيس " يجن من وله	" وابن حجر " يبكي على الطلل

. . . . .

حكم الدهر ان نماشيه	فلك البعض من شقاه ولي ..
في زمان يردى النبوغ ولا	فرق بالشعر فيه والزجل

. . . . .

---

(١) مجلة الرسالة المخلصية — السنة الثالثة (١٩٥٧) عدد ١١ : ٤٤ — ٤٥

شقيت حالة الاديب فهما　　　انا اجفو طرسي الى اجل
قل لي " يا حليم "[(١)] من لهف　　　دولة الشعر اتعس الدول

* * * *

* انت وانا * (٢)

ان تسألي عني فهما　　　عني الصحيح من الخبر
روح معذبة يقلبها　　　الغرام على سقر
تأبى التقيد في الضلوع　　　وترفض الدنيا مقر
فتطير في جو الخيال　　　وتهيم فيه بلا ضجر
تستشرف الدنيا فتمقتها　　　وفي الدنيا عبر
وتفضل الافق الجميل　　　على البسيطة والبشر
تهوى الظلام تهيم فيه　　　وكم يلذ لها السهر
والحب اجمل ما يكون　　　اذا تخلله الكدر

. . . .

اوتسأليني عنك قلت　　　وهل ترى يخفى القمر
روح ارق من النسيم　　　اذا نسيم الفجر مر
خلقت من الاحلام لا　　　من نفحة الله الابر
وضعت بجسم ليس من　　　طين ولكن من درر
اما عيونك فهي في　　　كل القلوب لها اثر
حوت العذوبة والقساوة　　　والامان مع الخطر
والكهرباء بها ولا　　　سلك سوى سلك النظر

. . . .

اما فؤادك فهو طير　　　من جنان الخلد فر
يشدو اناشيد الغرام　　　فيحسد الاذن البصر
ويهيم في قفص العظام　　　كأنه بين الشجر
فيه الاماني والعذاب　　　فما الذ وما امر
اما حديثك فهو ما　　　همس النسيم الى الزهر
يسرى به السحر الحلال　　　الى المسامع والفكر
لو انه شيء تراه　　　عيوننا لرأت درر

. . . .

اما جمالك فهو حسن　　　البدو في زى الحضر
خط الغرام بدائع　　　الايات فيه والسور
فالجيد فيه آية　　　الله اكبر يا بشر

---

(١) هو حليم دموس الشاعر ابن زحله .

(٢) مجلة المعارف ـ السنة الرابعة (١٩٢١) ـ العدد الخامس : ٣٨٢

وعلى اليدين مسطر ... طوع البنان وما امر
وعلى الغدائر والجبين: ... هنا الدجى وهنا السحر
وعلى العيون الناعسات: ... هنا القضاء وهنا القدر
وعلى الفم المعسول: دون ... الشهد لسعات الابر
وعلى ورد الخدود: دون ... الورد شوك ذو خطر
وعلى الجفون: حذار كونوا ... من ظباى على حذر
وعلى بياض الصدر: فاز ... بما ابتغاه من صبر

. . . .

هذا الذى شاهدته ... والله يعلم ما استتر

* * * *

* يا ليتني * (١)

اعيدوا على مسمعي ذكرها ... فأني بذكر اسمها اسكر
فتعرف طعم المنام جفوني ... ويكفي جفوني ما تسهر
عسى طيفها ان يزور فراشي ... فأكرم مثواه ما اقدر
واحجزه في نطاق الضلوع ... على عرش قلبي فلا يدبر
ايا ليتني نسم خاطر ... على غير شعرك لا يخطر
يقبله بشفاه الاثير ... ولا تدركين الذى يضمر
ويا ليتني طائر هازج ... على غير قدك لا يظهر
يصعد زفرات صدرى عليه ... ولا تعرفين الذى يزفر
ويا ليتني زهرة في الزهور ... يقبلها فمك الاحمر
فلا تفهمين بأني فيها ... على غير كفيك لا ازهر
ويا ليتني في الندى قطرة ... على غير خدك لا تقطر
فلا تشعرين بروحي عليها ... يقطرها الشغف المسعر
لعمرك هذى مناى وهذا ... غرامي وهذا الذى اشعر
وهل تشعرين ببعض الذى بي ؟ ... وهل تذكرين كما اذكر ؟

* * * *

---

(١) مجلة المعارف ـ السنة الخامسة (١٩٢٢) ـ العدد الاول والثاني : ٤٦

* في الحياة وبعد الموت * (١)

١٩٢٢

عج بالقبور وقف هناك وسلم ... واخشع فأنت امام اعظم مأتم
تلك القبور وهل وطئت ترابها ... الا على قوم هنالك نوم
حالوا ترابا في التراب فأصبحت ... عظم الحياة بهم هياكل اعظم
وتكافأوا بعد الممات الا ترى ... رب القصور مع الضعيف المعدم
يا للقبور وعندها اجتمعت معا ... غصص السعيد وراحة المتألم
سكنت جوانبها وحوّم فوقها ... ملك الخلود بوجهه المتبسم
يمشي واشباح الفناء محيطة ... بالراقدين على الاديم الاقتم
يجتازها قبرا فقبرا حاملا ... من عاطر الازهار كل منمنم
حتى اتى قبر الاديب مرحبا ... بميمّم يمشي لخير ميمم
هذى مكافأة الاديب وليتها ... قبل الممات لعاش عيشة منعم
هو خالد بعد الممات مكرم ... وقضى الحياة وكان غير مكرم
يشقى فلا يشكو ويحمل ضيمه ... حتى يبوح به اليراع عن الفم
فتكاد تبصر دمعه في حبره ... وتكاد تلمس ناره في المرقم
يا ويحه يشقى ليسعد قومه ... ونصيبه منهم نصيب المجرم
هو شمعة تجلو الظلام بنورها ... وتذوب بين بكا وتضرم
لم يجده القلم الذى في كفه ... شيئا سوى الم عليه محتم
لو رام خيرا لاستفز صريره ... كرم البخيل ورحمة المتحكم
واذا اراد الشر يبلغ غاية ... لا السيف يبلغها ولا سيل الدم
يا روح "انطون" الاديب تحية ... تهدى اليك مع النسيم ترحمي
بشراك اذ قدرتك قدرك امة ... هبت الى العلياء هبة ضيغم
عرفت مقام اديبها فأتت الى ... تكريمه ، انعم بذاك واكرم
واذا النوابغ عززوا في موطن ... بشر مغانيه بكل تقدم

* * * *

---

(١) ملحق مجلة السيدات والرجال . العدد الخاص بفرح انطون : ٥٥ ـ ٥٦ ، (١٩٢٢)

* امام وردة * (١)

وقفنا وفي نفسنا الحائرة   حديث جرى بين عين وعين
نحدق الى وردة ناضرة   مكللة برشاش اللجين
واعجبنا التبر في وجنتيها   يطوق در الندى في الجفون
كأنهما اثران عليها   للثم الصباح ودمع الدجون
فمدت اليها سليمى يديها   لتهصرها من صدور الغصون
فأرجعها الشوك عن جانبيها   وفي قلبها حسرة وشؤون
وكان نصيب اليد الجائرة   لقاء تطاولها وخزتين
وكان جزا الوردة العاطرة   من الهز خسرانها دمعتين

. . . .

فأطربني ما المّ بسلمى   ولكن اسفت على الدرتين
فقلت لها في دعاب نعمّا   فسنّ بسن وعين بعين
مددت اليدين تريدين اثما   فكان عقابك وخز اليدين
اجابت : هو الحب والحب اعمى   وكم جرّ ويلا على العاشقين

. . . .

اتشمت من عودتي خاسرة   على الرغم مني بخفي حنين
فقلت فديتك من نافرة   فأين الشماتة مني ايـن ؟
جنيت عليها ولم تجن ذنبا   سوى انها ذات حسن وطيب
وقمت تسمين ذلك حبا   اشرط المحبة قتل الحبيب ؟
لك الله من بنت حواء قلبا   له في الهوى كل امر عجيب
يقرب صبا فيبعد صبا   فيدني البعيد فيقصي القريب

. . . .

فنصبح في لجة زاخرة   يقلبنا موجها بين بين
ونحرم ثمت في الاخرة   وفي الارض من لذة الراحتين

. . . .

فقالت : هنا عبرة بعد ذكرى   نسبتهما لذوات الدلال
فهاك من العبر الغر اخرى   تريك جليا شرور الرجال
فكم غادة تشبه الورد عطرا   تزين الطهارة فيها الجمال
راها فتى تملاء العين سحرا   فمنته اماليه بالوصال

. . . .

فمدّ الى الغادة السافرة   يديه ليمسكها باليدين
فصدته عفتها القاهرة   كما صد شوك عن الوردتين

. . . .

ولكنه لم يزل عاملا   الى ان تملك من ضعفها
وهل تدفع الزهرة الذابلا   اذا ما تصدى الى قطفها

---

(١) مجلة الشرق البرازيلية ـ السنة السابعة (١٩٣٤) عدد ١٦ : ١١

فروى منى القلب مما حلا ... له من بهاها ومن عرفها
الى ان غدا حسنها ذابلا ... فصدّ وجدّت الى حتفها

. . . .

وقى الله انفسنا الطاهرة ... هوى فاسق القلب والمقلتين
وطوق اميالنا الثائرة ... بشوك العفاف عن الجانبين

* * * *

* من مرثية نعمه يافث * (١)

١٩٢٣

كم تحت هذى الارض من ميت ثوى ... متفيئا هو والخلود ظلالها
وعلى اديم الارض من حي مشى ... اولى به ان يدفنوه خلالها
حي لعمرك من يموت وذكره ... ملء الحياة مرافقا اجيالها
والميت من الف الخمول وذله ... فيزول اذ تمضي الحياة زوالها
سر الخلود مآثر تبقى اذا ... شدّت سفوك الرحيل رحالها
واذا تفاضلت الرجال فما الغنى ... فضل ولا هو موجب ادلالها
كلا ولا النسب الكريم بنافع ... ان لم يكن حسب الرجال فعالها
لا خير في نعم رفلت بثوبها ... ان لم تفد منها الحياة وآلها
نم يا كبير مهاجرى براحة ... واترك حياتك لا عليها ولا لها
وابسم وحي مكرميك وقل لهم ... " هذى حياتي فاقتفوا اعمالها "

* * * *

---

(١) الاسود ، ابراهيم ـ تنوير الاذهان ـ المجلد الثالث : ٤٠٧ ـ ٤٠٨

* اماني مهاجر * (١)

١٩٢٤

١ ـ لا المجد في الرض يرضيني ولا النشب ... ان لم يكن في بلادي المجد والنسب
٢ ـ ولا السعادة بين الناس تقنعني ... ان كان من حظ قومي الضيم والنصب
٣ ـ لي ما لهم ، وعليهم ما عليّ اذا ... صافاهم الصفو او نابتهم النوب
٤ ـ تالله ما البعد ينسيني مودتهم ... فالجسم مبتعد والقلب مقترب
٥ ـ ما انسى لا انسى يوم البين اذ وجمت ... منا القلوب وكم الالسن الرهب
٦ ـ لما وقفنا يلالي في محاجرنا ... دمع ويسطع في اكبادنا لهب
٧ ـ وشيعوني الى ان بنت فاحتجبت ... عني بوادر زهوى عند ما احتجبوا
٨ ـ ان كان لي قبل موتي في الدنى ارب ... فمنيتي في بلادي ذلك الارب

. . .

٩ ـ لولا طموح الى العلياء غرّبني ... ما كنت عن ربعهم والله اغترب
١٠ ـ انا الغريب فلا اهل ولا وطن ... اذا انتسبت امام الناس وانتسبوا
١١ ـ ولا لواء اذا دق النفير مشى ... يحميه من صيد قومي العسكر اللجب
١٢ ـ ومن يكون غريبا في مواطنه ... لا بدع ان انكرته الارض والشهب
١٣ ـ اطوى وقومي بلاد الله لا فشل ... يفت من عزمنا فيها ولا تعب
١٤ ـ كأننا شعب اسرائيل نضرب في ... تيه ونشرب بالكأس التي شربوا
١٥ ـ ضاقت بنا ارضنا وهي التي رحبت ... قدما وسال عليها الدر والذهب
١٦ ـ كانت وللوحي فيها كل منزلة ... وللمعارف فيها منهل عذب
١٧ ـ ما لي وللفخر بالماضي وقد درست ... اثاره ومحت اياته الحقب
١٨ ـ فليس يكسبني بين الورى نسبي ... فخرا اذا لم يزنه مني الحسب
١٩ ـ ما الفضل اني لا فضل ولا ادب ... وان زينة اهلي الفضل والادب
٢٠ ـ والفخر اما سمت بي للعلى رتب ... لا ان سمت بجدودي للعلى رتب
٢١ ـ كم بين قولك : كنا سادة نجبا ... وبين قولك : نحن السادة النجب
٢٢ ـ كنا وكنا ، فهل بعد الجدود لنا ... الا مفاخر حالت حالما ذهبوا
٢٣ ـ الناس نحو الترقي مشيها خبب ... ونحن نحو التلاشي مشينا خبب

---

(١) مجلة المعارف ـ السنة التاسعة (١٩٢٦) مجلد الجزء الثاني : ١٢٨ .
هذه القصيدة نشر قسم منها في الديوان فرأيت اوردها مع الملحق كاملة نظرا لانه حذف منها جزء كبير .

٢٤ — ابقت لنا كتب مجد الجدود فما / تبقى لاحفادنا من بعدنا كتب
٢٥ — صرنا وصار حمانا منزلا خربا / يدب في ساحه من دائنا العطب
٢٦ — تمضي القرون ولا يخليه مغتصب / الا ليحتله بالسيف مغتصب[(١)]
٢٧ — والجهل والدين والاهمال علته / وليس علته غاز ومنتدب
٢٨ — فينا الدواء وفينا الداء واعجبي / ونحن يأخذنا من حالنا العجب
٢٩ — فأن طمحنا الى العلياء نطلبها / فحقه الهدم ذاك المنزل الخرب
٣٠ — ايه بني وطني والناس قاطبة / لرفع اوطانها قامت لها اهب
٣١ — هبوا الى المجد ولننشيء لنا وطنا / قوامه العلم لا الهندية القضب[(٢)]
٣٢ — وليرفع العزم والاعمال سدته / فوق السماكين لا الاقوال والخطب
٣٣ — فلنحي قومية كانت لنا نسبا / يضم اشتاتنا ما فاتنا النسب
٣٤ — ومن يكون بلا قوم يدل بهم / فلا يشرفه دين ولا لقب
٣٥ — ديني لنفسي ولكن قبله وطني / ودينه الوفق والاخلاص لا الشغب
٣٦ — تالله لا نرتقي الا متى اتحدت / تلك المآذن في الاوطان والقبب
٣٧ — ولنكرم العلم ايا كان مصدره / فأنه للتآخي والعلى سبب
٣٨ — لا دين للعلم في الدنيا ولا وطن / فالعلم كالنور لم تحصر به ترب
٣٩ — ولتستعد لغة الضاد التي دعيت / ام اللغات شبابا بردها قشب
٤٠ — ان لم نكن كلنا في اصلنا عربا / فنحن تحت لواها كلنا عرب
٤١ — يا زائرا امتي في دار رغبتها / وحليك العلم والتهذيب والادب
٤٢ — متى بلغت بلادي وهي رابضة / بين الجبال يحليها الندى الرطب
٤٣ — والبحر دغدغ بالامواج شاطئها / وعانقتها عناق العاشق السحب
٤٤ — فقل لقومي وراء البحر جالية / تهفو اليهم وفي اشواقها عتب
٤٥ — تراهم رقدوا والدهر مرتقب / واهملوا امرهم والامر مضطرب
٤٦ — فليخدموا خدمة الاخلاص موطنهم / يروا جوالينا قامت بما يجب
٤٧ — ان فاتها هبة الاعمال نخدمهم / بها هنالك فالاموال ما تهب *

---

* الابيات التالية لم ترد في الديوان (٣٠): ١ — ٢٤، ٣٧، ٤٠ — ٤٧ .

(١) هذا البيت ورد فقط في الديوان (٣٠).

(٢) جاء هذا البيت في الاصل كما يلي:

هبوا الى المجد ولننشيء لنا وطنا / قوامه العلم لا الخطية القضب

* الشاعر المنتحر * (١)

١٩٢٤

١ — مائت انت ؟ ماذا دهاك ؟ لماذا مت والعمر في اوان افتراره ؟
٢ — شبح الموت مرعب يبعث الهول ويصبو كل الى اديـاره
٣ — كيف احببته ؟ وماذا تصبّاك فأسرعت في اختيار جواره
٤ — باسما لاعتناقه ومشوقا للقاء وموجسا من فراره
٥ — اهي الروح فيك جازت الحد تكل العقول عن اظهاره
٦ — ام هو الجسم ضاق عن ضم نفس حرة حملته فوق اقتداره

. . .

٧ — لست ميتا بل انت حي وان القى عليك الممات ظل اصفراره
٨ — انما المرء خالد بالذى يبقيه في العالمين من آثاره
٩ — كم توارى القبور حيا وكم يمشي على الارض ميت لم تواره
١٠ — انما القبر راحة الجسم من آلامه والفؤاد من اكداره
١١ — ووجود الانسان في الكون سر وكذاك الخلود من اسراره

. . .

١٢ — كبرى يا قبور جاءك ضيف هو غير الاحياء في اطواره
١٣ — يذهب الناس مرغمين الى القبر وقد جاء بملء اختياره
١٤ — شاعر لا يرى الحياة سوى ليل بهيم والموت من اسحاره

---

(١) مجلة الحارس — مجلد ٧ (١٩٣٠) : ٥٢٥ .

١٥ — وخطيب القى على منبر المـوت دروسا كبيرة بانتحـــاره
١٦ — هجر العيش باحتقار فهـــل فـــي العيش شيء يدعو لغـير احتقـاره
١٧ — كل ما يحويه هـم فهــم ينقضـي بين ليلـه ونهـاره
١٨ — ان عمر الشقاء عمر طويــل ومصيب من يعتنــي باختصـاره
١٩ — ليس عار في الانتحار مشـــين فهو خير من البقاء وعـاره [1]

* * *

* مقتـــل الســـردار *[2]

١٩٢٥

وضج من السخط وادى الملــوك وزمجر فرعون من لحــده
وكاد الصعيد باهـر امــه يثور على الظلم من وجـده
ويمشي ابو الهول في موكـب فراعنة المجد من حشـده
جرى النيل يزبد في سلكـه وصار المقطم فـي عقــده
ليحتج للارض او للسمـاء عليكم وهذا مدى جهـده

٠ ٠ ٠

ايا امة النيل صبـرا (وخلّـي عدوك يسرف في كيـده)
فلم ار كالظلم يبعـث عـزم الضعيـف (ويقدح في زنده)

* * *

---

(١) طرأ تغيير كبير على هذه القصيدة الواردة في الديوان (٣٥) لهذا رأيت ان اثبت هنا نصها الاصلي ٠ جاء مطلع القصيدة في الديوان كما يلي :

ما دعوت البيان حتى عصاني مذ درى بانقطاع عمر هـزاره
يا لشعرى يرثي ضياع قوافيه وعودى يبكي على اوتـاره

ثم وردت نصوص الابيات ٩ و ١٢ — ١٦ و ١٨ — ١٩ فقط ٠

(٢) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 179 .

الشعر المقصوص *

١٩٢٥ (١)

ماذا جنى الشعر حتى / جزيته الخير شرا ؟
لم يجن والله ذنبا / ولا اتى قط وزرا
لكن هو الجور طبع / في الغانيات استقرا
يقتلن روحا وجسما / فكيف يرحمن شعرا

. . . .

انالك الحسن حلوا / فسمته الموت مرا
وزان قدك حتى / سبى العيون واغرى
وزاد جسمك ظرفا / وزاد طرفك سحرا
وكم وقى الجيد بردا / وكم وقى الراس حرا

. . . .

قد كان راسك روضا / به فاصبح قفرا
وصرت تحكين غصنا / من الزهور تعرى
وكان شعرك شعرا / فصار بالقص نثرا
ضيعته وهو تبر / من ذا يضيع تبرا

. . . .

اذا بكيت عليه / بكاء خنساء صخرا
فشاعر كان يوحي / اليّ شعرك شعرا
وما نظرت اليه / الا تخيلت خمرا
فكنت من غير شرب / اميل وجدا وسكرا

. . . .

وما انحنيت عليه / الا تمليت عطرا
ولا تموج يوما / الا تمثلت بحرا

---

* المورد الصافي ـ المجلد الثاني عشر (١٩٢٧) الجزء الثاني : ١٨٤

(١) Aoun, Faiez - Fawzi Ma'luf : 168

ولا تشفعت فيه لديك سرا وجهرا
الا وقبّل عني رجليك يطلب عذرا

. . . .

ما عاد شعرك ليلا ولا جبينك فجرا
ولم يعد ابنوسا في الجيد طوق درا
ولا خيوط شعاع بعبسم الشمس اذرى
ولا شراك غرام يصطاد عينا وفكرا

. . . .

تحمرين شفاها غنجا وتطلين نحرا
وتلبسين حلى او تبلين بالضيق خصرا
لكي تتيهي على الاتراب بالحسن فخرا
فكيف ترمين تاجا اولاك نهيا وامرا

---

* من رثاء المنفلوطي * (١)
١٩٢٦

بكت مصر في الوادى الظليل هزاره ... وناح عليه نيلها وغديرها

ففي الوطن السورى حزن يمضه ... وفي ارض لبنان اسى يستثيرها

وتسمع في بر الجزيرة انة ... يعيد صداها نجدها وعسيرها

وما مصر الا كعبة عربية ... يشع بانوار الهداية طورها

زهت ثمرات الفكر فيها كما زهت ... على جنبات النيل فيها زهورها

لئن رقدت آداب يعرب حقبة ... ففي مصر مهد العلم كان نشورها

لقد عززتها حين ذل عزيزها ... وقد ظاهرتها حين عز ظهيرها

فأن جرحت صدر الكنانة رمية ... فكل بلاد الضاد جرحى صدورها

دعوها امام النعش يعلو زفيرها ... وتجرى مآقيها وترخي شعورها *

ففي صدرها غصات حزن ولوعة ... اذا لم تصعدها كواها سعيرها

لها كل يوم في المدافن وقفة ... تودع نجم غيبته قبورها

كواكب غارت كوكبا اثر كوكب ... فليس الى غير الظلام مصيرها

دعوها فهذا اليوم والله يومها ... وقد مات - موت الخالدين - اميرها

فما لغة الضاد التي نحن جندها ... سوى دولة هذا الفقيد كبيرها

تولى الى حين زمام سريرها ... وولى فقد يخلو لحين سريرها

يعصر غدا فيه كثيرا بغاثها ... على حين قلت في البنين نسورها

* * * *

---

(١) المقتطف - المجلد ٧٦ : ٢٩٩

* هذا البيت وما يليه مأخوذ من كتاب تنوير الاذهان لابراهيم الاسود - المجلد الثالث: ٤٠٩

* عرائس الشعر عودي *[١]

١٩٢٧

فكل قافية كانت بملحمة ... وكل ملحمة كانت بديوان

مهلا مشاغل يومي ساعة ، وقفي ... يكفيك مني طول العمر ادماني

حتام نيرك مشدود الى عنقي ... القيه عني من آن الى آن

تفنى الحياة ولا تغنى مطامعنا ... ليس الزمان علينا وحده الجاني

يا للتجارة صارت بيننا صنما ... لم يلق منا سوى عباد اوثان

نقضي ونحن وقوف في هياكلها ... مستعبدين بارواح وابدان

وعجلنا الذهبي ـ المال ـ تبهرنا ... انواره وهي ليست غير نيران

يبني لنا اليوم آمالا ليهدمها ... غدا ، فلا كان ذاك الهادم الباني

نعد في الشهر ارباحا اذا حسبت ... في آخر الشهر كانت محض خسران

وآخر الشهر لا تعضي مصائبه ... الا لتدهمنا في آخر الثاني

ليس الغنى غير حلم (وهو يقظة ... فابن الغنى فيه وابن الفقر سيان)

(يستل بيض امانينا لينسجها ... قبل المنايا علينا بيض اكفان)

(في كل قطعة مال عندنا قطع ... من القلوب كستها بالدم القاني)

الهت شعري ففي ابياته حرمي ... وفي قوافيه انجيلي وقرآني

وشدت هيكله في اضلعي فأذا ... بهيكل خالد في هيكل فان

* * * *

---

(١) AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF : 189 .

وقال في فنجان وقع على الارض من يد قرينة خاله جورج معلوف

ما هوى الفنجان مختارا فلـــو   خيروه لم يفارق شفتيهـــا
هي القته وذا حظ الـــذى   يعتدى يوما بتقبيل عليهـــا
لا ولا حطمه اليأس فهـــا   هو يبكي شاكيا منها اليهـــا
والذى ابقاه حيا سالمـــا   امل العودة يوما ليديهـــا (١)

* * * *

* في وصف تمثـــال * (٢)
(١٩٢٨)

حياك تمثال اصـم ابكـــم   لو يملك النطق الاصم الابكـم
هو رمز معرفة الجميل وحسـبه   في صمته ان الوفا يتكلـــم
انظر اليه فكل نقـش السـن   للشكر فيه وكل حـرف مبسـم
يا موطنا رتع الغريـب بجنـة   فيه فلا يشقى ولا يتظلـــم
لو اننا صغنا لك التمثال مـن   ذهب ووشت جانبيه الانجـم
ما كان يمكننا وفاءك منـــة   سعد الشقي بها واثرى المعدم
لكن لها في قلب كل مهاجـر   صنم يصلي عنده ويســـلم

* * * *

---

(١) البدوى الملثم ـ شاعر في طيارة : ٢١
(٢) مجلة الاثار ـ المجلد الخامس (١٩٢٨) الجزء السادس : ٢٨٤

* تحية الى ملاك * (١)

١٩٢٩

يا ملاكا للطهر في مقلتيها ... رعشة تملأ النواظر سحرا

في محياك سبح الله قلبي ... صورة الله انت حسنا وطهرا

ما فراخ الحمام تهزج في العش ... وتلهو عليه زقا ونقرا

مثلك اليوم تملأين زوايا ... البيت زهوا فيرقص البيت بشرا

لك من امك الملاحة في الخلق وفي ... الخلق فارفعي الرأس فخرا

ولك اللطف من ابيك وهذي ... سورة اللطف في محياك تقرا

* * * *

* تهنئة بزواج * (٢)

١٩٢٩

ذكر الحمى صداحه فصبا الى ... جناته ومشى الى ادواحه

ولو ان عودته اليه تأخرت ... لمشى الحمى شوقا الى صداحه

هو بلبل خضنت جوانحه الهوى ... افما ترى خفقانه بجناحه

صادته ساحرة العيون فما شكا ... بنواحه ، لكن شدا بصداحه

قالوا لحاظ الغيد جارحة فمن ... جعل اللواحظ بلسما لجراحه

ما زال يصبو للجمال يزينه ... ادب الى ان نال زين ملاحه

. . . .

يا بلبلا يغزو القلوب بشدوه ... وبدائع الايات كل سلاحه

عهدان بينهما ترى ، فمودع ... تقتاده ومسلم باقاحه

---

(١) مجلة الشرق البرازيلية ـ السنة الثانية (١٩٢٩) العدد ٣١ : ٣١
يخاطب فوزي المعلوف في هذه القصيدة اديث ابنة خاله جورج معلوف في حفلة تنصيرها وكان الشاعر عرّابها .

(٢) مجلة الشرق البرازيلية ـ السنة الثانية عدد ٢٤ : ٢٤
قيلت هذه القصيدة بمناسبة زفاف خال الشاعر شاهين معلوف على اديبه عون .

ودع زمان عزوبة في خلـــــه | من كاذب الامال ما في راحـــه
يلهو بنا ونظننا نلهو بـــه | يا ويلنا من جده ومزاحـــه
ونظننا متحررين بظلـــه | فأذا بنا مستعبدون بساحـــه
لما نظرنا في رصيد حسابـــه | اربت خسائره على ارباحـــه
فاستقبل العهد الجديد ببسمة | للمقبل البسام من افراحـــه
يا حبذا اسر الزواج فمن ينـــل | ما نلته لم يرض فك سراحـــه

. . . .

لله مجلسنا وفيه للصفـــا | روح مرفرفة على ارواحـــه
شعت به الغيد الحسان وشـــعشـــعت | خمر لها في الليل لون صباحـــه
فالغيد كل السحر في احداقها | والخمر كل السكر في اقداحـــه
فالنغتنمه بسحره وبســـكره | حتى يلم الليل ذيل وشاحـــه

* * * *



المصادر والمراجع



فهرس المحتويات

المصـــادر والمراجـــع العربيـــة (١)

أ

١ – ابو سعدى ، الاب جبرائيل – فوزى المعلوف – منشورات مجلة الرسالة المخلصية ، دير المخلص ، ١٩٤٥ .

٢ – ارسلان ، شكيب – ترجمة رواية آخر بني سراج لشاتوبريان – ط ٢ ، مطبعة المنار بمصر ، (١٩٢٤) .

٣ – الاسود ، ابراهيم – تنوير الاذهان في تاريخ لبنان – ج ٣ ، بيروت ١٩٣٠ .

ب

٤ – بستاني ، الفرد – تحقيق نبذة العصر في آخر بني نصر – منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للابحاث العربية الاسبانية بمراكش ، ١٩٤٠ .

ح

٥ – حسين ، طه – حديث الاربعاء – ج ٣ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .

خ

٦ – الخيام ، عمر – الرباعيات – ترجمة احمد الصافي النجفي ، بيروت .

د

٧ – داغر ، يوسف اسعد – مصادر الدراسة الادبية – ج ٢ – مطبعة دير المخلص – صيدا (١٩٥٠ – ١٩٥٦) .

٨ – داود ، انس – الطبيعة في شعر المهجر – الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

٩ – الدهان ، سامي – قدماء ومعاصرون – دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ .

س

١٠ – سجل النهضة العلمية – من عام ١٩١٢ – ١٩١٤ – الكلية الشرقية ، زحلة .

ع

~~١١ – علي ، محمد كرد – خطط الشام – ج ٤ ، مطبعة الترقي ، الشام ، ١٩٢٦~~ .

١٢ – عودات ، يعقوب (البدوى الملثم) – شاعر الطيارة – دار المعارف بمصر ، ١٩٥٢ .

ك

١٣ – الكتاب المقدس – سفر التكوين – الطبعة البروتستانتية .

---

(١) جاء في بعض الهوامش ذكر بعض المراجع التي لم اقتبس منها شيئا ، وانما لفت اليها الانتباه للتوسع لهذا لم اورد اسماءها في باب المصادر والمراجع .

١٣ - كتاب الكلية الشرقية - سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ - زحلة .

١٤ - كحالة ، محمد رضا - معجم المؤلفين - ج ٨ - مطبعة الترقي - دمشق (١٩٥٧ - ١٩٦١) .

م

١٥ - مطران ، خليل - ديوان الخليل - ج ٢ ، مطبعة دار الهلال ، مصر ١٩٤٨ .

١٦ - المقدسي ، انيس - الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث - ط ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٤ .

١٧ - معلوف ، عيسى اسكندر - ذكرى فوزي - مطبعة زحلة الفتاة ، زحلة ، ١٩٣١ .

١٨ - " " " - معارضات قصيدة يا ليل الصب للحصري القيرواني - مكتبة العرب ، مصر ، ١٩٢١ .

١٩ - " " " - دواني القطوف في تاريخ بني معلوف - المطبعة العثمانية ، بعبدا ، ١٩٠٧ - ١٩٠٨ .

٢٠ - " " " - سيرة حياته - من منشورات مجلة الرسالة المخلصية ، دير المخلص ، ١٩٦١ .

٢١ - معلوف ، رياض - شعراء المعالفة - المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٢ .

٢٢ - معلوف ، فوزي - الديوان - دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٧ .

٢٣ - " " - على بساط الريح - مطبعة الفنون ، ريو دي جانيرو ، ١٩٢٩ .

٢٤ - " " - ابن حامد - منشورات مكتبة الاندلس ، ط ٢ ، ١٩٥٧ .

٢٥ - المعري ، ابو العلاء - سقط الزند - دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٧ .

٢٦ - المعري ، ابو العلاء - اللزوميات - ج ١ - ٢ ، تحقيق وشرح ابراهيم الاعرابي ، مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٦٢ .

٢٧ - مناهل الادب العربي - فوزي المعلوف - رقم ٥٣ ، مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٥٣ .

ن

٢٨ - الناعوري ، عيسى - ادب المهجر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ .

هـ

٢٩ - هلال ، محمد غنيمي - الرومنتيكية - مطبعة نهضة مصر ، القاهرة .

~~٣١ - هيكل الذكرى - منشورات العصبة الاندلسية ، سان باولو ،~~ (١٩٤٨) .

و

٣٠ - الوهابي ، خلدون - مراجع تراجم ادب العرب - ج ٤ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، (١٩٦٢) .

المجـــــــــلات

١ — الادب — مجلة مخطوطة اصدرها فوزي المعلوف عام ١٩١٤ .

٢ — الاثار — المجلد الثاني ، ١٩١٢ — ١٩١٣ .
المجلد الثالث ، ١٩١٣ — ١٩١٤ .
المجلد الرابع ، ١٩٢٧ .
المجلد الخامس، ١٩٢٨ .

٣ — الرسالة المخلصية — السنة الثالثة ،ع ١١ ، ١٩٥٧ .

٤ — ملحق مجلة السيدات والرجال — عدد خاص بفرح انطون ، ١٩٢٢ .

٥ — الشرق البرازيلية — السنة الثانية ،ع ٢٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤١ ، ٤٢ ،(١٩٢٩ — ١٩٣٠) .
السنة الرابعة ،ع ٦٥ ، ١٩٣١ .
السنة السابعة ،ع ١٦ ، ١٩٣٤ .
السنة الثامنة ،ع ١٢ ، ١٩٣٥ .
السنة الثانية عشرة ،ع ٤ ، ١٩٤٠ .

٦ — الضاد — السنة الخامسة ،عدد حزيران ،وتموز ،وآب ، ١٩٣٥ (عدد خاص بفوزي المعلوف) .
السنة التاسعة والعشرون ،عدد ايار ،وحزيران ، ١٩٥٩ .

٧ — الكتاب — المجلد الخامس ، السنة الثالثة ،ع٣ ، ١٩٤٨ .

٨ — الكلمة — السنة الثانية عشرة ،ع ٦ ، ١٩٣٧ .

٩ — المعارف — لصاحبها وديع نقولا حداد — السنة الرابعة ،ع٥ ، ١٩٢١ .
السنة الخامسة ،ع١ ،٢ ، ١٩٢٢ .
السنة التاسعة ، مجلد الجزء الثاني ، ١٩٢٦ .

١٠ — المقتطف — المجلد الخامس والسبعون ،ع ٤ ، ١٩٢٨ .
المجلد السادس والسبعون ،ع ٣ ، ١٩٢٩ .
المجلد الثامن والسبعون ،ع ٣ ، ١٩٣١ .

١١ — المورد الصافي — المجلد الثاني عشر ،ع ٢ ، ١٩٢٧ .
المجلد الخامس عشر ،ع ٢ ، ١٩٣٠ .

الصحـــــــــف

١ — جريدة الجريدة — ع٢٤٦٧ ، ٨ كانون الثاني ، ١٩٦٠ .

٢ — المكشوف — السنة الثالثة ،ع ١١٤ ، ٢٢ ايلول ، ١٩٣٧ .
" — " " ع ١١٥ ، ٢٩ ايلول ، ١٩٣٧

المصـــــادر الاجنبيـــــة

1- AOUN, FAIEZ - FAWZI MA'LOUF ET SON OEUVRE (LIBRAIRIE ORIENTALE ET AMERICAINE) PARIS, 1939 .

2- BROCKELMANN, C. - GESCHICHTE DER ARABISHEN LETTERATUR - ZWEITER SUPPLEMENTBAND, III LEIDEN, 1942.

3- SHAKESPEAR, WILLIAM - HAMLET - (GINN & COMPANY), INTERLENEAR ED.